

الحلاج

حقائق التفسير

أو

خلق خلائق القرآن والاعتبار



محمود الهندي

مكتبة مذبولى

9000

محمود الهندي

الحلاج

حقائق التفسير

أو خلق خلائق القرآن والاعتبار

مكتبة مدبولي

مكتبة مدبولي

العنوان : ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
البريد الإلكتروني :

WWW.madboulybooks.com
info@madboulybooks.com

مؤلف : حقائق التفسير
أو خلق خلافت القرآن والاعتبار
مؤلف : الحسين بن منصور الخلاج
محقق وتقديم : محمود الهندى
مؤلف للفنان : محمود الهندى
رقم الإيداع : ٨٨٩٧ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي : 3 - 609 - 208 - 977
القطع : ٢٤ × ١٧
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى : ٢٠٠٦ م

عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ & ١٠ شارع السلام - أرض اللواء - المهندسين
التليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣ - فاكس : ٣٢٩١٤٩٧

الله

إلى العارف بالله

الشيخ أحمد القصبي النقشبندی
أُمياً عاشَ

وانتقل دونما بوح
كتمَ إلى أنْ فاضتْ مَعَارِفُهُ
فَنَهَلْتُ عَنْهُ

محمود الهندي

تقديم

فى بواكير الصبا عودنى أبى (الرجل الأمى)، العروج على محال بائعى الكتب القديمة فى سور الأزبكية وسور السيدة زينب، ومحال شارع بورسعيد. حصلت - آنذاك - على مجموعات من درر الكتب شديدة الندرة، لم أقدرها حق قدرها بسبب ضيق أفقى، لكننى كنت فرحاً بها رغم عدم استطاعتى فهم وهضم ما تحويه، حتى تحول الأمر إلى إدمان اعتيادى لاقتناء الكتب وتكديس المكان الضيق الذى تسكنه الأسرة.

وذات مرة شاغل عيني كتاب جميل السمت يحمل عنوان الطواسين؛ كان أشبه ما يكون باللغز أو الأحجية. لم أتمكن من التوصل إلى مرادف بعينه يقترب بى من معنى الطواسين، ولم أفهم النصوص الموجودة بداخل الكتاب، مما حفزنى لاستعادة القراءة المرة تلو المرة. وفى كل مرة يذهب جهدى أدراج الرياح.

قررت تحدى نفسى، فوجهت جُلَّ اهتمامى لجمع ما يقع بين يدى لصاحب الطواسين (الحسين بن منصور الحلاج)، الذى صار اسمه كالمغناطيس، يجذبني ويشدني إليه لأشتري ما يصادفني من كتب له أو عنه، ومن خلال رحلة البحث عن الحلاج تعرفت على عاشقه المقيم (لويس ماسينيون) فقممت بجمع ما ألقاه من أعماله بالعربية؛ أو الفرنسية التى لا أجيدها. ورغم تلميحات وتحذيرات كبار المحيطين بى بالابتعاد عن عالم الكتب الصفراء؛ وهى نصائح أيديولوجية بالدرجة الأولى، إلا أنني سبحت عكس التيار، وشممت فى أغلب تلك الكتب عبق ورائحة غرين (طمى) النيل، وتعرفت امتداد التاريخ فى أوج تجسده.

كانت مفردات الحلاج غير مألوفة، واللغة غير عادية؛ فهى لغة صعبة رغم بساطة مفرداتها. ورويدا رويدا وجدتني أجابه لغة إشارية صوفية مستغلقة، لا يمكن الولوج إلى أعماقها دون فهم ما وراء المصطلح الصوفى العرفانى، وكان

الغوص فى لجة بحار التصوف هو السبيل الوحيد.

ساعدنى فى ذلك، ما أحاطنى من الجو الإيمانى للحى الذى أقطن فيه، فأنا محاط من كل الجوانب بعدة مقامات صوفية، مقام سيدى ذى النون، ومقام سيدى الخواص، ومقام سيدى أبو عوف، والمسجد المعلق، ومسجد اليتيم. وقد صاحبت بعضاً من المتصوفة الغلبة البسطاء، فوجدت الكثيرين منهم - ويا للعجب - يتحدثون لغة تشبه لغة الحلاج، ويتغنون بأشعار ابن الفارض والإمام البوصيرى فى بساطة وعفوية ومقدرة فائقة دون لجلجة أو تأتأة.

وفى المراحل المتأخرة، وجدتنى أقترب من عالم كتب الحلاج، وكان أهم ما عرفته أن الحلاج أبدع فى اللفظ مثلما أبدع فى المعنى، فقدم شكلاً جديداً مبتكراً فى كتابته للطواسين، ولغة تظال اللغة الشعرية وتعلوها قامة وإن خلت من وزن الخليل بن أحمد؛ رغم أن الإيقاع الصاخب ظل هو الغالب. أما علوم الحلاج ومعارفه فلا تندرج إلا ضمن باب الأسرار التى تعجز العبارة فيها عن الإفصاح بمكنون المعنى ووضوحه، فتتحول العبارة إلى إشارة تلميحية تنجح بعيداً عن التلويح والتصريح. وكان أن شرعت فيما يمكن تسميته تجاوزاً بالأعمال الكاملة للحلاج، فقسمت الأعمال إلى عدة أقسام: القسم الأول ويشمل ما بقى من تراث الحلاج عقب المحرقة التى التهمت أغلب أعماله، حتى لم يتبق سوى الديوان الشعرى، وأجزاء من كتاب الطواسين، وكتاب التفسير، وفقرات من كتاب الدرة عن الساسة والسياسة، وبعض النصوص المنفرقة. والقسم الثانى يشمل الكتابات والأقوال المنسوبة للحلاج. والقسم الثالث يمثل ما كتب عن الحلاج: ذكر المقتل، بداية الحال ونهايته، أخباره... وما إلى ذلك.

قمت بإعداد وضبط بعض الكتب، وتحقيق ومراجعة البعض الآخر، وتحمس الصديق الحاج عبده غريب رئيس مجلس إدارة دار قباء لنشر كتاب ذكر مقتل الحلاج لابن زنجى، وطُبع الكتاب، ثم تم إهداء نسخ لأغلب رجال الصحافة

والثقافة وأساتذة الأدب والأدباء والمهتمين بالثقافة فى شتى المجالات،.. ومرت
الشهور بطيئة؛ ولم يشر أحد للكتاب، واستطال الصمت ليعقبه صمت
فصمت، حتى تحول الهواء إلى حوائط من العزلة، وبينما الهواجس والكوابيس
تخيفنى؛ وجدتنى أنزوى وأعتكف بعيداً عن الواقع الأليم؛ والذي يشابه واقع
الزمن الذى عاشه الحلاج رضى الله عنه. وساورنى الشك فى أننى غير جدير
بالتصدى لمثل تلك الأعمال، أو أننى لا أجيد الكتابة، ومرت السنون ولا حياة
لمن تنادى.

وبعد الاعتكاف التام والابتعاد عن الواقع الثقافى الذى لا يعرف سوى لغة
المصالح؛ إذ بمجلة الشاهد تثلج صدرى بمقال رائع للشاعر الكبير محمد على
شمس الدين الذى لا تربطنى به أية معرفة حتى الآن، سوى معرفتى لكتاباته
وأشعاره.

أعاد المقال ثقتى بنفسى، فاسترددت عافيتى وعدت مرة أخرى لمجموعة كتب
الحلاج التى أنجزتها وأهملتها حين أودعتها بعيداً عن متناول يدى حتى لا
يصيبنى الإحباط واليأس. كانت كلمات الشاعر محمد على شمس الدين
كالبلسم، شفيت جراحي تمام الشفاء، وتأملت ما أنجزته ببصيرة جديدة،
وأعدت ما كتب ثانية وفق حراك النشر ومستجداته. ومن ثم تحدثت مع الناشر
الوطنى الحر؛ الصديق الحاج محمد مدبولى حول المشروع فتحمس دون تحفظ
لنشر تراث الحلاج، وها نحن نبدأ سويًا بكتاب التفسير الصوفى العرفانى لآى
القرآن المجيد، وسوف نعهده الكتاب الأول فى سلسلة الأعمال الكاملة للحلاج؛
إلى جانب كونه الكتاب الأول فى سلسلة التفسير الصوفى العرفانى للقرآن
ليعقبه العديد من كتب أئمة التفسير،.. ويرجع الفضل فى بقاء ما تبقى من هذا
التفسير إلى شيخ مشايخ الصوفية عبد الرحمن السلمى؛ الذى قام بدور مشابه
لدور الشريف الرضى فى الحفاظ على نص كتاب «نهج البلاغة» للإمام على

كرم الله وجهه. فقام السلمى بدور الجامع للتفسيرات الصوفية إلى جانب وظيفته كمنظم، ثم كمدون، يتدخل بالحذف والتحريك والتوضيح.

بدأ اهتمامى بهذا التفسير العرفانى عند اطلاعى على التنويه الوارد فى تفسير عرائس البيان فى حقائق القرآن لروزبهان البقلى، حيث نوه إلى كتاب التفسير للحلاج، ونشر العديد من فقراته، وبالبحث عن مصنفات الحلاج فى قوائم المطبوعات وجدنا أنه لم يرد ذكر لكتاب التفسير فى تاريخ الأدب العربى لبروكلمان، ولا عند البغدادى فى هدية العارفين، ولا فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة، ولا فى تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين، ولا الفهرست للنديم، ولا صبح الأعشى للقلقشندي، غير أن مخطوط حقائق التفسير للسلمى ورد به ما نقله عن الحسين بن منصور الحلاج؛ حيث أورد نصوص التفسير دوغما ذكر لعنوان الكتاب الذى نقل عنه، ونشر ما سينيون عام ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م نصوص تفسير الحلاج ضمن كتابه: نصوص صوفية غير منشورة، اعتمد بالكلية على مخطوط السلمى بمكتبة برلين؛ ثم أعاد مركز نشر دانشكاهى بإيران عام ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م نشر نصوص ماسينيون ضمن مجموعة آثار أبو عبد الرحمن السلمى، ولكننا رأينا ضرورة مطابقة نصوص ماسينيون مع مخطوط حقائق التفسير للسلمى الموجود بالجامع الأزهر؛ إضافة إلى زيادات حقائق التفسير للسلمى عن مخطوط خزانة كتب الغازى خسرو فى سرايفو بالبوسنة، ووجدنا الكثير من النصوص قد أهملها ماسينيون؛ فأضفنا ما غفل عنه. ومن خلال بحثنا فى التصنيف العلمى الموثق الذى اعتمده بروكلمان وجدنا شديد التشابه بين روح نص التفسير العرفانى وبين عنوان المصنف الموجود تحت عنوان خلق خلائق القرآن والاعتبار، وهو مصنف فى اصطلاحات المعرفة الإسلامية للقرآن المجيد، اعتمد على التفسير الاصطلاحي الصوفى الإشارى لآيات القرآن الكريم.

ووجدنا أنه يلزم لمزيد الفائدة إضافة بعض من التفسيرات لكبار أئمة ومشايخ الصوفية السابقين واللاحقين للحلاج حتى يمكن للقارئ الكريم الاستفادة من تعدد مستويات التفسيرات، فهى تفسيرات تشبه مفاتيح المستغلق من المعانى الباطنية، ننحو تجاه التحاور مع النص القرآنى، والتجاوز مع التفسير الأحادى المتواتر لتعميق الفهم المتعدد المستويات والمختلف الأبعاد لفك شفرة ما وراء اللفظة، وتفجير ما يخفى من شحنات وجدانية.

إن للتفسير الصوفى مكانة رفيعة وشخصية مستقلة، تتميز بالتححرر والانعتاق من أنماط التفسير الجامدة، ويكشف التفسير الصوفى عن أصالة وإبداع فلسفيان. فها هو تفسير الحلاج رضى الله عنه، نوره بحسب نص السلمى المتأيد بجميع علماء الشافعية فى عصور ازدهار التصوف المشبع بالروحانية الإيمانية، وبمحبة الإله الواحد سبحانه والبشر، وإعلاء شأن التفكير، والخضوع التام للحق تعالى، والإيمان الموسع المنفتح على بوتقة العقل والمقيم بالعدالة والخير والإخاء. فنحن أمام تفسير ذى شخصية مستقلة جديدة ومختلفة، تفسير موجز مكثف، شديد الحرية والمرونة؛ يتعد تمام الابتعاد عن الجمود والثبات؛ غير مؤسس على الطرق المعرفية المألوفة، والتي تعتمد بالأساس على كل ما هو تربوى وعظى تلقينى، وكأنه الحقيقة اليقينية الوحيدة. أما التفسير الصوفى العرفانى فينقب عن مدلولات غير صريحة، لكنها محتملة، مدلولات مباغته غير مسبوقة، فهو تفسير غير مباشر؛ ولا يعتدى على التفسيرات المخالفة له، لكنه مؤيد لتوسيع دائرة المعنى، وفرض مساحات جديدة وآفاق مديدة للإضافة والإغناء. أما أهم ما نبهنى إليه هذا التفسير فهو أنه كيف لعارف مسلم عالم بأمور دينه كل هذا العلم الكشفى أن يحاكم ويصدر الحكم ضده بمثل ما حدث فى المحاكمة التى أدارها حامد بن العباس جابى الضرائب، ورئيس الوزراء فيما بعد؟.. وهى محاكمة سياسية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالدين، فالحلاج مثل كل رجال الدين الإسلامى الأقوياء قلباً وقالباً؛ لا يمكنه فصل الدين عن الدولة، فكان فى

دفاعه عن الفقراء والبسطاء والمظلومين ضد سياسة القهر والتجويع والاستغلال بكل أشكاله. وفى كتابه «الساسة والخلفاء والوزراء» مرجعية لكبار رجال العصر. ولا يمكن بحال فصل رجل السياسة عن رجل الدين فى سيرة الحلاج، فهو رجل سياسة من طراز فريد، استوعب فكر العديد من التنظيمات والحركات والفرق السياسية، وكان له باع طويل فى السياسة إلى جانب علمه ومعرفته بشتى المعارف الدينية من فقه وشريعة وأحكام. لم يخش فى الحق لومة لائم، ولم ترهبه سياط السلطة أو يستوعبه بريق ذهب الخلفاء والأمراء والوزراء. فالحلاج عرف التصوف كأهم أشكال معارضة الأنظمة العبودية الإقطاعية، وكان لابد لرجال الدولة العباسية لكى يحافظوا على وسائل الهيمنة أن يقيموا كل أشكال التصوف التى مثلها الحلاج وابن عطاء ويؤيدون تصوف الدروشة والابتعاد عن الواقع المعاش، وهو تصوف لا يعرف أن منزلة الرجال تعطى ولا تتعطى.

والآن..

أما أن للحلاج أن ينفك عن أسر المفهوم الاستشراقى ليدخل تحت عباءة التصور العربى المحض ضمن حلقات الروحانية الإسلامية. لقد رسخ ماسينيون تصورات التى شاعت واستقرت لدى الكثيرين ليتناولها الجميع، وهى تصورات تحتاج إلى مراجعات.

فها هو ماسينيون يتعامل - بشكل عنصرى - مع الحلاج باعتباره نصرانياً من الداخل، وهى الفكرة التى عمقها بشدة لمحاولة رد تصوف الحلاج إلى أصول سابقة على الإسلام، ومحاولة قولته فى إطار منظومة الدين المسيحى،.. وسوف ابتعد عن الكلام المرسل ومناقشة النوايا، وصولاً إلى مناقشة صريح ما أدلى به ماسينيون نفسه فى خطابه.

فى خطاب له إلى الأب انستاس مارى الكرملى، مؤرخ ١٥ سبتمبر ١٩٠٨م، يقول: «لا تنسى كتابى عن الحلاج، سوف أرسل لك نسخة من أدلتى

من مسيحيتيه، إن كان بإمكانك أن تصوغها لى بعربية جيدة، وأن تنشر عنه مقالة
..حظك فى مجلة المشرق سأكون سعيداً بذلك».
من هنا..

يجب توخى الحذر من رجال المكارثية التابعين للمفاهيم الوافدة والذين
يسمون كل من يتصدى أو يشك فى سلوك استعمارى بأنه يتبنى «نظرية
المؤامرة» وكأن احتلال الكاوبوى الأوروبى لأمريكا وسحق الهنود الحمر،
واحتلال إسرائيل لكافة الأراضى العربية الفلسطينية، وطرد العرب من فلسطين
المحتلة؛ وهو النموذج المصغر للاحتلال الأمريكى، وغرس فكرة حق التعويض
المادى عن الأراضى المغتصبة لذر العيون وفرض سياسة الأمر الواقع، ورفض
حق العودة لأصحاب الأراضى الحقيقيين، ووعد بلفور، واتفاقية سايكس بيكو
المشؤمة سيئة الصيت والسمعة، وخارطة الطريق الأمريكية، واحتلال العراق
رغم أنف الأمم المتحدة، وتهديد سوريا وإيران، كل ذلك لا يندرج تحت «نظرية
المؤامرة»، وإنما هو محض إرساء القواعد الحرية الأمريكية المزعومة والديمقراطية
بالقنابل. ودونما خشية من إطلاق اتهام «نظرية المؤامرة» أحيل القارئ الكريم
إلى فقرة ضئيلة من رسالة ماسينيون إلى الأب مارى الكرملى فى
١٦ / ٥ / ١٩١٨:

«سوف تذهب الفرق الحليفة العاملة فى فلسطين للإقامة بالغرب، ونحن
الآن فى أورشليم منذ ستة أشهر، حيث البابا لم يعترف لنا بالحماية الدينية
التقليدية إلا بعد مؤامرة صغيرة، حصلت عليها بعثتنا لتستطيع ممارسة سلطاتها
خلال الأسبوع المقدس فى قبر السيد المسيح حتى الخميس المقدس، وبوصفى
مساعداً لرئيس الحملة^(١)، فقد تناولت القربان رسمياً باسم بلدى أمام القبر
المقدس. إن اللعبة الحاسمة تُلعب الآن فى فرنسا.

(١) المقصود بالحملة (القادة العسكريين والسياسيين) المنفذون لمعاهدة سايكس بيكو، وهى معاهدة
بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم الأراضى العربية. وكان اللورد سايكس ممثلاً لبريطانيا ومعه
مستشاره لورانس، أما جورج بيكو فكان ممثلاً لفرنسا ومعه مستشاره لويس ماسينيون.

إن البعثة الفرنسية التى أشارك فيها، والتى يترأسها السيد جورج بيكو مكلفة بالتحضير لهذه المسائل، ولهذا الغرض تحت دعوتها.

لكل هذا فإنه ينبغي إعادة النظر فى كتاباته وتفسيراته، والبحث عن أغراضه، فمهما ارتدى الجبة والقفطان، وحاضر فى جامعة القاهرة والأزهر الشريف، وأطلق على نفسه اسم عبده لويز ماسينيون، ثم عبده محمد ماسينيون، فإن الأمر يحتاج بالفعل إلى مراجعة على المستوى السياسى والثقافى، وإذا كانت الإمكانيات الضئيلة قيد يكبل الشعوب ويعوق مقوماتها، إلى جانب خضوع حكام المنطقة العربية لسادتهم الأجانب وعدم توفيرهم الإمكانيات المادية للبحث العلمى ومراكز الأبحاث، وهو ما فرض التبعية المستمرة للفكر الأجنبى، إلا أن مقاومة ما يتم من انهيار وفساد ستستمر إلى أن يعتدل ميزان الأمر؛ وتعود الأمة الإسلامية إلى عصور النهضة، فأمة تحوى نماذج من أئمة أكابر وأبطال يقدمون أرواحهم فداء لإحقاق الحق وإعلاء كلمة الدين لن يخذلها المولى عز وجل.

وبه نفسه عين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم

الحمد لله الذي اهل الحقانية خواص امراروه وجعلهم اهل الفهم لطايبه والعلماين بطايبه وحامدا
 له ما بعد المرات الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فاحبه وانك معاني خطابه بقدر
 تافه على كل واحد منهم لطايف اسرارته وادائه ونبطه واعرفتم حياهه بحسب ما سيجي لهم
 من يد ابعه على الله بالنطق جازع حقه خفايقه والآخر من مقدار ما لا تقدر على قصوره
 من ادراك الخفايق واستغاثت قوله الا على معاني الالهة الخفية المانزلة من فوقه من طوره
 انما والله خفي عن كثير من اهل الباطن فابا بطايبه هاب عن منزل من عند عزه على اعز الخلق وسمي
 انه صلى الله عليه وسلم وبعده واداءت التي سمعنا لعلوم انوارهم صنفوا انواع الفرائد
 قولهم من غلاته واحكام واعرفه ونحوه في ميسر فها سيجي ومعبروح واغرابه ولم يشغل منهم كبح
 خطابه على هذا الحقيقه المانزلة من فوقه شيب الى الله انما عطاواته وكلها على من
 عليه الله على غير ترتيب وكنت قد سمعت منهم في ذلك خروفا استحيشها الخبيث ان اضم في كل
 بها لهم وضم اقول الى الله الخ اهل الحسنه الى ذلك وادب على السوء وحسب وسعي طائفة فاستحيش
 الله جميع ذلك شئ منه واستغثت به في جميع اموري فوهو حسبني نعم العاقل اخيرا محمد بن عبد الله بن
 فرير قال حمدنا الحسن بن مهديان القسوي قال حمدنا ابو موسى القنصاري رعاي الله فام احمدنا
 شفيان بن مطرف عن السعبي عن ابي جعفر قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول ان القرآن قال لا والذين قالوا براء الله ان يعطي الله عزه انهم كاهه اخيرا محمد بن عبد الله بن
 محمد بن علي بن محمد بن ماذن الرقاق قال حمدنا محمد بن اسحق قال حمدنا اسحق بن ابراهيم الخنطلي قال اخيرا
 جبر عن اصل من جبر عن ابن ابي الحديد عن ابي الخوص عن ابي عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم قال ان القرآن انزل على سبعة اجوف لكل ايه منه ظهير وظن وكل حرف جرد ومطلع وحلى عن جعفر بن محمد
 انه قال كتاب الله على اربعة اشياء العبادرة والمرئاة والظرافة والمعاني والنعمة واللغو والمناشاة للمؤمنين

الحَقُّ ، فَلَا ! لَا الْقَائِلَ عَنْكُمْ سَوَالُكُمْ ، وَ الْمُبْعَر عَنْكُمْ غَيْرُكُمْ
 فَسَقَطْتُمْ أَنْتُمْ ، وَ بَقِيَ مَنْ لَمْ يَنْزِلْ وَ لَا يَنْزِلُ الْكَالِمَ يَنْزِلُ -
 [الْفَلَق] - 1, 13, 14 - . وَقَدْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ .
 قَالَ الْحَسَنِ^(١) أَشَارَ^(٢) الْحَقُّ تَعَالَى إِلَى جَمْعِ^(٣) خَلْقِهِ فِي مَعْنَى
 الْقَطِيعَةِ عَنْهُ ، بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ مِنْ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ
 وَقَدْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . -





سيرة الحلاج

الحلاج:

الحسين بن منصور بن محمى البيضاوى

ويكنى: بأبى عبد الله، وأبى عماره، وأبى المغيث.

ولد الحلاج فى سنة ٢٤٤ = ٨٥٧م، واستشهد سنة ٣٠٩ = ٩٢٢م، اختلف فى بلده ومنشئه، فمن قائل: إنه من خراسان (نيسابور)، أو من بيضاء فارس، وقيل: من مرو، أو من الطالقان، وقال بعض أصحابه: إنه من الرى، وقال آخرون: من الجبال، ولا يصح فى أمره وبلده شىء، والأرجح أن مسقط رأسه الطور؛ فى الشمال الشرقى من البيضاء، فى مقاطعة فارس بإيران - وكانت البيضاء مدينة شبه عربية - على الرغم من كونها معسكراً صغيراً على الطريق الممتد من البصرة إلى خراسان... أما أبوه، فكان يحترف حليج القطن، (يقال إنه سُمى الحلاج نسبة إلى عمل أبيه)، وفى رواية أخرى وردت بأخبار الحلاج عن ضمرة بن حنظلة السماك، وأكدتها رواية ثالثة عن إسماعيل بن أحمد الحميرى، حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى، قال الحسين بن منصور قيل: (إنما سُمى الحلاج لأنه دخل واسطاً، فتقدم إلى رجل حلاج وبعثه فى شغل له، فقال له الرجل: أنا مشغول بصنعتى، فقال: اذهب أنت فى شغلى حتى أعينك فى شغلك، فذهب الرجل، ولما رجع وجد كل قطن فى حانوته محلوجاً، وكان أربعة وعشرين ألف رطل. فسمى لذلك الحلاج، ويقال: إنه لما أشار بالمرود أناز الحب عن القطن، وهى من روايات المبالغات وتوقد الخيال الشعبى الذى يستدعى فكرة الأعمال الخارقة على الدوام. وقيل إنه كان يتكلم فى ابتداء أمره قبل أن ينسب ما نسب إليه عن الأسرار، ويكشف أسرار المريرين، ويخبر عنها، فسمى بذلك حلاج الأسرار، فغلب عليه اسم الحلاج).

ارتحل وأسرته إلى العراق؛ من الحدود الجنوبية الشرقية عند البصرة، فكان رحيله للعمل فى منطقة النسيج الممتدة فى واسط على نهر دجلة؛ وهى مدينة

عامرة كبيرة، تقع ضمن الطريق بين البصرة وبغداد، وفيها نسي الحلاج لغته الفارسية، لينطق العربية.

كانت واسط تعتنق مذهب ابن حنبل، عدا أقلية من الشيعة، وفي واسط قضى الحلاج صباه داخل أروقة الكتاتيب يتعلم القرآن، حتى بلغ الثانية عشرة، فحفظ القرآن الكريم.. وكانت حركة الزنج الشيعية - آنذاك - قائمة، فاستولت على مناطق الأهواز وخوزستان، وهاجمت البصرة، وفي تلك الآونة كان الحلاج يبحث عن المعنى الرمزي الذي يرفع دعاء الروح إلى الله عز وجل، فقصده الارتحال إلى تستر (شوشتر الإيرانية) على شاطئ نهر كارون، الذي يصب في شط العرب، وقضى الرحلة - رغم المصاعب - ليصحب سهل بن عبد الله التستري. ويتعلم على يديه التصوف، ويقرأ عليه القرآن، ودامت هذه الصحبة سنتين، تركه بعدها ليرتحل إلى البصرة، وهناك لبس خرقة الصوفية من يد عمرو بن عثمان المكي، وصحبه لمدة سنة ونصف السنة، احتل أثناءها مركزاً مرموقاً في الأوساط الصوفية؛ بمساعدة أستاذه الجديد، الذي توسم فيه الصلاح والخير، وتوقع له مستقبلاً مشرقاً في عالم الروح، وحدث أن تزوج الحلاج وهو في البصرة بأُم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع (أو الأكتع) البصري، منافس عمرو بن عثمان المكي على زعامة الصوفية في البصرة، مما أدى إلى خصومة بالغة ووحشة بين الشيخين الكبيرين نتيجة تنافسهما على استخلاص الحلاج، الذي كان يعتزل في جامع البصرة للتعبد والتصوف والقراءة المتأنية. (ظل الحلاج وفيّاً لزوجته، لم يقترب منها، بل استمر زواجهما موقفاً حتى النهاية، فأنمر الزواج ثلاثة أبناء وبتاً واحدة. الابن الأول هو سليمان، الذي وعد الحلاج ابنة السمرى بتزويجها إياه، والثاني هو أحمد أو حمد الذي روى أخبار أبيه، والثالث هو عبد الصمد؛ وقد ذكر أنه كان السبب الرئيسي في تأسيس الطريقة الحلاجية، هذا إلى جانب الفتاة.. وكان يكفل لهم معاشهم بفضل صهره، مما أثار غيرة عمرو المكي فاستوغل في خلافه.. وفي هذه الأثناء أقام

الحلاج فى حى تميم من قبيلة مجاشع، وقد كان الكرنبايون من مواليهم، ويظهر أن دخوله فى هذه القبيلة «ربما.. جعله يتصل أو يختلط بحركة الزنج، التى كانت القبيلة ومواليها على صلة بها». «وربما» كان ذلك هو الأصل فيما اشتهر عنه دائماً بأنه ينزع إلى الثورة، ومن هنا كان القبض عليه للمرة الأولى. فليس غريباً أن يتصل الحلاج بحركة الزنج، وهى حركة اعتمدت على قوة العبيد والمستضعفين، سواء أكانوا من إفريقيا، أم من الفلاحين أهل البلاد. ويجد هؤلاء الزنج لحركتهم نصيراً، وهو على بن محمد بن عبد الرحيم، الشهير بالبرقى صاحب الزنج.

فى تلك الأثناء - أيضاً - كانت دعوة القرامطة ناشطة قوية، فانصل قادتهم بزعيم حركة الزنج بواسطة رشيد القرمطى، وتقابلت الحركتان، وتلاقيا فيما يشبه المزج، وكلتاهما تهدف لمحاربة الدولة العباسية، بما تمثله من طغيان وجبروت، فيتخذ صاحب الزنج لنفسه نسباً علوياً، يصله بعيسى بن زيد بن عباس بن على زين العابدين، وتكتسب حركة الزنج المزيد من القوي الضاربة، وينضم إليهم أهل البحرين. حتى أن أبا سعيد الجنابى انضم إلى الزنج، ليحرزوا جميعاً النجاح تلو النجاح.

ولما كان من ينضم إلى حركة الزنج - وهى حركة سياسية مناهضة - يعد قرمطياً، مما حدا بالعباسيين أن يصروا على القبض على الحلاج دون غيره، فهذا هو صوفى من أهل الباطن يعمل بالسياسة، مما جعلهم يتوجسون خيفة منه، ويعتبرونه خطراً محيقاً يداهمهم، فروحه الثورية، ومنهجه الفكرى، ودعوته إلى الإصلاح بشقيه السياسى والاجتماعى، كل ذلك تشابه لديهم مع نهج القرامطة ومحاولاتهم تغيير النظم الاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك.

ومع أن الحلاج عرف بشطحاته وجرأته فى إزاحة المنطق الظاهر، فقد بقى حريصاً على النطق بأصول الإيمان والقيام بالعبادات والشعائر الدينية والتمسك بأركان الإسلام، رغم تمسكه - على الجانب الآخر - بالمعنى الباطن للشريعة، ويؤول البعض هذا المعنى الباطن على أنه نوع من الشطح الصوفى.

تعتبر شطحات الحلاج من قبيل الإفراط الصوفى فى العشق، وهو ينحو فى مفهومه للتصوف منحى يخالف المنحى التقليدى، فالتصوف عند الحلاج جهاد فى سبيل إحقاق الحق؛ وليس مسلكاً فردياً بين المتصوف والخالق فقط، لقد طور الحلاج النظرة العامة إلى التصوف؛ فجعله جهاداً ضد الظلم والطغيان فى النفس والمجتمع.

نعود مرة أخرى للخصومة التى استمرت بين عمرو بن عثمان المكى، والأقطع صهر الحلاج، مما جعل الحلاج يضطر للصبر مدة طويلة؛ حتى ضاق صدره وأصابه الملل، فقصده إلى الجنيد بن محمد البغدادى الصوفى المشهور ببغداد - وكان شيخ الطائفة الصوفية - لاستشارته فيما يمكن اتخاذه من مواقف، فأمره بالسكون والمداواة ومراعاة آداب الحضرة، وعاد الحلاج إلى البصرة عازماً العمل بنصيحة شيخه الجنيد، ثم إلى بغداد، ومنها إلى مكة لأداء فريضة الحج لأول مرة، وهناك نذر نفسه بالبقاء عاماً للعمرة فى حرم البيت العتيق، يمارس أشق الرياضات الصوفية بتعريض جسده لأشد ألوان العذاب الجسمانى، وهو فى حالة صوم وصمت دائمين، كما عرض جسده لأشعة الشمس اللافحة فى جبال مكة الجرداء، فقد اختار الحلاج - من ناحيته - أخذ نفسه بالمجاهدة الشديدة، واختار من بين الطرق أشقها وأصعبها، فإذا بالمريدين يفدون إليه، وقد نعتهم فى قصائده الرقيقة بقوله:

«أصحابى. وخلصانى» -

وها هو يفتقد شيخه الكبير عمرو بن عثمان المكى بالخصومة، مثلما افتقد من بعده الجنيد شيخ الصوفية؛ الذى أنكر عليه بوحه وجهه.... فخاصمه، مما اضطره للاعتماد كلية على نفسه، وزهده، وعلمه، وقد بقى على رياضته الشاقة - تلك - سنة كاملة، قضائها فى الحرم، ولما عاد من مكة إلى الأهواز، بدأ الوعظ، زاهداً فى خرقه التصوف ذاتها، فألقاها عنه، وجعل يخاطب الناس بكلام

يصعب عليهم إدراكه، ويبدو أنه لم ينجح النجاح الكافى الذى كان يتوقعه، مما أثار حفيظة رجال الصوفية عليه، لكنه تهادى فى طريقته، فتكلم بحرية تامة مع أبناء الطبقات الدنيا؛ حتى صار له بعض الأنصار الذين تزايدوا رويداً رويداً، واشتد عليه أعداؤه من المعتزلة ومن الشيعة، وعلى رأس هؤلاء الأعداء على محمد بن موسى،.. وابن الفرات، وقد أثار هؤلاء الأعداء شغب العامة ضده، واتهموه بالدجل، وبالاختيال بالمعجزات الزائفة الوهمية، وأطلقوا عليه لقب (حلاج الأسرار)، فكان من رأى الحلاج - وقتئذ - أنه «ليس على وجه الأرض كفر إلا وتحتة إيمان، ولا طاعة إلا وتحتها معصية أعظم منها، ولا إقرار بالعبودية إلا وتحتة ترك الحرمة، ولا دعوى للمحبة إلا وتحتها سوء الأدب. لكن الله تعالى عز وجل، يعامل عباده على قدر طاقتهم».... إنه يتكلم عن الأضداد التى يجمعها الله فى مخلوقاته، فيجعل واحداً منها ظاهراً والآخر كامناً، تمكيناً من تحقيق قضائه، والنزول على حكمه متى شاء، فهو ينشد، ويأمر بالكاف والنون فيكون ما يكون، لكى يجد كل إنسان الإشعاع النورانى، فهو وحده صاحب المشيئة، يشعشع فى أعماق النفوس ويضئ كل ما حوله وصولاً إلى لحظة الخلاص الدينى. فهو لم يختر التصوف زياً، ولم يفهمه انعزاً وعزلة فقط، وإنما هو سعى إلى المعرفة وجهاد ضد النفس وحرب على الظلم والاستبداد والطغيان، ودعوة خالصة إلى الحق والعدل.

من هنا، فقد قرر الارتحال فيما وراء النهر إلى خراسان، شأنه شأن كثير من البصريين، واستمر يدعو ويعظ الجاليات العربية بشرق إيران (طالقان)، وبيث دعوته فى المدن، ويقيم على الحدود، ويرابط مع المرابطين فى الشغور.. وبعد خمس سنوات عاد إلى الأهواز، ومنها إلى بغداد ثانية، وبفضل ما لقيه من سند رسمى فى دعوته من (حمد القنائى ابن عم الوزير على بن عيسى بن الجراح القنائى) أتى ليقيم بأهله فى بغداد، يدعو للإصلاح والإصلاح وحوله عدد كبير من المريدين، فعظم أمره بين الناس، ويبدو أن الظروف لم تكن مواتية بفعل

خصومة بعض رجال الصوفية للحلاج، فضاقت به الحال من جديد، واستغل هؤلاء الخصوم ما بلغه الحلاج من شأو عظيم فى التصوف، وما وصله من منزلة روحية عالية، حتى صار يوصف بين العامة بـ «صاحب الكرامات»، ونظر إليه الناس على أنه خارق لقوانين الطبيعة المعروفة؛ مما جعل أعداءه يتهمونه بالألاعيب السحرية، والشعبذة والاتصال بالجن. ويتقولون عليه الأقاويل. فاختلطت الروايات، الصحيحة والمنحولة، واختلف المراقبون بين مؤيد مصدق لكراماته ومعارض منكر لها، ودرءاً للمواجهة وحققاً للدماء، اتجه الحلاج لطريق مكة - حاجاً - للمرة الثانية، وكان يصاحبه حوالى أربعمائة من تلاميذه ومريديه، يشكلون تظاهرة إيمانية تمثل النقمة على الفساد، وتصل هذه التظاهرة إلى بيت الله الحرام، وهكذا كانت رسالة الحلاج ودعوته لإحقاق الحق على كل المستويات، الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وإعلاء كلمة الله عز وجل،.. لقد أثر أن يظل بعيداً عن بغداد حتى تصفو الأمور، مبدلاً الأوطان، ومغيراً الخلان. مستأنفاً أسفاره ليقوم برحلة واسعة، أبعد من الأولى. شملت الرحلة - فيما بعد - بلاد الهند، والتركستان؛ حيث وصلها بطريق البحر، وصعد فى نهر السند، وذهب من ملتان إلى كشمير ماضياً فى طريقه، متوجهاً ناحية الشمال الشرقى حتى طرفان وهى المدينة التى تحدد الأطراف الغربية للصين، وفى رحلته مع القوافل الأهوازية يرمى إلى تحقيق روح الإسلام، وقد تعلم فى هذه الرحلة كثيراً من العلوم. واكتسب شتى أنواع المعرفة، وازداد تعمقه فى البحث عن دقائق الحقائق، فتعرف على مسالك الحكمة والعلم اللدنى، ومما يذكره ابن الجوزى عن رحلة الحلاج إلى الهند أن أحمد الحاسب قال لابنه على: «وجهنى المعتضد إلى الهند، وكان معى فى السفينة رجل يعرف بالحسين الحلاج، فلما خرجنا من المركب، قلت له: فى أى شىء جئت إلى هاهنا؟.. قال: جئت لأتعلم السحر وأدعو الخلق إلى الله، ويبدو أن هذا الخبر هو الذى حمل ابن تيمية - فيما بعد - أن يقرر أن للحلاج كتاباً مشهوراً فى السحر،.. فى

حين أن سحر الحلاج الحقيقي يكمن فى كتابته، فالكتابة وحدها عنده، -
والكتابة الشعرية على وجه اليقين - هى وسيلته الأولى للإفصاح عن الأسرار،
ووسيلته المرجوة للمعرفة، وأغلب الظن أنه لم يكن يقصد السحر بالمعنى
المتعارف عليه شيوعاً، وإنما قُصِدَ السحر المعرفى، سحر التوصل للحقيقة الربانية
والعلوم الدنية.

كان الحلاج يفكر فى الإنسانية كلها، فأتناء وجوده بالهند زاد نضجاً وعمقاً؛
واعتماد المجاهدات الشاقة، وتعلم التحكم فى نفسه، وأقام بينه وبين أهل الهند
جسوراً معرفية؛ فلقبوه بالمغيث، ولقبه أهل ماصين وتركستان بالمقيت، وأهل
خراسان بالمميز، وأهل فارس بأبى عبد الله الزاهد، وأهل خوزستان بالشيخ
حلاج الأسرار، كما لقبه أهل بغداد بالمصطلم، وفى البصرة المجيب، فهو عند
أهل خراسان ميمز الحق من الباطل ومفرق النور من الظلمة، ومن بغداد أفنى
ذاته ليصطلم بنار الشوق والحب اصطلام الفراشة بنار السراج ولأهل البصرة
هو المجيب للحق، ولأهل الهند المغيث من الوقوع فى شرك ضلال النفس،..
وفى خلال رحلته الطويلة الشاقة؛ توافرت له عدة أمور، أهمها ثبات العقل
ورجاحته، والتأمل الدائم، وحالة الوعى الصافى، فامتلك قدرة السيطرة التامة
على الحس والمنطق والذاكرة والإرادة.

ومن الهند يعود إلى بغداد سنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٢م، ليستقر بشكل نهائى، لا
يغادرها إلا لتأدية المناسك والشعائر الإسلامية، كان عمره قد بلغ حوالى ستاً
وأربعين سنة، يمر فى الأسواق والمساجد لكى يلتقى بالأقوال التى تشى بفطر
وجده، وصفاء قلبه ونفسيته الخالصة، ولشدة فرطه كان يبكى؛ حتى يبكى
الناس تأثراً به، فيها هو يتنكر للأنا، وينبذ كل شىء، إلا عشقه للواحد الأحد،
الفرد الصمد، ويدعو إلى عدم التعلق بالسراب والوهم. ويدعوه الله تعالى،
فيلبى، قاطعاً رحلته إلى مكة - حاجاً - للمرة الثالثة والأخيرة، وفى ذات الوقت

يتهمه الخصوم بأنه يريد محو الكعبة؛ وأنه يعتقد أن الشوق إلى الله، يجب أن يحو عقلياً في نفوسنا صورة الكعبة؛ كيما نجد من أقامها، وأن نحطم معبد بدننا لكي نبلغ من جاء إليه،.. إن الحلاج لا يعرف القول المجرد، فهو يمزج القول بالفعل، ويخلق - من خلال اللغة - عالماً داخل العالم، تتكون فيه المخلوقات رويداً، وبهدوء، تولد، وتنمو، وتتعانق كل الأزمنة في حاضر حي، وأثناء حجته الأخيرة يقف الحلاج بعرفات ويصيح: «لبيك»، وسأل الله أن يزيده فقراً، ويجعل الناس تنكره وتنبذه.. فلما عاد من مكة إلى بغداد نحو سنة ٢٩١ هـ = ٩٠٣ م، صرّح علانية برغبته في أن يموت من أجل الإنسانية ومن أجل إحقاق الحق، وكان يصلي في الليل عند القبور (مختصاً قبر الإمام أحمد بن حنبل)، أما في النهار فكان يلقي على قارعة الطريق بالأقوال الغريبة، ويصيح في الأسواق، وهو في حالة من الانجذاب والطرب، إنه هنا لا يفرق بين الكتابة والحياة، فهو يكتب الشعر - تماماً - كما يحياه، إنها حالة الوصول إلى الصفاء الكامل. وأثناء ذلك لاحظ ابنه حمد أن أباه قد تغير، وعرف أن الرحلة الأخيرة تعد فاصلة مفصلية في حياته. فقد توصل الحلاج خلال هذه الرحلة إلى الفكرة والمنهج اللذين يقومان على تغليب جانب الروح على الجسد؛ برياضة النفس بأشد ما تكون الرياضات لتمكين النفس من تقبل الرياضة الربانية التي يعجز البشر العادي عن أن يتحمل إشعاعها في نفسه، إنه يتجاوز ظاهر النص إلى باطنه كاشفاً عن حركيته وغناه الداخلي، فكان في رأى الحلاج أن صاحب الدعوة ينبغي أن يمضي في دعوته إلى الغاية التي ما بعدها غاية، دون تراجع. ورأى أنه ينبغي عليه إذا فشل في تحقيق فكرته: أن يبذل دمه ليغسل ذنوب البشر بسيل من حشاشته الإنسانية، ليكون موته في حال إخفاقه سبباً في ثقة الناس به؛ وتقديرهم لتضحيته، وإيمانهم بفكرته. وأراد الحلاج دعوة المؤمنين للقضاء على عار الجرأة على القول باتحاد ذاته بالالوهية؛ أن يقتلوه، فأثارت دعوته شعور العامة، واهتزت الأوساط المثقفة، خصوصاً وفي ظل ما كتبه من رسائل عن

موضوعات شائكة، لم يتناولها السابقون عليه، فظلت مثاراً للخلاف والجدل، وقد أنفق حوالى عشر سنوات يبشر بدولة الروح، وخلال هذه الدعوة، فقد مودة صحبه وأصدقائه من رجال الصوفية، كالشبلى وغيره لاستعظامهم دعوته وخوفهم من غلوائها وغوائلها، وبالفعل.... ثار محمد بن داود الظاهري؛ الفقيه السنى، ولم يحتمل تلك الدعوة، فاستغل مركزه كقاضٍ فى محكمة كبير القضاة ببغداد، ورفع أمر الحلاج إلى المحكمة طالباً ومطالباً الحكم بقتله، وقد وقع على هذا الأمر معه آخرون؛ ولكنهم جميعاً اصطدموا بمعارضة قاضٍ شافعى نزيه هو ابن سريج: أبو العباس أحمد بن عمر، وكان من عظماء الشافعيين، وأئمة المسلمين، ويقال له: الباز الأشهب، ونظراً لخفاء حال الحلاج عنه فقد قال: إن مثل هذا الإلهام الصوفى لا يدخل فى اختصاص المحاكم الشرعية. وأنقذت هذه الفتوى رقبة الحلاج، ليستقر، ويتغير عما كان عليه فى البدايات، فاقتنى العقار، وبنى داراً، وانقلب إلى المعارضة السياسية لنظام العباسيين الجائر، وبحث عن حلفاء وأنصار، وسرعان ما اتصل بالعلويين فقصده إلى الكوفة للتشاور مع أبى الحسن العلوى، الذى كان ميالاً للصوفية، وصديقاً مريداً لأبى على الخواص... ويبدو أن هذا العلوى لم يكن مستعداً للمغامرة، مما اضطر الحلاج لأن يتجه إلى علوى آخر أكثر تقبلاً لآرائه هو أبو عمارة محمد بن عبد الله الهاشمى، الذى يبدو أن اشتراكه مع الحلاج فى كنية واحدة هى «أبو عمارة» كان شيئاً يتجاوز المصادفة إلى الوحدة الروحية، وصار أبو عمارة يتكلم فى البصرة عن مذهب الحلاج، ويدعو إليه، وكان الحلاج يبحث الناس على الصلاح وعصيان النفس الأمارة بالسوء. ويدعوهم إلى الحب الإلهى، وكلما أمعن النظر فى جور الحكام وظلمهم للناس وإصرارهم على جمع المال، كلما زاد إصرار الحلاج على موقفه وتشدده، ومعارضته للوضع القائم، وتقربه للبسطاء المستضعفين، فتمرد على محبة الدنيا، وحذر الناس منها؛ وأنذرهم من تقلباتها، وتهكم على المتقربين للحكام والمتزلفين، فكانت

دعوته للتمرد على الظلم، وثورته على الفساد والمفسدين، وفي مقدمتهم أولئك الحكام أولى الأمر ببغداد. وبخاصة الوزير حامد بن العباس، الذي كان جشعه وحبه للمال، وشغفه بالسطوة يزيده خوفاً من افتضاح أمره إن هو أبقى على رجل مثل الحلاج، ولهذا السبب وغيره لقي الحلاج بعد ذلك الكثير من العنت والتعنت، فقد اتهمه السيرافي والفسوى. مدعين أنه أجاب بإجابة مشهورة أثارت كثيراً من التأويلات عندما استجوبه صديقه الشبلى، وهو شاعر صوفى فأجاب الحلاج - حسب ادعاء الرواية - وقد أخفى عينيه نصف إخفاء بطرف كفه قائلاً: «أنا الحق»...

..... وهناك امتعض الشبلى. وكان العباسيون قد توجسوا خيفة من دعوة الحلاج وأنصاره، ورأوا فيه خطراً على مصالحهم الشخصية، مما جعل الوزير على بن محمد بن الفرات يقرر القبض على الحلاج، فقد وشى به رجل من أهل البصرة، لكن الشرطة لم تتمكن منه لهروبه المستمر.

أحيا الحلاج في قلوب الكثيرين رغبة عارمة للإصلاح الأخلاقي الشامل، وأقنع غالبية المؤمنين بفكرته عن مدى الفائدة الاجتماعية التي يجنونها من الصلوات. وكانت له رسائل ومراسلات تحتوي بين سطورها الهداية الروحية، مما هيا له الخوض في السياسة العامة، وفي تلك الظروف انفجرت المؤامرات التي دبرها بعض الداعين إلى الإصلاح كالقنبلة الموقوتة، فلما أعيدت الخلافة إلى الخليفة المقتدر وهو غلام صغير؛ لم يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة، وكان وزيره على بن محمد بن موسى، ابن الفرات من الشيعة، وظل ابن الفرات يبحث عن خصمه وعدوه اللدود؛ الحلاج، الذي كان هارباً، فقد شعرت الدولة العباسية بكل جبروتها - آنذاك - بالجهد الذي يبذله الصوفى الهارب في الثورة عليها، وتقويض نظامها، وإسقاطها من الداخل، فدامت مطاردته ما يربو على السنتين الكاملتين، وفي سنة ٣٠١ هـ = ٩١٣ م، وأثناء البحث الدءوب، قبضوا

على غلام للحلاج، يعرف بالدباس، فأطالوا حبسه، وتعذيبه، وأوقعوا به مكروهاً، وبعد أن خَيَّبَ آمالهم، بذلوا له مالاً؛ لكي يجوب ويجول في طول البلاد وعرضها خلف الحلاج، سعياً في طلبه، وأمر الوزير ابن الفرات رجاله بإحكام مراقبة الغلام، وبالتالي أصدر أوامره الصريحة بإلقاء القبض على الحلاج وأتباعه ومريديه، فتم القبض على أربعة من تابعيه، ونجا الحلاج ومعه الكربائى، وذهبا ليختفيا ببلدة سوس بالأهواز، وهى مدينة حنبلية.. وبعد حوالى ثلاث سنوات من التفتيش المتواصل بقيادة بعض الخونة، ذكرت امرأة للشرطة: «أنه قد نزل فى دار، رجل يعرف بالحلاج، له قوم يصيرون إليه فى كل ليلة، خفية، ويتكلمون بكلام منكر»، وعرف أبو الحسن على بن أحمد الراسبى موطن الدار التى دلته عليها المرأة، فقبض على الحلاج، وجيء به إلى بغداد، فسُلم إلى جابى الضرائب بعد أن أركبوه جملاً، وشهروا به، وجرسوه، ونودى عليه: «أحد دعاة القرامطة.. فاعرفوه».. وحُبس.

وقد ذكر ابن الجوزى أن الذى قبض على الحلاج، هو عبد الرحمن خليفة على بن أحمد الراسبى. وهنا ابتدأت بداية نهاية قضية الحلاج التى استمرت حوالى تسع سنوات، تقدم إليه حامد بن العباس، وكان قد قرر الانتقام، نتيجة ما أشاعه الحلاج ضده كمحصل ضرائب قاس، فتوجه إلى الحلاج قائلاً: «ألست تعلم أنى قبضت عليك بدور الراسبى، وأحضرت، فكيف ادعيت بعدى الألوهية؟». وتم الأمر بسجنه وصلبه صلب الاشتهار وهو حى.

خلاصة القول إنهم حين قبضوا على الحلاج واقتيدت معه زوجته، وولد من أبنائه، واتهموه بالقرمطة، وهى تهمة ليس عليها دليل، وتعتبر أسرع التهم إلى الأفواه، فالدولة العباسية لخشتها القرامطة، جعلت القرمطة تهمة العصر.

وتعد هذه المرحلة النهائية - على وجه التحديد - بمثابة ذروة المحنة فى تاريخ الرسالة الحلاجية، ففى سنة ٣٠١ هـ = ٩١٣ م، جئ بوزير جديد هو على بن

عيسى الجراح، وكان أحد أعضاء وزارته «حمد القنائي» حلاجياً صريحاً، يجهر بالدعوة الحلاجية فى وضوح وثقة، فأفسد القضية بشكل مؤقت ومنع كبير القضاة من النظر فيها، عملاً بفتوى ابن سريج الذى أصدرها من قبل، وأطلق سراح تلاميذ الحلاج وأتباعه، ولكن خصومه - وهم كثر - استطاعوا الظفر بالحلاج، وعرضوه مصلوباً لمدة ثلاثة أيام؛ بحجة واهية، هى أنه يعد «داعى القرمطة». فتم حبسه وصلبه، مرة فى الجانب الشرقى من مجلس الشرطة، ثم فى الجانب الغربى مرة أخرى، حتى رآه الناس وهو معلق بجبل تحت إبطيه كالجرة المعلقة على خشبة، وقد استغرق على هذا الحال أياماً متوالية - كما سبق القول - ينزل به ويحبس، ثم يصلب ثانية، وظل ينقل من حبس إلى حبس، إلى أن انتهى أمره بالحبس الدائم فى مؤخرة قصر السلطان. ولم يمنع الحبس أو الاعتقال، الحلاج، من التعبير عن أفكاره، وإظهار مواهبه فى الفراسة السياسية وقراءة الأفكار، وإطلاق الكرامات، والتأثير على من حوله، ومن هنا يتجلى للعيان أن فترة حبسه تعد من أخصب ما مر به فى سنى حياته، ويكفى أنه كتب فى هذه الفترة العصية كتابه «الطواسين». لقد اضطر حامد بن العباس أن ينقله من سجن إلى سجن خشية إنقاذ أتباعه له، لكنه لم يستطع سجن أفكاره، فحين استقر به المقام فى حبس منيع؛ ليكون تحت رقابة مشددة من الشرطة، وجد الحلاج فى السجن الطمأنينة وهدوء النفس، فكتب كتاب «السياسة والخلفاء» وكتاب «الدرة»، الذى صنفه باسم نصر القشورى، حاجب المقتدر.. فى تلك الأثناء، وفى المشرق على وجه التحديد، تفاقم أمر جماعات الخوارج، فدخلوا الرى، وهو أمر فظيع، يمثل خطراً على مستقبل حامد وأعوانه، ويعود بالضرر المباشر على مدخراته المالية، ويهدد مصالحه، وحتى يستطيع أو يتمكن من القضاء على حركات الخوارج، فإن الأمر يتطلب وجود الأموال الكافية لتحقيق هذا الهدف، فقرّر زيادة الضرائب، وشدد قبضته فى جبايتها، لكن اثنين من رجال القصر هما الوزير على بن عيسى الجراح القنائي، والحاجب نصر

القشورى؛ وقفاً دون زيادة الضرائب، فأقنعا الخليفة برفع الضمان عن حامد؛ وصرف عماله عن سواد العراق، وتخفيف الضرائب، وفتح المخازن، وتخفيض الأسعار؛ حتى تخبو جذوة الثورة، وهكذا غلت يدى حامد بن العباس.

وفى قصر الخليفة، كان الحاجب نصر القشورى من أهم حُماة الحلاج، إلى جانب حام آخر، هو أم المقتدر نفسها، وهى الملقبة بالسيدة، وكانت ذات شخصية طاغية قوية، وحين رأت البسطاء يميلون إلى الحلاج ويتبركون به، وينشدون دعاءه؛ زاد إعجابها له، وتحركت أمومتها خوفاً على وليدها عندما أصابته الحمى، وكادت تفتك به، حتى أنه بقى محموراً ثلاثة عشر يوماً، فطلبت استدعاء الحلاج، وهى ملتاعة، تخشى أشد ما تخشاه من تفاقم الأمور، ومضاعفة آثار الحمى؛ حتى تكاد تودى بحياة ابنها، وهنا تدخل الحاجب نصر القشورى، فطلب من الحلاج المثول فى حضرة الخليفة لرقياه، خصوصاً بعد أن فشل فى علاجه أطباء كبار؛ يشار إليهم، أمثال: بختيشوع بن يوحنا، وأبو بكر الرازى، وسانان بن ثابت،.. فلم يفلح علاجهم فى حالة المقتدر، ولما رقاها الحلاج استجاب للرقية فعولج من أزمة الحمى وهى من قصص وحكايات الخوارق الشعبية.

وهكذا استطاع الحلاج أن ينعم براحة البال داخل قصر الخليفة لفترة ما، وإن قصرت، ولكنه أحس بالأخطار تتهدده كل يوم، ومن كل صوب؛ فكانت المؤامرات تحاك ضده... وفى هذه الفترة اتجه قطاع من العامة للتمرد على الأوضاع المتردية، وكان المتمردون يدينون بالولاء للحلاج - على وجه الخصوص - وللصوفية - بوجه عام - فهم من أصحاب القيم الروحية، وكان على رأسهم صديق الحلاج وتلميذه المخلص أحمد بن عطاء الأدمى، ولشدة دهاء حامد بن العباس وخبثه، فقد استغل حالة الشغب والتمرد، فوجد فيها فرصة مواتية، تتيح له الانتقام من خصميه، فاستغل الموقف لينقض من خلال

تمرد ابن عطاء، فيحاكم الصوفى الثائر، الذى فتن الناس، حتى وهو بين غياهب السجن، فقرر إثبات زندقته وتآمره على الخليفة، وعلى الدولة العباسية، ولا يمكن أمام هذه التهم الشنعاء أن يتصدى حامياه على بن عيسى، ونصر القشورى لهذه القضية. فهى بكل المقاييس قضية شائكة، ويمكن لها إضعاف نفوذهما، وزعزعة ثقة الخليفة فيهما، وهكذا أطلقت يدا حامد، فزاد ما شاء فى جباية الضرائب ليشبع نهمه وجشعه وحبه للمال. وقد نجح فى خطته، فأثار عند الخليفة قضية الحلاج. مظهرًا إياه فى صورة خائن أشر، موضعاً مكامن الخطر إن هو بقى على قيد الحياة، وأوغر صدر الخليفة، فمنع عليًا بن عيسى من نظر القضية، ومنع نصر القشورى من حراسة الحلاج وحمائته، مذيّقًا الحلاج ألوان العذاب والاضطهاد والتنكيل، ولزيادة إحكام قبضته، أمر بالقبض على ابن عطاء، باعتباره صديق الحلاج وتلميذه المخلص الوفى، ولما سبق إليه، حاول إرغامه على الشهادة ضد الحلاج، فاستدعاه ذات مرة، وحين دخل ابن عطاء، جلس فى صدر المجلس، مما أثار غضبة حامد، لكنه كظم غيظه، وحاول بكل السبل استمالة ابن عطاء إليه، ولكن ابن عطاء بما أوتى من شجاعة ورباطة جأش، لم ينصع لأوامر حامد وتهديداته، رافضاً التعاون معه - فى تلفيق الأكاذيب - لهلاك الحلاج،... لقد حاول حامد إرهاب ابن عطاء لاستخلاص شهادته بإدانة صديقه وأستاذه، فسأله بشكل مفاجئ: هل يصوب اعتقاد الحلاج؟.. غير أن فتوة ابن عطاء وولاءه لأستاذه، حملاه على أن يواجه الوزير بقوله: مالك ولهذا؟.. عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم!.. مالك ولكلام هؤلاء السادة. فزاد غضب الوزير وقال: «فكّيه».. فضرب فكّيه.. فقال ابن عطاء: «اللهم إنك سلطت هذا على عقوبة لدخولى عليه».. فقال الوزير: «خُفَّه يا غلام» فنزع الغلام خف ابن عطاء. فقال حامد: «دماغه».. فأخذ الغلام يضرب رأس ابن عطاء بالخف، حتى سال الدم على منخريه... مما أفقده الوعى، ثم حمل إلى منزله ليموت بعد ذلك بأسبوع، فسبق

الحلاج إلى بارئه بنحو أسبوعين، ولم يشهد العذاب المريع الذى يفوق الاحتمال، حين تعرض له صديقه فيما بعد. وقد روج المعتزلة - فى تلك الآونة - شتى أنواع الشائعات، ناشرين الأكاذيب المختلفة، والمختلفة، مدعين أن للحلاج حيله السحرية التى يمارسها على أتباعه، واستطاع حامد بن العباس إغراء بعض أصدقاء الحلاج، من ذوى النفوس الضعيفة، فخشى بعضهم رهبته وترهيبه، وأذعن البعض لرغبته وترغيبه، فشهدوا بادعاء الحلاج الألوهية، وهى التهمة التى حاول حامد دمج الحلاج بها مراراً وتكراراً، وقد زعم حامد أنه وجد فى كتب الحلاج ما يصلح أن يكون فقهاً لمذهبه، فقال - مدعياً عليه القول - إنه إذا صام الإنسان ثلاثة أيام بلياليها، ولم يفطر، وأخذ فى اليوم الرابع بعض وريقات الهندباء^(١)، وأفطر عليها، أغناه عن صوم رمضان.. وإذا صلى فى ليلة واحدة ركعتين من أول الليلة إلى الغداة، أغنته هذه الصلاة بقية عمره عن الصلاة بعد ذلك، وإذا تصدق فى يوم واحد بجميع ما ملكه، أغناه الله عن الزكاة.. وإذا بنى بيتاً، وصام أياماً، ثم طاف حول البيت عرياناً، مراراً أغناه الله عن الحج، وإذا سار إلى قبور الشهداء بمقابر قريش فأقام فيها عشرة أيام يصلى ويصوم، ولا يفطر إلا بشيء يسير من خبز الشعير والملح، أغناه الله عن العبادة باقى عمره.

ولم يكتف حامد باختلاق الأكاذيب، وإنما زين له خياله المريض أن يطعن الحلاج فى شرفه، فزعم أنه استدعى ابنة السمرى - التى وعدّها الحلاج بتزويجها من ابنه سليمان - واستجوبها، وهى التى كانت مقيمة عند الحلاج، فى سجنه، مع أسرته، فقالت (حسبما أرغموها): «كنت نائمة، والحلاج قريب منى، فما أحسست إلا وقد غشيتنى، فانتبهت فزعة، فقال: إنما جئت لأوقظك للصلاة!».

(١) الهندباء: كلمة إيطالية الأصل استخدمها العرب، ومرادفها العربى هو اللّعاة: وهو عبارة عن نبت برى ناعم فى أول ما يبدو، أخضر اللون ويطلقون عليه فى مصر الشيكوريا أو الجعضيض أو السريس.

كل هذا الادعاء والحلاج بين أسرته، وقد بلغ من العمر خمساً وستين سنة فكان من نتيجة تضايف الادعاءات، وحبكها مجتمعة، أن ظل الحلاج فى الحبس لا يفارقه إلا للتعذيب.. فإذا كان ابن الفرات لم يجسر - أثناء وزارته الثانية - أن يعيد فتح باب القضية من جديد، خوفاً من أم الخليفة، فإنه حاول الكرة من جديد.

واستطاع الحلاج - فى تلك الفترة - أثناء حبسه، أن يستكمل مؤلفاته الأخيرة، وأحدها «طاسين الأزل» وعنوانها الكامل هو «طاسين الأزل والالتباس فى صحة الدعاوى الخاصة بالوحدة الإلهية بعكس المعانى». وهى رسالة رائعة.

إذا كان ابن الفرات لم يستطع فتح القضية، فإن حامد بن العباس قد وجد الفرصة سانحة، فخطط، وترك أعوانه وزبانيته ينفذون، وقد سرت فى قصر الخليفة دعاية مغرضة، صادرة عن أحد غلاة الشيعة وهو الشلمغانى، حيث ادعى على الحلاج أنه يقول: «إن الإيمان والكفر، والفضيلة والرذيلة والنجاة والعذاب، كلها متقابلات ضرورية، وكلا الحدين مقدس، مرضى عنه عند الله». وباستجلاء تاريخ الشلمغانى، نتبين أنه حضر إلى بغداد بصحبة حامد بن العباس، الذى كان يستشير فى كل ما يهمه من الأمور، بالإضافة إلى أن صهر حامد وهو أبو الحسين ابن بسطام كان تلميذاً مخلصاً - كل الإخلاص - للشلمغانى. وهذا الأخير كان رجل دسائس ومؤامرات، وقد حرص - من قبل - على قتل بعض أكابر القنائين، وبالتالي قتل أنصار الحلاج،.. ولا بد أن يكون حامداً قد استشاره حين أراد إدانة الحلاج، ويرجح أنه اقترح - فى هذا - ضرورة تعذيبه وإيلامه. فكان حامد بن العباس ينقل الحلاج من حبسه إلى بيته (أى بيت حامد) مبالغاً فى الحرص وإمعاناً فى الحيلة، وكان يتفنن فى إهانته وإيذاءه. مفتوناً بإخراجه أمام الحضور لسؤاله، معتمداً السخرية منه، وقبل إعطائه فرصة

الإجابة، يصفعه، ويتنف لحيته، ثم يستنطقه، فلا يظهر منه ما تكرهه الشريعة المطهرة، وكان مما أنقم حامداً وزير المقتدر، وعلى بن عيسى الجراح، أنهما وجدا ضمن أوراقه ورسائله لفظة «النور الشعشعاني». فلم يهتديا إلى معناها، ولم يدريا ما المراد والمغزى، وما معنى الاصطلاح، فسخرأ منه. وناصبأه العداء.

كانت بغداد - في ذلك الحين - أكبر عواصم العالم المتمدنين، فكان يجب على أولى الأمر أن يسلكوا مسلكاً حضارياً، ولكن هيهات،.. نصبت منصة مرتفعة في القلب من بغداد، وجرت المحاكمة.

كانت الأزمة المالية الطاحنة قد أدت إلى اختيار أشكال جديدة من نظم الحكم، فتشكلت وزارة ائتلافية، تسرب إليها حامد بن العباس، مستعيداً دوره القديم كمحصل خراج، قاس، متجبر، إلى جانب على بن عيسى، وفي واحدة من ثورات الصناع الجياع، الذين ركدت بضاعتهم، وساءت أحوالهم، وتدهورت معيشتهم، فتحولت صرختهم إلى انتفاضة شعبية هادرة، أطاحت بكل الحصون والقلاع، فهاجمت المحتكرين ومخازن الاحتكار بما تحتويه من خيرات خبيثة مخزونة، وثروات مدفونة، وفتحت السجون على مصراعيها، ويقال إن الحلاج رفض الفرار من حبسه، وارتحل حامد إلى واسط، لكنه، وبعد بضعة أسابيع، استفاد - مرة ثانية - من عودة مؤنس الخادم كبير القادة إلى بغداد، فعرض عليه ضرورة القضاء على الحلاج، ولكنهما ارتأيا مجانبة الوزير البلعمي، وهو شافعي من أنصار الحلاج، وقد رفض من قبل الانصياع للأوامر، ورفض - أيضاً - تسليم أتباع الحلاج.

قرر حامد استئناف النظر في قضية الحلاج، مهما كلفه ذلك، ووفق في هذا بفضل شخص ثالث، هو أبو بكر بن مجاهد، شيخ الحفاظ، وصاحب الكلم المسموع، وخضم الحلاج، فمنع ابن عيسى من النظر في قضية الحلاج - كما ورد من قبل - ومنع نصر القشورى من حراسته، وأوكلت القضية برمتها إلى حامد، فتظاهر الحنابلة ضد حامد. ودعوا عليه في شوارع بغداد، احتجاجاً على

سياسته المالية، ومن أجل إنقاذ روح الحلاج. (وكان هذا الاحتجاج بإيعاز من ابن عطاء، قبل أن يقتل ولما رفض ابن عيسى، وصديقه المؤرخ الطبرى الالتجاء إلى التمرد والفتنة؛ انقلب الحنابلة على الطبرى، وحاصروه فى بيته)، ولكن الوزير حامد كسب الجولة الأخيرة من المعركة، حين دعاه الخليفة المقنن للمحافظة على النظام، فتمكن من الموقف، وألجم حركة المحتجين، وصار فى وسعه أن يشكل المحكمة على هواه، ووفق رغبته وميله... وبالفعل، مثل الحلاج أمام محكمة غريبة الهيئة، لا تمثل المذاهب الفقهية الأربعة؛ فقد استطاع الوزير حامد أن يحبك خيوط المؤامرة مع كل من القاضى الحنفى؛ أبو جعفر البهلولى، الذى كان قد اعترض على قتل الحلاج، ما لم يقر - صراحة - بالزندقة على نفسه، وهنا لم يمهله حامد، بل عين قاضياً آخر، حنفياً؛ هو أبو الحسين عمر الأشنانى، كما حضر رئيس الشهود؛ القاضى عبد الله بن مكرم، هذا بالإضافة إلى القاضى أبى عمر الحمادى، وهو معروف بتملقه لسلطان القائمين بالأمر، وبحث القاضى عن أسباب مقننة لاستصدار حكمه بإعدام الحلاج، أو بأقصى عقوبة تلى الإعدام، فزعم أنه «وجد عند الحلاج دفاتر تضمنت نصاً يقول: إن الإنسان إذا أراد الحج، ولم يمكنه ذلك، فإنه يستغنى عنه بأن يعمد إلى بيته، ويفرد فيه مكاناً، يطهره، ويطيبه، ويعمل له محراباً يشبه الكعبة، ويغتسل، ويحرم، ويقول، ويفعل، ويصلى، ويطوف حوله، كما لو كان فى مكة، ثم يجمع ثلاثين يتيماً، فيكرم ضيافتهم، ويطعمهم، ويخدمهم بنفسه، ويغسل أيديهم، ويكسوهم، ويدفع لكل منهم سبعة دراهم».

وادعى القاضى أن هذا شىء شبه متعارف عليه لدى أتباع الحلاج ومريديه، فإنه يقوم مقامه لمن لا يقدر على الخروج بإضافة أو منع أو علة... واستطرد القاضى أبو عمر: إن فى ذلك دعوة صريحة لهدم الكعبة، فما مصدر ذلك؟.. سؤال وجهه أبو عمر الحمادى للحلاج، الذى أجاب إنه قرأه فى كتاب الإخلاص للحسن البصرى، فأنكر أبو عمر وجود ذلك الكتاب، وأصر الحلاج على قوله، فانتفض أبو عمر، ونهر الحلاج قائلاً: «يا حلال الدم».

فلما سمع الوزير ذلك، قال لأبى عمر: «أكتب بهذا»، فدافعه أبو عمر وتشاغل عنه، غير أن حامداً أصر، وألزمه بذلك، ملحاً عليه إلحاحاً لم يمكنه معه المخالفة، خصوصاً وأن القاضى ابن الأشنانى وافق على ذلك، فكتب بإباحة دم الحلاج، وكتب معه من حضر المحكمة - بيده - من قضاة وشهود. وجرت المحاكمة فى صورة استجواب للحلاج فيما نسب إليه، ومضت الأسئلة والأجوبة، ومن خلال استعراض المصنفات، جرت الأمور فى البدء لصالح الحلاج، إلى أن وصلت المحكمة إلى ضالتها المنشودة، ألا وهى فقرة ملفزة، ذات معنى باطنى، تقبل التأويلات المختلفة، والاجتهادات، وكانت هذه الفقرة - مرة أخرى - عن فريضة الحج، وردت فى أدلة الاتهام، وكما نص عليها كتاب «الصدق والإخلاص»، فلما توقف القاضى أبو عمر الحمادى - مرة أخرى - مستفسراً عن مصادرها، فكان جواب الحلاج - ثانية - أنه وجد حكمها فى كتاب الإخلاص للحسن البصرى.. ومن هنا يتضح مدى برودة الاستجواب، ووجود نية مبينة، فقد استمر القاضى أبو عمر فى المحاكمة على مضض، فأصدر حكمه فى النهاية بالإعدام، لا عن اقتناع، وإنما خوفاً من بطش الوزير. إذ لم ير فى أقوال الحلاج - حسب الوقائع أى كفر أو إلحاد، أو شبهة زندقة، فالحلاج لم يجز ما أبجازه فى أمر فقرة الحج لأى قادر، وإنما رهن فقرته بضيق ذات اليد، وعدم القدرة المادية أو الجسدية، أما جملة «يا حلال الدم» التى أطلقها القاضى أبو عمر، فقد وزدت نتيجة انفعال عصبى حاد، وبسبب ضغوط الوزير حامد، وقيلت فى سياق الشتم، لكن الوزير أرغمه على إثبات هذه العبارة وتدوينها، واتخاذها مبرراً للحكم بالإعدام حكماً مبرماً لانقض فيه. وخلال اليومين التاليين لنطق الحكم، بذل كل من نصر القشورى، والدة الخليفة ما فى وسعهما سعيّاً لدى المقتدر، فبدل حكم الإعدام، وخفف، واستبدله بالسجن.. فارتبك الوزير حامد ولوّح أمام الخليفة المقتدر بشبح الثورة

الاجتماعية العلاجية، وراح يسعى للاتفاق مع كبير القادة مؤنس الخادم على الخلاص من الحلاجيين، ومن سطوة صديقهم نصر القشورى.. وهنا..

لابد من ملاحظة ما انطوى عليه تشكيل طاقم القضاة من تحيز وسوء نية - من قبل حامد بن العباس - تحقيقاً لرغبته العارمة فى الانتقام. فمن المعروف أن المالكية لا يجيزون توبة الزنديق، بعكس أتباع المذاهب الأخرى، فكأن تعيين أبى عمر الحمادى على رأس هيئة المحكمة، إنما أريد به الحكم بالإعدام لا غير. ومما يؤكد هذا الاستنتاج أن قضاة الشافعية لم يُمثلوا فى المحاكمة، ويرجع ذلك إلى سبب فى غاية البساطة والوضوح، وهو قبولهم الصريح لتوبة الزنديق، والحكم بإطلاق سراحه متى اعترف وتاب وأتاب.. كما قُصِدَ باختيار أبى جعفر البهلول كبج جماح السيدة الوالدة من التدخل لدى الخليفة المقتدر لصالح قضية الحلاج، أما القاضى أبو الحسين الأشنانى، وهو المفضل عند السيدة شغب؛ أم المقتدر، فقد وقع فريسة سهلة لرهبة حامد بن العباس، مما جعله يتفق وفتوى القاضى المالكى. وأهم ما يؤخذ على تلك المحاكمة - فى عمومها - إخضاعها للقلب الدينى البحت، على الرغم من كونها محاكمة سياسية... وقد نجح حامد فى أخذ توقيع الخليفة للأمر بإعدام الحلاج، وكانت هذه الحادثة مفاجئة لنصر القشورى، فلجأ إلى السيدة الوالدة، للتوسط لدى ابنها، لإلغاء الحكم وإصدار عفو عن الحلاج أو تأجيل التنفيذ والتروى فى المسألة، أو تخفيف الحكم، وتقدمت السيدة والددة المقتدر إلى ابنها بما طلبه نصر القشورى، ولكن المقتدر رفض الطلب رفضاً باتاً.

وها قد أفلحت مؤامرة الوزير حامد، ومن خلال الشهود الذين شهدوا بصحة المحاكمة، ووافقوا على الحكم، فاستطاع أن يضرب ضربه، فأحضر عددًا وافراً منهم بمعونة عبد الله بن مكرم؛ الذى اعتاد احترام شهادة الزور،

وبلغ عدد الشهود أربعة وثمانين شاهداً، مما حدا بالوزير أن يكافئ عبد الله بن مكرم بتقليده منصباً فخرياً في قضاء الفسطاط. وفي الثالث والعشرين من ذي القعدة؛ أعلنت الأبواق أن الوزير يتهاً لتنفيذ الأمر بالإعدام، فأسلم الحلاج إلى رئيس الشرطة ابن عبد الصمد، واتخذت الشرطة الاحتياطات للحيلولة دون اندلاع ثورة.. وفي المساء ظل الحلاج في حبسه، يوطن نفسه، ويشجعها على الاستشهاد. لم يتوقع الحلاج أن يكون تسليمه - على هذه الصورة - بناء على نقل المتواتر من الشائعات، وحتى تلك الأقاويل لا يمكن أن تعد مدعاة لحكم الإعدام، ولم يتوقع الحلاج التآمر، ومن هنا احتج بشدة مجاهرًا: «ظهرى حمى، وجسمى حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا على بما يبيحه الدين. وأنا اعتقادی الإسلام، ومذهبي السنة؛ وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين؛ وبقيّة العشرة من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ولى كتب فى السنة، موجودة فى الوراقين.. فالله فى دمي».

وفى الرابع والعشرين، بباب خراسان، وبحضرة مجلس للشرطة، وأمام جمع غفير، جرى بالحلاج، وضرب ألف سوط، استعداداً لقطع يديه ورجليه، وصلبه وهو لا يزال حياً. فكانت الفرصة شبه قائمة عند أصدقائه وأعدائه لاستجوابه؛ لإراحة ضمائرهم، بينما كان الثائرون يحرقون بعض الدكاكين فى الأسواق، ولم يأت أمر الخليفة بالإجهاز عليه إلا عندما وافى المساء، فأجل أمر الإعدام إلى صبيحة الغد، حتى يستطيع الوزير حضور النطق بالحكم..

لقد تم عدد السياط ألفاً لدى جلاديه، وسوطاً واحداً لديه. فبقى على قيد الحياة وكأنه أراد أن يظهر للناس ولجلاديه كيف يكون الصبر وعزم الأمور.. وكان حامد بن العباس قد قال للمقتدر وهو يستحثه الموافقة على الأمر بالإعدام: «إن أصابك شىء.. فاقتلنى يا أمير المؤمنين، إن الحلاج إن بقى قلباً الشريعة؛ وارث الخلق على يده، وأدى ذلك إلى زوال سلطانك، فدعنى أقتله،

وإن أصابك شئ فاقتلنى». فأذن الخليفة له، وكان تصديق المقتدر على الحكم مقترناً بصورة تنفيذه - وكأن الأمر كان معداً له من قبل - على شكل فظيع، لم تجر العادة به فى مثل حالة الحلاج:

«إذا كان القضاة قد أفتوا بقتله، وأباحوا دمه، فلتحضر محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، وليتقدم إليه بتسليمه، وضربه ألف سوط، فإن تلف تحت الضرب، ولم يميت، فتقدم بقطع يديه ورجليه، ثم اضرب رقبته، وانصب رأسه، وأحرق جثته». لقد تخوف ابن عبد الصمد صاحب الشرطة من أنصار الحلاج، وخشى أن ينتزع الحلاج من يده عنوة، فوقع الاتفاق بينه وبين حامد بن العباس على أن يحضروا به فى العتمة، حتى يصلوا إلى الجسر، مكان الإعدام، وكان ذلك ليلة الثلاثاء، فلما حل الظلام بالفعل، قدم ابن عبد الصمد وجماعته على بغال موكفة إلى دار حامد بن العباس حيث كان الحلاج قد نقل. وتنكر رجال الشرطة وجروا مجرى الساسة للبغال. وحمل الحلاج على واحد من البغال، وأدخل فى غمار القوم، وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه إلى رحبة الجسر مكان الإعدام، وبات الحلاج ليلته فى حبسه يهيم نفسه للاستشهاد.

وفى اليوم التالى، برز الحلاج إلى ساحة الإعدام فى رحبة الجسر بباب خراسان، فى الجانب الغربى من بغداد، شيخاً فى الخامسة والستين، أبيض الشعر واللحية، له علامة فى رأسه، هى ضربة، واجتمع عليه خلق كثير، وتقدم، فصلى الركعتين اللتين سنهما خبيب بن عدى قبل القتل فى الإسلام الأول، فبعد أن جدع كبير الشرطة أنفه أمام حشود الجماهير، رفع الحلاج يديه إلى نافورة الدماء، فغسل راسه وتوضأ قائلاً: «ركعتان فى العشق - تعالى - لا يصح وضوءهما إلا بالدم».. ويروى فريد الدين العطار - نفس الرواية فى قالب شعري - قائلاً: «مسح الحلاج وجهه بيديه المبتورتين النازفتين دمًا، حتى تلطخ وجهه وساعده بالدم، فقالوا له: لم فعلت ذلك؟

.. قال: لقد ذهب من جسمى دم كثير، وأعلم أن وجهى قد اصفر، وقد تظنون أن اصفرارى نتيجة للخوف. فمسحت وجهى بالدم حتى يكون فى نظركم محمراً، فحمررة خد الرجال لا تكون إلاً بدمائهم. فقالوا له: عندما حمّرت وجهك بالدم. لم لطخت ساعديك أيضاً؟.. فأجاب: إني أتوضأ..».

وكان حامد قد دعا الشهود الموافقين على الحكم ليتلو كل واحد منهم وبصوت عال، أمام الجميع وفى ساحة الإعدام: «نعم، اقتله!... ففى قتله صلاح المسلمين، ودمه فى رقابنا» بعدها سقطت يداه ورجلاه، ومسح الجلاد سيفه، ثم قطع رأسه، وسقط، فعلق على حربة، وصب الزيت على جذعه، وأحرق بالنار، وألقى فى النار، وألقى برماده من أعلى المئذنة فى الدجلة يوم ٢٤ ذو القعدة سنة ٣٠٩ هجرية، الموافق ٢٦ مارس سنة ٩٢٢ ميلادية.

ومما يذكر أن رأس الحلاج ويديه ورجليه حُمِلت من ساحة الإعدام إلى السجن الجديد الذى كان يقضى به أيامه الأخيرة، وعلى سور السجن نصب رأسه للناس لمدة يومين وإلى جانب الرأس علقت يداه ورجلاه.

أما فى دار الخلافة فقد ساد الوجوم على أم المقتدر السيدة شغب، وأصيب أصحاب الحلاج وأتباعه بالخيبة، وبعد أن أنزل الرأس عن سور السجن، احتفظ به لمدة سنة كاملة فى خزانة بدار الخلافة كانت مخصصة لحفظ رؤوس كبار من تم إعدامهم، وتسمى «خزانة المعدمين» ثم أخرج الرأس من دار الخلافة وحُمِل إلى خراسان، ليكون عبرة لرفاقه وأصحابه وأتباعه.

وروى بعض الشهود - بعد ذلك - أنهم سمعوا من الحلاج الكلمات التالية، وهى آخر ما فاه به:

«إلهى!.. إذ تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لم تتودد إلي من يؤذى فيك؟!». وأعلن شهادة التوحيد الشرعية الإسلامية قائلاً:

«حسب الواجد أفراد الواحد له». وهذه الكلمات وغيرها، مما استشعرت

فيها قلوب الأصدقاء أجوبة مفسرة لحاله،.. لعلها صحيحة كل الصحة من الناحية التاريخية؛ فإنها تحقق ما توقعه دعاؤه في عشيته الأخيرة: «نحن بشواهدك».

هكذا نفذ الحكم.. ولكن تنفيذ هذا الحكم لم يطر صفحة الحلاج، وإنما زادها إشراقاً ونصوعاً، وتزايد مريدوه وتلاميذته الأوفياء النجباء، يتوافدون من كل صوب نحو طريقته، واختلفت نظرة الأعداء له، فارتفعت الأصوات هادرة، قوية العبارات واضحة، تزيل الغبار عن سجل الحلاج المظموس، وتغسل الدم عن وجهه النوراني المرفوع فوق الرمح في شوارع خراسان، لتعيد إليه اعتباره، وترفعه إلى المكان اللائق به، فهذا هو أبو بكر الشبلي - الذي أعرض عنه في أخريات حياته - يقول: «كنت أنا والحلاج شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر... وكتمت».

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلي بن موسى بن عبد الله الحنبلي: «عثر الحلاج، فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده، ولو كنت في زمنه لأخذت بيده». ويضعه أبو حامد الغزالي بين العارفين الذين عرجوا إلى سماء الحقيقة، فيقول: «العارفون - بعد العروج إلى سماء الحقيقة - اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق. لكن منهم من كان له هذه الحال عرفاناً علمياً، ومنهم من صار له ذلك حالاً ذوقياً. وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع؛ لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً. فلم يكن عندهم إلا الله عز وجل».

انتهت محاكمة الحلاج بصلبه، وهي محاكمة سياسية في الأساس؛ وإن استند قضائتها على مقولته في الحج كحجة واهية لصلبه وإعدامه. إنهم نسوا أو تناسوا قول المولى عز وجل ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ

وَأَمَّنْهُمْ مِنْ خَوْفٍ... سورة قريش / مكية / الآية ٤. إنه تنبيه على ما كان عليه أهل مكة من عبادة للكعبة.. لقد حارب الإسلام الأول فكرة عبادة الأماكن، ففكرة المسجد أو الجامع لا تنطوى على أى معنى من معانى التفضيل لمكان بعينه دون آخر، وإنما تنحصر فى فكرة الاجتماع فى مكان واحد تحقيقا للمعنى المقصود من صلاة الجماعة، وبخاصة صلاة الجمعة.

قالت رابعة العدوية (البصرية) من قبل ما قاله الحلاج، ولم تحاكم، ولم تقتل... وروى العطار فى تذكرة الأولياء: كانت رابعة فى طريقها إلى الكعبة ذات يوم، فبقيت وحدها فى الصحراء، وشعرت بالوحشة؛ فصاحت: «إلهى! إن قلبى ليضطرب فى هذه الوحشة. أنا لبنة، والكعبة حجر. وما أريده هو أن أشاهد وجهك الكريم!» فناداها صوت من عند الله تعالى يقول: «يا رابعة!.. أتطلبين وحدك ما يقتضى دم الدنيا بأسرها؟.. إن موسى حين رام أن يشاهد وجهنا، لم نلق إلا ذرة من نورنا على جبل فخر صعبا».

ورابعة هنا تتحدث عن الكعبة الحجرية فحسب، متخلصة من التلبس بالمعنى الحسى فى الحج.. وفى رواية ثانية يقول العطار: «كانت رابعة بسبيل الحج، فرأت الكعبة قادمة نحوها عبر الصحراء، فقالت: لا أريد الكعبة، بل رب الكعبة، أما الكعبة فماذا أفعل بها؟! ألا تتفق مقولة رابعة ومقولة الحلاج «إن شوقنا إلى الله يجب أن يحو عقليا فى نفوسنا صورة الكعبة كيما نجد «من» أقامها، وأن نحطم معبد بدننا كيما نبلغ «من» جاء إليه ليتحدث إلى بنى الإنسان». ها هو الحلاج يستحضر صورة رابعة وقد أمّحت فى نفسها صورة الكعبة، لأنها تريد أن تجد من أقامها، وصار فى وسعها أن تستغنى عن فريضة الحج، لأنها ستجد الله فى نفسها؛ فى حاجتها بعد مشاهدته عند الكعبة!.

قال على الجريرى: قيل عن رابعة إنها حجت. فقالتك «هذا الصنم المعبود فى الأرض، وإنه ما ولج الله ولا خلا منه».

ها هي ترى فى الكعبة صنماً، وفى التبرك بها وثنية؟! وهى لا تنشد من الحج سوى وجه الله.

ويروى العطار أن إبراهيم بن أدهم أمضى أربعين سنة ليبلغ الكعبة، ولما بلغها لم يجدها فى مكانها، فقال نائحاً شاكياً: «وأسفاه!.. أأظلم بصرى حتى لم أعد أرى الكعبة؟» فسمع صوتاً يقول: «يا إبراهيم!.. لست أعمى، لكن الكعبة ذهبت للقاء رابعة». فتأثر إبراهيم؛ ثم رأى الكعبة وقد عادت إلى مكانها، وشاهد رابعة تتقدم مستندة إلى عصا، فقال لها: «أى رابعة! يا لجلال أعمالك!.. ثم وما تلك الضجة التى تحدثينها فى الدنيا!.. فالكل يقولون: إبراهيم يتوقف فى كل خطوة ليصلى ركعتين». فقال إبراهيم: «نعم أمضيت أربعين ربيعاً أجتاز هذه الصحراء». هنالك قالت رابعة: «يا إبراهيم! لقد جئت أنت بالصلاة، أما أنا فقد جئت بالفقر». ها قد استحالت المراسم الدينية لدى رابعة إلى رموز، كما صارت الشعائر معانى مجردة، فالفقر هنا يعنى الفقر من المادة والتجرد عنها وعن الدنيا، فالفقر أصله رجوع العبد إلى عدمه الأصلي حتى يرى وجوده وعمله وماله ومقامه كلها فضلاً من الله وامتناناً محضاً.

وتقول رابعة: «لما كانت الكعبة قد أقبلت إلىّ فى العام المنقضى، فسأقبل أنا عليها هذا العام». إنها الصلة المتبادلة، صلة الصداقة والمحبة بين رابعة وبين الحضرة الإلهية التى ترمز إليها الكعبة. وهى أيضاً نفس الصلة بين الحلاج وبين الحضرة الإلهية.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ سورة البقرة/ مدنية/ الآية

. ١١٥

لماذا لم تتهم رابعة بالكفر، وتحاكم.. بينما حوكم الحلاج؟!... الجواب الصريح هو خوض الحلاج فى خضم المسألة السياسية، وقيامه بثورة إصلاحية كادت تهز عرش المقتدر؛ وتزعزع نفوس رجال الدولة آنذاك، وعلى رأسهم حامد بن العباس.

الحسين بن منصور الحلاج كتاب التفسير

أو خلق خلائق القرآن والاعتبار

مع نصوص موازية من التفسير الصوفي العرفاني لأكابر الأئمة

﴿وَلَنُسَكِّنَكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي...﴾

سورة إبراهيم/ مكية/ الآية ١٤.

يقول الإمام ابن عجيبة: فمن يرضى يقول أحسن ما يعلم، ومن يسخط يقول أفبح ما يعلم، وقد رأى أولئك في أزمانهم من الأذى والتنقص وإساءة الظن بهم ما كان يقصر عنه صبر غيرهم، وقد أخرج أبو زيد البسطامي من بسطام مراراً، ورفع الشبلى والخواص والنورى للسلطان، وتستر الجنيد بالفقه حين ضيق على الفقراء، وقبض على الحلج، وضرب ومثل به على أنه ساحر زنديق.

سورة الفاتحة

مكية، وآياتها سبع آيات.

وقد اختلف فيها؛ فعند الأكثرين هي مكية من أوائل ما نزل من القرآن الكريم. وعند مجاهد أنها مدنية. قال الحسين بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه بادرة من مجاهد لأنه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه.

وللسورة عشرة أسماء: الفاتحة، والوافية، والكافية، والشافية، والسبع المثاني؛ لأنها سبع آيات عند الشافعي بالبسملة؛ وأسقطها مالك؛ وجعل السابعة ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾، وأم القرآن، وسورة الحمد والشكر، وسورة تعليم المسألة، وسورة الصلاة، وأساس القرآن الكريم.

﴿بِسْمِ اللَّهِ...﴾

سورة الفاتحة/ مكية/ الآية ١.

قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ منك بمنزلة «كُن» منه، فإذا آمنت أحسنت إن تقول ﴿بِسْمِ

اللَّهِ﴾ تحققت الأشياء بقولك ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كما يتحقق بقوله «كُن».

يقول الإمام جعفر الصادق: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء بقاؤه والسين أسماؤه والميم ملكه، . . والباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مجده. والله إله كل شيء، وهو اسم تام؛ لأنه أربعة أحرف: الألف وهو عمود التوحيد، واللام الأول لوح الفهم، واللام الثاني لوح النبوة، والهاء في الإشارة، والله هو الاسم الفرد المتفرد؛ لا يضاف إلى شيء؛ بل تضاف الأشياء كلها إليه.

ويقول الجنيد البغدادي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ هيته. وقيل الباء في «بسم الله» بالله ظهرت، وبه فנית، وبتجليه حسنت المحاسن وباستتاره فتحت وسمحت.

ويقول ابن عطاء: الباء بره لأرواح الأنبياء بإلهام الرسالة والنبوة، والسين سره مع أهل المعرفة بإلهام القرية والأنس، والميم منته على المريدين بدوام نظره إليهم بعين الشفقة والرحمة. وقوله «الله» هو إظهار هيته تعالى وكبريائه.

ويقول أبو بكر الشبلي: ما قال الله أحد سوى الله، فإن كل من قاله قاله بحظ وأناى يدرك الحقائق الحظوظ.

ويقول الإمام القشيري: بالله ظهرت الحادثات، وبه وجدت المخلوقات. وقال: «بسم الله» ولم يقل بالله على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم، فورود قوله: «الله على قلب منقضى وسر مصفى».

ويقول محيى الدين بن عربى: اسم الشيء ما يعرف به، فأسماء الله تعالى هى الصور النوعية التى تدل بخصائصها وهوياتها على صفات الله وذاته، وبوجودها على وجهه، وبتعيينها على وحدته؛ إذ هى ظواهره التى بها يعرف. والله: اسم للذات الإلهية من حيث هى على الإطلاق، لا باعتبار اتصافها بالصفات؛ ولا باعتبار لا اتصافها.

سئل الحسن بن منصور الحلاج. هل ذكره أحد على الحقيقة؟ فقال: كيف يذكر على الحقيقة من لا أمد لكونه، ولا علة لفعله. ليس له درّاك، ولا لغيبه هتّاك، له من الأسماء معناها، والحروف مجراها. إذ الحروف مبدوعة، والألفاس مصنوعة، والحروف قول القائل تنزه عن ذلك من الأحوال خلقه، رجع الوصف إلى الوصف، وعمى العقل عن الفهم، والفهم عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، ودار الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، عدا قدره الظنية، وزها نوره العينية.

حكى أن أبا الحسين النورى [هو أحمد بن محمد الخراسانى البغوى الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، صاحب السرى السقطى وكان الجنيد يعظمه] بقى فى منزله سبعة أيام لم يأكل، ولم ينم ولم يشرب، ويقول فى ولله ودهشه: الله الله، وهو قائم يدور، فأخبر الجنيد بذلك فقال: انظروا أمحفوظ عليه أوقاته أم لا؟ فقليل: إنه يصلى الفرائض، فقال. الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلا. ثم قال: قوموا حتى نزوره، إما نستفيد منه أو نفيده، فدخل عليه وهو فى ولله قال: يا أبا الحسين ما الذى دهاك؟ قال: أقول: الله الله زيدوا علىّ، فقال الجنيد: انظر هل قولك الله الله، أم قولك قولك إن كنت القائل الله فالله ولست القائل له وإن كنت تقوله بنفسك فأنت مع نفسك، فما معنى السوله. فقال: نعم الود. فسكنت وسكن عن ولله، فكان الشبلى يقول: الله. فقليل له: لم لا يقول لا إله إلا الله؟ فقال: لا أنفى به ضدّا.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾

سورة الفاتحة/ مكية/ الآية ٢.

ما من نعمة إلا والحمد أفضل منها، والحمد للنبي ﷺ، والمحمود هو الله عز وجل. والحمد العبد، والحمد حاله التي توصل بالمريد.

يقول الإمام جعفر الصادق، في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ﴾ من حمده بجميع صفاته كما وصف نفسه فقد حمده، لأن الحمد حاء وميم ودال. فالحاء من الوجدانية والميم من الملك والدال من الديمومة، فمن عرفه بالوجدانية والملك والديمومة فقد عرفه. ويقول ابن عطاء: معناه الشكر لله إذ منه الامتنان على تعليمنا إياه حتى حمدناه. ويقول الإمام القشيري: حقيقة الحمد الثناء على المحمود بذكر نعوته الجليلة وأفعاله الجميلة، واللام هنا للجنس؛ ومقتضاها الاستغراق، فجميع المحامد لله سبحانه إما وصفا وإما خلقاً.

ويقول محيى الدين بن عربي: الحمد بالفعل، ولسان الحال هو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الأشياء؛ إذ هي أثنية فاتحة ومدح رائعة لموليتها بما يستحقه. فالموجودات كلها بخصوصياتها وخواصها وتوجهها إلى غاياتها، وإخراج كمالاتها من حيز القوة إلى الفعل مسبحة حاملة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لما تجلّى الحق سبحانه من عالم الجبروت إلى عالم الملكوت، أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة حمد نفسه بنفسه، ومجد نفسه بنفسه، ووجد نفسه بنفسه. فقال في تمجيد نفسه بنفسه مترجماً عن نفسه بنفسه: أنا الحمد والمحمود، وأنا القائم بكل موجود، أنا رب الأرباب، وأنا مسبب الأسباب لمن فهم الخطاب، أنا رب العالمين، أنا قيوم السموات والأرضين، بل أنا المتوحد في وجودي، والمتجلى لعبادي بكرمي وجودي، فالعوالم كلها ثابتة بإثباتي، محوطة بأحدية ذاتي.

﴿اهْدِنَا...﴾

سورة الفاتحة/ مكية/ الآية ٦.

فى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال رحمه الله: طريق المحبة لك والسعى إليك. اهدنا إلى طاعتك، كما أرشدتنا إلى علم توحيدك.

ويقول الجنيد البغدادى: إن القوم إنما سألوا الهداية من الحيرة التى قدرت عليهم من أسماء صفات الأزلية، فسألوا الهداية إلى أوصاف العبودية ليلاً، ليستغرقوا فى رؤية صفات الأزلية.

ويقول الإمام القشيري: الهداية الإرشاد، وأصلها الإمالة، والمهدى من عرف الحق سبحانه، وآثر رضاه وآمن به. والأمر فى هذه الآية مضمّر؛ أى اهدنا بنا، والمؤمنون على الهداية فى الحال.

ويقول محبى الدين بن عربى: ثبتنا على الهداية ومكنتنا بالاستقامة فى طريق الوحدة التى هى طريق المنعم عليهم بالنعمة الخاصة الرحيمة التى هى المعرفة والمحبة والهداية الحقانية الذاتية من النبیین والشهداء والصديقين والأولياء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿اهْدِنَا﴾ بالتثنية فيما هو حاصل، والإرشاد فيما ليس بحاصل، والهداية إما للعين وإما للأثر الدال على العين، ولا نهاية للأولى، فالأولى لأهل الشهود والعيان. والثانية لأهل الدليل والبرهان، فالهداية للعين هى الدلالة على الله. والهداية للأثر هى الدلالة على العمل.

سورة البقرة

مدنية، وآياتها مائتان وست وثمانون آية.

وهي أول سورة نزلت بالمدينة المنورة، وفيها ستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة. قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن الكريم سورة البقرة...» وسنامها، أى: ذروته؛ لأنها اشتملت على جملة ما فيه من أحوال الإيمان وفروع الإسلام.

﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ١٥.

قال الحسين بن منصور رحمه الله: أى يحسن.

يقول الإمام القشيري: يجازيهم على استهزائهم، وكذلك لما ألقى القوم أزمته في أيدي الشهوات؛ استهوتهم في أودية التفرقة، فلم يستقر لهم قدم على مقام فتطوحوا في متاهات الغيبة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: أى يستخفهم، لأن الجهة التي هم بها ناسبوا الحضرة الإلهية فيهم خفيفة ضعيفة، فبقدر ما فنيت فيهم الجهة الإلهية ثبتوا عند أنفسهم، كما أن المؤمنين بقدر ما فنيت فيهم أيبتهم النفسانية وجدوا عند الله تعالى شتان بين المرتبتين. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ بما يظهر لهم من صور الكرامات والاستدراجات، ويمدهم في تعاطى العوائد والشهوات، وطلب العلو والرتاسات، متحيرين في مهامه الخواطر والغفلات.

﴿...كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٢٠.

إذا أضاء لهم مرادهم من الدنيا والدين ألفوه، وإذا أظلم عليهم من خلاف بعقولهم قاموا مجهولين.

يقول الإمام القشيري: من تمام مثل المنافقين؛ كذلك أصحاب الغفلات، إذا حضروا مشاهد الوعظ، أو جنحت قلوبهم إلى الرقة، أو داخلهم شيء من الوهلة تقرب أحوالهم من التوبة، وتقوى رغبتهم في الإنابة حتى إذا رجعوا إلى تدبرهم، وشاوروا إلى قرنائهم، أشار الأهل والولد عليهم بالعود إلى دنياهم، وبسطوا فيهم لسان النصح، وهددوهم بالضعف والعجز، فيضعف قصودهم، وتسقط إرادتهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: أضاء لهم، أى: ترقوا وقربوا من قبول الحق والهدى، وأظلم عليهم، أى: ثبتوا على حيرتهم فى ظلمتهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كلما لمع شيء من الحق تعالى مشى إلى حضرته، وإذا كرت عليه الخصوم والخواطر، وأظلم عليه الحال، وقف فى الباب حيران، ولو شاء الله تعالى لذهب بعقله وسمعه وبصره، فيصرفه إلى حضرته. من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرج به من وجود غفلته؛ فقد استعجز القدرة الإلهية.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٣٤.

ولما قيل لإبليس: «اسجد لآدم» خاطب الحق تعالى، فقال: أرفع شرف السجود عن سرى إلّاك حتى أسجد له؟ إن كنت أمرتني فقد نهيتني، قال له: فإنني أعذبك عذاب الأبدي، فقال: أو لست تراني في عذابك؟ قال: بلى، فقال: فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب، افعل بي ما شئت، فقال له: وإنني أجعلك رجيمًا، قال إبليس: أو ليس لم يحامد سوى غيرك [كذا] افعل بي ما شئت.

يقول ابن عطاء: لما استعظموا تسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره؛ يريهم استغناء عنهم وعن عباداتهم.

ويقول الإمام القشيري: السجود لا يكون عبادة لعينه عليه السلام، ولكن لموافقة أمره سبحانه، فكأن سجودهم لآدم عبادة لله تعالى؛ لأنه كان بأمره، وتعظيمًا لآدم لأنه أمرهم به تشريعًا لشأنه، فكأن ذلك النوع خضوع له ولكن لا يسمى عبادة، لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح لغيره سبحانه.

ويقول محيي الدين بن عربي: سجودهم لآدم انقيادهم وتذللهم له ومطاوعتهم وتسخرهم له.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إذا كمل تصفية الروح، وظهر شرفها، خضع لها كل شيء، وتواضع لها كل شيء، وانقاد لأمرها من سبقت له العناية، وهبت عليه ريح الهداية، لأنها صارت آدم الأكبر، إلّا من أبلسه المشيئة، وطردته القدرة، فاستكبر عن تحكيم جنسه على نفسه، وكان من الكافرين لوجود الخصوصية، فجزاؤه حرمان شهود طلعة الربوبية، وهبوطه إلى حضيض العمومية.

﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٥٤.

ما شرع الحق إليه طريقًا إلا وأولته التلف. قال الله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ فاقتلوا أنفسكم، فمادام يصحبك تميزك وعقلك فأنت في عين الجهل حتى يضل عقلك، ويذهب خاطرك، وتفقد سبيل إذ ذاك «عيسى» و«لعل».

قال ابن منصور الحلاج: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ فاقتلوا أنفسكم. التوبة محو البشرية بإثبات الإلهية، وفناء النفوس عما دون الله تعالى؛ وعن الله تعالى، حتى يرجع إلى أصل العدم، ويبقى الحق كما لم يزل.

ويقول الإمام القشيري: الإشارة إلى حقيقة التوبة بالخروج إلى الله بالكلية. ويقول محيي الدين بن عربي: فتوبوا إلى خالقكم برفع الحجاب الأول لدلالة ذكر البارئ عليه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يا من بخس نفسه بإرخاء العنان في متابعة هواها، حتى حرّمها من مشاهدة جمال مولاها، تب إلى ربك، وانتبه من غفلتك، واقتل نفسك بمخالفة هواها، فلعلها تحظى بمشاهدة مولاها، فما دامت النفس موجودة، وحظوظها لديها مشهودة، وآمالها ممدودة، كيف تطمع أن تدخل حضرة الله، وتتمتع بشهود جماله تعالى وسناؤه.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٦٠.

هذا يشرب مزجاً، وهذا يشرب صرفاً، وهذا يدرك شخصاً، وهذا يلحظ أحداً، وهذا بوصفه يحتجب، وهذا يتيه فى أودية الطلب، وهذا يغرق فى بحار التفكير. وهم الخارجون عن الحقيقة، الكل قصدوا بهم فضلوا.

يقول الحسن البصرى: من كان رائده نفسه فمشربه الدنيا، ومن كان رائده قلبه فمشربه الآخرة، ومن كان رائده سره فمشربه الجنة، ومن كان رائده روحه فمشربه السلسيل، ومن كان رائده ربه فمشربه فى الحضرة على المشاهدة.

ويقول الإمام القشيرى: أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جاريًا على سنة، ملازمًا لحده، غير مزاحم لصاحبه، فأفرد لكل سبطة علامة يعرفون بها مشربهم. فهؤلاء لا يردون مشرب الآخرين، والآخرى لا يردون مشرب الأولين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: علم كل أناس مشربهم، على حسب ما سبق لهم، فيقول الحق تعالى: كلوا من ثمرات ما اجتنتيم من العلوم والمعارف التى أوليناكم، واشربوا من مناهل المنازل التى فيها أقمناكم، أو كلوا من ثمرات المعرفة ما تتقوى به معانيكم، ولا تتعدوا أطواركم من القيام بوظائف العبودية، ومعرفة عظمة الربوبية، فتكونوا لسلب ما أولام متعرضين، ولعقوبته مستحقين.

﴿... فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ١١٥.

وجهه حيث توجهت، وقصده أين قصدت. قال ابن منصور الحلاج: هذا مثل إبداء الحق للخلق؛ كمثل الهلال يرى من جميع الأقطار، ويحتجب بالرسوم والآثار، فإذا ارتفعت الرسوم؛ صار ناظرًا ولا منظورًا.

يقول الإمام القشيري: مادام يبقى من الإحساس والتمييز بقية - ولو شظية - فالقبة مقصودة، فإن لم تكن معلومة تكون مطلوبة. وعلى لسان العلم إذا اشتبهت الدلائل بكل وجهة، ولا معرفة بالقبة. تساوت الجهات في جواز الصلاة إلى كل واحد منها إذا لم يكن للنية ترجيح.

ويقول محيي الدين بن عربي: أى جهة تتوجهوا من الظاهر والباطن ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أى: ذات الله المتجلية بجميع صفاته، والله الإشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلي لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم، والغروب فيها بتستره واحتجابه بصورها وذواتها، واختفائه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء. فأى جهة تتوجهوا فثم وجهه، لم يكن شيء إلا إياه وحده تعالى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الأماكن والجهات وكل ما ظهر من الكائنات؛ قائمة بأنوار الصفات، محوأة بأحدية الذات، كان الله تعالى ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان؛ إذ لا وجود لشيء مع الله ﴿فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ محق الآثار بأفلاك الأنوار، وانمحت الأنوار بأحدية الأسرار، وانفرد بالوجود الواحد القهار.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٢٥٥.

سئل ابن منصور الحلاج رحمه الله عن هذا، فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقتضى شيئين، إزالة العلة عن الربوبية، وتنزه الحق عن الدرك.

يقول أبو الحسين النورى: لم لا تقول ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. فقال: بل أقول: الله ولا أبغى منه ضدًا.

ويقول الإمام القشيري: هو إخبار عن نفى النظير والشبيه، بما استوجب من التقديس والتنزيه. ومن تحقق بهذه القالة لا يرى ذرة من الإثبات بغيره أو من غيره؛ فلا يرفع إلى غير حاجته، ولا يشهد من غيره ذرة، فيصدق إليه انقطاعه، ويدم لوجوده انفراده، فلا يسمع إلا من الله وبالله، ولا يشهد إلا بالله، ولا يقبل إلا على الله ولا يشتغل إلا بالله، فهو محو عما سوى الله، فما له شكوى ولا دعوى، ولا يتحرك منه لغيره عرق، فإذا استوفى الحق عبدًا لم يبق للحفظ ألته مساع.

ويقول محيي الدين بن عربى: هو فى الوجود، فكل ما عبد دونه لم تقع العبادة إلا له تعالى - علم أو لم يعلم - إذ لا معبود ولا موجود سواه سبحانه تعالى. و﴿الْحَيُّ﴾ الذى حياته فى عين ذاته، وكل ما هو حى لم يحى إلا بحياته. و﴿الْقَيُّومُ﴾ الذى يقوم بنفسه ويقوم كل ما يقوم به، فلولاً قيامه ما قام شىء فى الوجود.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿اللَّهُ﴾ الواجب الوجود لا يستحق العبادة غيره، فمن عبد غيره فقد أتى بظلم عظيم ﴿الْحَيُّ﴾ الدائم بلا أول، الباقي بلا زوال، الذى لا سبيل عليه للموت والفناء ﴿الْقَيُّومُ﴾ دائم القيام بتدبير خلقه فى إيصال المنافع ودفع المضار، وجلب الأرزاق وأنواع الارتقاء.

﴿...وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٢٥٥.

فى قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، فأى الشفيع إلى من لا يسعه غيره، ولا يحجبه سواه؟.. والعرش والكرسى إظهاراً للقُدرة لا محلاً للذات.

يقول الإمام القشيري: خطاب على قدر الفهم، وإلا فأى خطر للأكوان عند صفاته؟.. جل قدره عن التعزّز بعرش أو كرسى، والتجمل بجن أو إنسى. ويقول محبى الدين بن عربى: أى، علمه؛ إذ الكرسى مكان العلم الذى هو القلب. والكرسى فى اللغة: عرش صغير لا يفضل عن مقعد القاعد، شبه القلب به تصويراً وتخيلاً لعظمته وسعته. وأما العرش المجيد الأكبر فهو الروح الأول، وصورتها ومثالهما فى الشاهد الفلك الأعظم، والثامن المحيط بالسموات السبع وما فيهن. ويقول الإمام ابن عجيبة: إن السموات والأرض فى جانب الكرسى كحلقة فى فلاة. والكرسى فى جانب العرش كحلقة فى فلاة. وعن ابن عباس رضى الله عنه: «أن السموات فى الكرسى كدراهم سبعة فى ترس». وقيل: كرسىه علمه تعالى.

سورة آل عمران

مدنية، وآياتها مائتان آية.

وكلماتها ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ١٨.

قال الحسين بن منصور الحلاج لرجل: «أتشهد بى الأذان؟»، قال: «نعم». قال: أحدث من حيث وجدت فى مشهدك حيث شهدت لله تعالى وللرسول ﷺ، ولم تفرق بينهما حتى تشهد لله تعالى بالتعظيم، وللرسول عليه السلام بالبلاغ والتسليم، عند ذلك تاهت الأسرار فيما وراء الغير ولا غير.

يقول الإمام جعفر الصادق: فى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ بوحدانيته وأبديته وصمديته، وشهد الملائكة وأولوا العلم له بتصديق ما شهد هو عز وجل لنفسه. ولما سُئل عن حقيقة هذه الشهادة ما هى؟ قال: هى مبنية على أربعة أركان: الأول اتباع الأمر، والثانى اجتناب النهى، والثالث القناعة، والرابع الرضا.

ويقول سهل التستري: شهد لنفسه بنفسه وهو مشاهد ذاته، واستشهد من استشهد من خلقه قبل خلقه لهم، فكان ذلك تنبيه أنه عالم بما يكون قبل كونه، وإنه لا يتجاوز أحد من خلقه ما تجلّى به.

ويقول أبو بكر الشبلى: ما قلت الله إلا استغفرت من ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فمن شهد بذلك له من الأكوان إلا عن أمن أو غفلة.

قال الحسين بن منصور في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ شهادته لنفسه أن لا سنان غيره، آمن بنفسه قبل أن يؤمن به مما وصف من نفسه، فهو المؤمن بغيبه، لا اعى إلى نفسه، والملائكة مؤمنون به وبغيبه، داعين إليه، والمؤمنون يؤمنون به وبغيبه، داعون إليه وكتبه ورسله، فمن آمن به فقد آمن بغيبه، وكل ما فى القرآن الحريم مما يشير إلى غيبه، فإنما يشير بنفسه إلى غيبه، ولا يعلم غيبه إلا هو.

رسول ابن عطاء: دلنا الحق تعالى بنفسه من نفسه على نفسه بأسمائه، وفيه بيان ربوبيته وأسمائه، فجعل لنا فى كلامه وأسمائه شاهداً ودليلاً، وإنما فعل ذلك لأن الله تعالى وحد نفسه ولم يكن معه غيره، فكان الشاهد عليه توحيده، ولا يستحق أن يشهد عليه من حيث الحقيقة سواء، إذ هو الشاهد فلا شاهد معه، ثم عاد الحق إلى شهادته، فمن وافقت شهادته فقد أصاب حظه من حقيقة التوحيد، ومن حُرِمَ ضَلَّ.

ويقول محسى الدين بن عربى: طلع الوجه الباقى، فشهد بذاته فى مقام الجمع على وحدانيته، إذ لم يبق شاهد ولا مشهود غيره. ثم رجع إلى مقام التفصيل فشهد بنفسه مع غيره على وحدانيته فى ذلك المشهد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بحكم الحقيقة. فإثبات الرسوم شريعة، ومحوها حقيقة، فتوحيد أهل الرسوم والأشكال دلالة من وراء الحجاب، وتوحيد أهل المحو والاضمحلال شهادة من داخل الحجاب، وتوحيد أهل الرسوم دلالة وبرهان، وتوحيد أهل المحو شهادة وعيان، أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان. إثبات الرسوم إسلام وإيمان، ومحوها شهود وإحسان.

﴿... هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٦، ١٨.

فى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ شهادة لنفسه أن لا صانع غيره آمن بنفسه. قيل: أن يؤمن به بما وصف من نفسه فهو المؤمن لغيبه، الداعى إلى نفسه والملائكة مؤمنون، أى شهد به، وبغيه، داعين إليه. والمؤمنون؛ مؤمنون به وبغيه، داعون إليه وكتبه ورسله، فمن آمن به فقد آمن بغيه. وكل ما فى القرآن، فما يشير إلى غيبه فإنما يشير بنفسه إلى غيبه، ولا يعلم غيبه إلا هو.

يقول الإمام القشيري: ﴿هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا يعقب حكمه بالنقض، أو يعارض تقديره بالإهمال والرفض.

ويقول محبى الدين بن عربى: القاهر الذى يقهر كل شىء باعتبار الجمع فلا يصل إليه أحد فهو «الْعَزِيزُ»، و«الْحَكِيمُ» الذى يدبر بحكمته كل شىء، فيعطيه ما يليق به باعتبار التفصيل.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يعلم أنه الموصوف بهما، وقدم «الْعَزِيزُ» ليتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته.

قال المزنى رحمه الله: دخل الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله مكة، فسُئِلَ من شهادة الذر للحق بالوحدانية، وعن التوحيد. فتكلم فيه حتى نسينا التوحيد، فقلنا: أهذا يليق بالحق؟ فقال: هذا يليق به من حيث رضى به نعتاً وأمرأ. ولا يليق به وصفاً ولا حقيقة كما رضى بشكرنا لنعمه، وأنى يليق شكرنا بنعمه. وما دمت تشيره فلست بموحد حتى يستولى الحق تعالى على إشارتك بإفنائك عنك. قال: يبقى مشيراً ولا إشارة.

يقول الإمام القشيري: أى عِلِمَ الله وأخبر الله وحكَمَ الله بأنه لا إله إلا هو، فهو شهادة الحق للحق بأنه الحق، وأول من شهد بأنه الله : الله، فشهد فى آزاله بقوله وكلامه وخطابه الأزلى، وأخبر عن وجوده الأحدى، وكونه الصمدى، وعونه القيومى، وذاته الديمومى، وجلاله السرمدى، وجماله الأبدى. وأثبت من دلائل اليقين، وأوضح من الآيات، وأبدى البيّنات، فكل جزء من جميع ما خلق وفطر ومن كتم العدم أظهر، وعلى ما شاء من الصفة الذاتية حصل من أعيان مستقلة، وآثار فى شأن وجودها مضمحلة. فهو لوجوده مفصح، ولربوبيته موضح، وعلى قدمه شاهد، وللعقول مخبر بأنه واحد، عزيز ماجد، شهد سبحانه بجلال قدره، وكمال عزه.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٢٦.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ فتشغله به، و﴿تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾، أى ممن اصطفيته لك، فلا تؤثر فيه أسباب الملك لأنه فى أسر الملك، و﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بإظهار عزتك عليه، و﴿تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ باتصافه برسوم الهياكل.

يقول أبو بكر الشبلې: فى هذه الآية الكريمة الملك هو الاستغناء بالكون عن الكونين. ويقول الإمام القشيري: معناها يا الله، والميم فى آخرها يدل على حرف النداء وهو «يا». فهذا تعليم الحق كيفية الثناء على الحق، أى صفته بما استحقه من جلال القدر. والملك من المخلوقين من تذلل له، . . ومنزوع الملك عن تكبر عليه، فتجمل الخلق فى تذللهم للحق، وعزهم فى محوهم فيه، وبقاؤهم فى فنائهم به. ويقول محبى الدين بن عربى: تملك ملك عالم الأجسام مطلقاً، تتصرف فيه لا مالك ولا متصرف ولا مؤثر فيه غيرك، فتجعله متصرفاً فى بعضه. ويقول الإمام ابن عجيبة: من ملك نفسه وهواه فقد ملكه الله تعالى ملك الدارين، ومن ملكته نفسه وهواه فقد أذله الله فى الدارين، ومن ملك نفسه لله فقد مكنه الله من التصرف فى الكون بأسره، وكان حراً حقيقة.

﴿... فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٣١.

حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك، والاتصاف بأوصافه.

يقول الإمام جعفر الصادق: في قوله تعالى ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ قيد أسرار الصديقين بتابعة نبيه ﷺ لكي يعلموا أنهم وإن علت أحوالهم وارتفعت مراتبهم لا يقدرון مجاورته ولا الحقوق به.

ويقول ابن عطاء: في هذه الآية الكريمة أمر بطلب النور الأدنى من عمى عن النور الأعلى.

ويقول الإمام القشيري: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بلا علة، بل هو حقيقة الوصلة، ومحبة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه، وتحمله تلك الحالة على موافقة أمره على الرضا دون الكراهية، وتقتضى منه تلك الحالة إثارة سبحانه على كل شيء. وشرط المحبة ألا يكون فيها حظ بحال، فمن لم يغن عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة شظية، ويقال شرط المحبة امتحاء كليتك عنك لاستهلاكك في محبوبك.

ويقول محسى الدين بن عربي: ألقى الله تعالى محبته على الرسول ليسرى من باطن روح النبي ﷺ نور تلك المحبة إليه، فيكون محبوباً لله تعالى، محباً له، ولو لم يتابعه لخالف باطنه باطن النبي صلوات الله عليه، فبعد عن وصف المحبوبة وزالت المحبة عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبه الله تعالى لم يكن محباً له.

ويقول الإمام ابن عجيبة: اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ركن من أركان الطريقة، وشرط في إشراق أنوار الحقيقة، فمن لا اتباع له، ومن لا طريق له لا وصول له. فالرسول ﷺ حجاب الحضرة وبوابها، فمن أتى من بابه بمحبته واتباعه، دخل الحضرة وسكن فيها، ومن تنكب عنها طرد وأبعد.

﴿... وَسَيِّدًا وَحَصُورًا...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٣٩.

السيد من خلا من أوصاف البشرية، وأظهر بنعوت الربوبية.

يقول الإمام جعفر الصادق: السيد، المباين عن الخلق وصفاً وحالاً وخلقاً. ويقول ابن عطاء: السيد المتحقق بحقيقة الحق، والحصور المنزه عن الأكوان وما فيها. ويقول الإمام القشيري: السيد من ليس فى رق مخلوق، تحرر من أسر هواه، ولم يطلب لنفسه مقاماً. وحصوراً، أى: معتقاً من الشهوات، مكيفاً أحكام البشرية مع كونه من جملة البشر، متوقياً عن المطالبات، مانعاً نفسه عن ذلك تعزراً وتقرباً، وقيل: منعه استتصالات بواده الحقائق عليه، فلم يبق فيه فضل لحظ. ويقول محمى الدين بن عربى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ لجميع أصناف القوى ﴿وَحَصُورًا﴾ مانعاً نفسه عن مباشرة الطبيعة الجسمانية وملابسة طبائع القوى البدنية. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ عن شواغل الحس، مستغرقاً فى مشاهدة القرب والأنس، ينبئ بعلم الغيوب، ويصلح خلل القلوب، فإذا استعظم ذلك واستغربه، قيل له: الأمر كذلك يفعل الله ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون فحسبك الاشتغال بذكر الله تعالى، والغية عما سواه.

﴿... وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٨٣.

أخذهم عن شهود شواهدهم بخصائص الاطلاع عليهم، فمن طالع الذات أسلم طوعاً، ومن طالع الهيبة أسلم كرهاً.

يقول الإمام القشيري: من لاحظته على غير الحقيقة، أو طالع سواه في توهم الأهلية/ الاستحقاق؛ كراء (مُشاهد) السراب. ظنه ماء فلما أتاه وجده هباء. ومغالط الحسابات مقطعة مشكلة فمن حل بها نزل بواد قفر. ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لإجراء حكم الإلهية على وجه القهر عليهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الدين الحقيقي هو الانقياد إلى الله في الظاهر والباطن، أما الانقياد إلى الله في الظاهر فيكون بامثال أمره واجتناب نهيه، وأما الانقياد إلى الله في الباطن فيكون بالرضى بحكمه والاستسلام لقهره. فكل من قصر في الانقياد في الظاهر، أو تسخط من الأحكام الجلالية في الباطن، فقد خرج عن كمال الدين، فيقال له: أغير دين الله تبغون؟ وقد انقاد له ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فإما أن تنقاد طوعاً أو ترجع إليه كرهاً.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٩٦.

أورد الحق تعالى تكليفه على ضربين: تكليفاً عن وسائط، وتكليفاً بحقائق، فتكليف الحقائق بدت معارفه منه؛ وعادت إليه. وتكليف الوسائط بدت معارفه عمن دونه؛ ولم يتصل به إلا بعد الترقى منها إلى الفناء عنها، ومن تكليف الوسائط إظهار البيت والكعبة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، فما دمت متصلاً به كنت منفصلاً عنه، فإذا انفصلت عنه حقيقة وصلت إلى مظهره وواضعه، فكنت مترسماً بالبيت، متحققاً بواضعه. وهو مباركاً لمن ينزل عليه بهمة، وطالب الطرق به إلى ربه، هدى لمن اهتدى به إلى الهادى.

يقول الإمام القشيري: البيت حجرة، والبعد مدرة، فربط المدرة بالحجرة، فالمدرة مع الحجر تعزز وتقصد من لم يزل. ويقال: البيت مطاف النفوس، والحق سبحانه مقصود القلوب. والبيت بيكة حجر، ولكن لقلوب الأحياء مزعج، ولقلوب قوم مثليج مبهج. من زاره بنفسه وجد ألطافه، ومن شهد به بقلبه نال كشوفاته.

ويقول محيي الدين بن عربي: من أجل ذلك جعله الحق تعالى نظيراً ومثلاً لعرشه، وجعل الطائفين به من البشر، كالملائكة ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أى، بالثناء على ربهم تبارك وتعالى، وثناؤنا على الله فى طوافنا أعظم من ثناء الملائكة عليه سبحانه. إنه البيت الذى اصطفاه الله على سائر البيوت، وله سر الأولية فى المعابد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: القلب هو بيت الرب، فما دام بيت القلب خالياً من نور الرب اشتاق إلى حج البيت الحسى، فإذا تعمّر القلب بنور سكانه؛ صار قبلة لغيره، واستغنى عن الالتفات إلى غير نور ربه عز وجل، بل صار كعبة تطوف به الواردات والأنوار، وتحفه المعارف والعلوم والأسرار، ثم يصير قطب دائرة الأكوان، وتدور عليه من كل جانب ومكان، فكيف يشاق هذا إلى الكعبة الحسية، وقد طافت به دائرة الوجود الكونية؟

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾

سورة آل عمران / مدنية / الآية ١٤٤.

ليس للرسول ﷺ إلا ما أمر به، أو كوشف له، ألا تراه لما سُئل فيما يختصم الملاء الأعلى بقى حيث لم يسمع حساً ولا نطقاً، فقال: لا أدري، فلما غيب عنه شاهده بوقع الصفة عليه، شاهدتهم بشهود الحق، وذهب عنه صفة آدميته، أى: لما عاين ما أطلعه الله تعالى عليه من مشاهدته غاب عن صفته، لأنه صار غير عين الآدمي؛ فتكلم صلوات الله تعالى عليه بالعلوم كلها.

يقول الإمام القشيري: إن الرسل موقوفون حينما وقفوا، ومخبرون عما عرفوا؛ فإذا أيدوا بأنوار البصائر أطلعوا على مكنونات السرائر بلطائف التلويح بمقدار ما أعطوا من الإشراف بوظائف البلوغ.

ويقول محيى الدين بن عربي: إنه رسول بشر، سيموت أو يقتل كحال الأنبياء قبله، فمن كان على يقين من دينه فبصيرة من ربه لا يرتد بموت الرسول وقتله، ولا يفتر عما كان عليه، لأنه يجاهد لربه لا للرسول كأصحاب الأنبياء السالفين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لما مات الرسول عليه الصلاة والسلام؛ دهشت الناس، وتحيرت لوقوفهم مع شهود النعمة، إلا الصديق رضى الله عنه؛ كان نفذ من شهود النعمة إلى شهود المنعم، فخطب حينئذ على الناس، وقال: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله سبحانه؛ فإن الله حى لا يموت». ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، وهم الذين نفذوا إلى شهود المنعم، ولم يقفوا مع النعمة.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ١٩١.

سُئِلَ الحلاج: هل فى الجنة ذكر؟. قال: الذكر طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة فلا معنى للذكر. وأنشد:

كفى حزناً أنى أناديك ديناً كأنى بعيداً أو كأنك غائباً
وأطلب منك الفضل من غير رغبة ولم أر مثلى زاهداً فيك راغباً

يقول الإمام جعفر الصادق: يذكرون الله تعالى قياماً فى مشاهدت الربوبية، وقعوداً فى إقامة الخدمة، وعلى جنوبهم فى رؤية الزلف.

ويقول ابن عطاء: يذكرونه قياماً بشرط قيامهم لوفاء الذكر، ويذكرونه قعوداً بقعودهم عن المخالفات، وعلى جنوبهم على كل جهة يجنبهم عليها. أى يحملهم.

ويقول الإمام القشيري: استغرق الذكر جميع أوقاتهم؛ فإن قاموا بذكره، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة فى حقائق الذكر، والذكر عنوان الولاية، وبيان الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية، ودلالة صفاء النهاية، فليس وراء الذكر شىء، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر، ومنشأة عن الذكر.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ فى جميع الأحوال، وعلى جميع الهيئات، ﴿قِيَاماً﴾ فى مقام الروح بالمشاهدة، ﴿وَقُعُوداً﴾ فى محل القلب بالمكاشفة، «وعلى جنوبهم» أى تقلباتهم فى مكان النفس بالمجاهدة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: قدّم الحق تعالى الذكر على الفكر على ترتيب السير، فإن المريد يؤمر أول أمره بذكر اللسان؛ حتى يفضى إلى الجنان، فينتقل الذكر إلى القلب، ثم إلى الروح وهو الفكر؛ ثم إلى السر وهو الشهود والعيان. وهنا يخرس اللسان، ويغيب الإنسان فى أنوار العيان.

سورة النساء

مدنية، وآياتها مائة وست وسبعون آية.

وهي ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ...﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ٥٩.

العبد مبتلى بالأمر والنهي، والله تعالى فى قلبه أخطار تخطر دائماً، فكلما خطر خاطر عرضه على الكتاب، فهو طاعة لله تعالى، فإن وجد فهو شفاء، وإلاّ عرضه على السنة وهو طاعة الرسول ﷺ، فإن وجد فهو شفاء، وإلاّ عرضه على سير السلف الصالحين، وهو طاعة أولى الأمر.

يقول الإمام جعفر الصادق: لا بد للعبد المؤمن من ثلاث سنن: سنة الله عز وجل، وسنة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وسنة الأولياء رضوان الله عليهم أجمعين. ويقول ابن عطاء: أى، يا أيها الذين أعطيتهم قلوباً لا تغفل عنى ولا تحجب دونى طرفة عين. وهم الذين خصصتهم ببرى ومشاهدتى.

ويقول الإمام القشيري: قَرَنَ طاعته بطاعة الرسول ﷺ تفخيماً لشأنه ورفعاً لقدره. ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بتوحيد الصفات، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ بتوحيد الذات والفناء فى الجمع، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ بمراعاة حقوق التفصيل فى عين الجمع وملاحظة ترتيب الصفات بعد الفناء فى الذات، ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ممن استحق الولاية والرياسة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أولو الأمر عند الصوفية هم شيوخ التربية العارفون بالله تعالى، فيجب على المريدين طاعتهم فى المنشط والمكروه، وفى كل ما أمرو به، فمن خالف لم يفلح أبداً، فإن تعارض أمر الأمراء وأمر الشيوخ، قدّم أمر الشيخ إلاّ لفتنة فادحة، فإن تنازعتم يا معشر الفقراء فى شىء من علم الشريعة أو الطريق، فردوه إلى الكتاب والسنة.

﴿... لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ٨٣.

استنباط القرآن المجيد على مقدار تقوى العبد فى ظاهره وباطنه وتمام معرفته؛
وهذا أجلُّ مقامات الإيمان.

يقول الإمام القشيري: لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من ينقل إليه أسرارهم؛ فأظهروا السر بعضهم لبعض. فأما المؤمنون فعالم أسرارهم مولاهم، وما يسبح لهم خاطبوه فيه فلم يحتاجوا إلى إذاعة السر لمخلوق؛ فسامع نجاوهم الله، وعالم خطابهم الله. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ مع أوليائه لهموا فى كل واد من التفرقة كأشكالهم فى الوقت.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أشغل الله تعالى علماء الظاهر بتقرير علم الفرق، وهى بطلالة وخلل عند أهل الباطن. ولولا اشتغالهم بذلك لتعطلوا وتبطلوا، إذ لا قدرة لهم على عمل القلوب من الفكرة والنظرة، لكن العارفون يقرون لهم ذلك، ويحتجون لهم بما فى نشر العلم من الأجور، من الكتاب والسنة، لأنهم قاموا بنظام علم الحكمة ورفعوا علم الشريعة، ولولا قيامهم بذلك لتعين على أهل الباطن، فتشوش عليهم قلوبهم.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ...﴾

سورة النساء / مدنية / الآية ١٠٢ .

ليس لله تعالى مقام ولا شهود فى ناديه، ولا استهلاك فى حيزه، ولا ذهول فى عظمه يقطع عن آداب الشريعة، ولا له موقف أوقف فيه الموحدين أشهدهم الشريعة، فصح أن جزناها بها عليهم علماً للغير لا لهم، ومما يصحح هذا قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾، فجعل إقامته للصلاة أدباً لهم، وهو فى الحقيقة فى عين الحصول، ولا يرجع إلى غير الحق تعالى فى متصرفاته، ولا يشهد سواه فى سعاياته.

يقول الإمام القشيري: فى هذه الآية الكريمة دلالة على أن الصلاة لا ترتفع عن العبد مادام فيه نفس من الاختيار؛ لا فى الخوف ولا فى الأمن، ولا عند غلبات أحكام الشرع إذا كنت بوصف التفرقة، ولا عند استيلاء سلطان الحقيقة إذا كنت بعين الجمع.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إذا كنت فى جند الأنوار، وأحدقت بك حضرة الأسرار، ثم نزلت إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فلتقم طائفة من تلك الأنوار معك، لتحرسك من جيش الأغيار وجند الأكدار، حتى يكون رجوعك إلى الآثار مصحوباً بكسوة الأنوار وحلية الاستبصار، فيكون رجوعك إليها بالله لا بنفسك، فإذا سجد القلب فى الحضرة كانت تلك الأنوار من ورائه والأسرار من أمامه، ولتأت طائفة أخرى لم تصل هذه الصلاة، لأنها لم تبلغ هذا المقام، فلتصل معك اقتباساً لأنوارك، لكن تأخذ حذرهما وتبعد عن خواطر الأشغال، كى لا تقيل عليهم فتفتنهم عن الحضور مع الكبير المتعال.

﴿...وَاتَّخَذَ...﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ١٢٥.

اتخذہ خلیلا ولا صنع لإبراهیم فیہ، وذلك موضع المنۃ، ثم أثنی علیہ بالخلة؛
وذلك فعل الکرام.

يقول ابن عطاء: اتخذہ خلیلا فلم یخالل سرائره شیئا غیره، وذلك حقيقة الخلة، وأنشد:
قد تخللت مسلك الروح منی وبذا سمی الخلیل خلیلا
فإذا ما نطقت كنت حدیثی وإذا ما سکت كنت الغلیلا
ويقول الإمام القشیری: جرد الحديث عن كل سعی وكد وطلب وجهه، فعلم أن الخلة
لبسة یلبسها الحق لا صفة یکتسبها العبد.

ويقول محیی الدین بن عربی: یخاله، أى: یداخله فی خلال ذاته وصفاته بحيث لا ینذر
منها بقية، أو یسد خلله ویقوم بدل ما یفنی منه عند تکمیلہ وفقره إلیه. فالخلیل وإن كان
أعلى مرتبة من الصفی، لكنه أدون من الحبيب، لأن الخلیل محب یوشك أن یتوهم فیہ
بقية غیرية، والحبيب محبوب لا یتصور فیہ ذلك. ولهذا ألقى فی نار العشق دونه.
ويقول الإمام ابن عجبیة: اصطفاه وخصه بکرامة تشبه کرامة الخلیل عند خلیلہ، وسمى
خلیلاً لأنه قد تخللت محبة الله فی جمیع أجزائه. فمن انقاد بکلیته إلی مولاه فلا أحد
أحسن منه عند الله، ومن تخلق بخلق الحبيب كان أقرب إلی الله من كل قریب.

﴿... أَيْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ...﴾

سورة النساء / مدنية / الآية ١٣٩ .

من اعترز بالعزیز أعزّه، ومن اعترز بغير الحق سبحانه تعالى فبعره أذلّه.

يقول أبو سعيد الخراز: العارف بالله تعالى لا يرى العز إلا منه .

ويقول سهل التستري: العزة بمعنى النعمة .

ويقول الإمام القشيري: طلب العز في ذل القهر؛ وأسر القبضة. أم حسابان ذلك وتوهمه من غير الله، ومن طلب الشيء من غير وجهه فالإخفاق غاية جهده، ومن رام الغنى في مواطن الفاقة فالإملاق قصارى كده .

ويقول محيي الدين بن عربي: التعرز بهم في الدنيا والتقوى بما لهم وجاههم فلا سبيل إلى ذلك، وهم قد أخطأوا لأن العزة كلها صفة من صفات الله تعالى منيع القوى والقدر، له قوة القهر والغلبة للكل، فبقدر القرب منه وقبول نوره وقوته والاتصاف بصفاته تحصل العزة فهي بأهل الإيمان أولى وأهل الحجاب والكفر بالزلة أولى .

ويقول الإمام ابن عجيبة: العز إنما يكون بعز التوحيد والإيمان، وعزة المعرفة والإحسان، وبصحبة أهل العرفان الذين تعزّزوا بعز الرحمن، فمن تعزّز بعز يفنى مات عزه . ومن تعزّز بعز يبقى دام عزه، والشبكة التي يصطاد بها العز هو الذل لله تعالى، يظهره بين عباد الله .

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ...﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ١٤٧.

ما يفعل الله عز وجل بتعذيبكم أنفسكم فى أنواع المجاهدات إن شكرتم، أن طالعتم برى وإحسانى إليكم وآمنتم. قطعتم الهمم عمن سوى.

يقول الإمام القشيري: هذه الآية الكريمة من الآيات التى توجب حسن الرجاء وقوة الأمل، لأنه تعالى جعل من أمارات الأمان من العقوبات شيئين اثنين: الشكر والإيمان، وهما خصلتان يسيرتان خفيفتان؛ فإن الشكر قالة، والإيمان حالة. ولقد هوّن السبيل على العبد حين رضى منه بقالته وحالته، والشكر لا يصح إلا من المؤمنين؛ فأما الكافر فلا يصح منه الشكر؛ لأن الشكر طاعة؛ والطاعة لا تصح من غير المؤمن. وقوله تعالى: ﴿آمَنْتُمْ﴾ يعنى فى المآل؛ فكأنه بين أن النجاة إنما تكون لمن كانت عاقبته على الإيمان. والشكر شهود النعمة من الله، والإيمان رؤية الله فى النعمة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الإخلاص من أعمال القلوب؛ فلا يطلع عليه إلا علام الغيوب. ولا يجوز أن يحكم على أحد بالرياء بمجرد ما يرى عليه من الإظهار، وقد تدخل الرياء مع الأسرار، وتتخلص من القلب مع الإظهار. فإذا تخلص العبد من دقائق الرياء، وأصلح ما بينه وبين الله، واعتصم به دون شىء سواه، كان مع المخلصين المقربين، فيكون عمله موفوراً، وسعيه مشكوراً.

سورة المائدة

مدنية / وآياتها مائة وعشرون آية.

وهي ألفان وثمان مائة وأربع كلمات، وقرأها النبي ﷺ، نزلت في حجة الوداع. وهي مكمل لما تضمنته سورة النساء.

﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ٢.

يصح للمتوكل الكسب بنية المعاونة كما قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، ويصح له ترك الكسب بحقيقة الله تعالى له، ومن خالف في العقد نسباً أو تركاً فقد أخطأ.

«ول سهل التستري: البر: الإيمان. والتقوى: السنة. والإثم: الكفر. والعدوان: البدعة. ويقول الإمام القشيري: البر فعل ما أمرت به، والتقوى ترك ما زجرت عنه. والمعاونة على البر بحسن النصيحة وجميل الإشارة للمؤمنين، والمعاونة على التقوى بالقبض على أيدي الملائكة بما يقتضيه الحال من جميل الوعظ، وبلغ الزجر، وتام المنع على ما يقتضيه شرط العلم. أي: الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذي يقتضى بك فيه. ويقول محيي الدين بن عربي: بتدبير تلك القوى وسياستها بالإحسان إليها بحقوقها ومنعها من حظوظها أو بمراعاة الأهلين والأقارب والأصدقاء بمواساتهم والإحسان إليهم، والمعروف في حقهم مع مخالفتهم إلى ما يمنعكم عنه والاجتناب عن ذلك. ويقول الإمام ابن عجيبة: يجب على العبد كف آذاه عنهم وحمل الجفا منهم، وألا ينتقم لنفسه ممن آذاه منهم، ولا يحمله ما أصابه منهم على أن يعتدى عليهم ولو بالدعاء، بل إن وسع الله تعالى صدره بالمعرفة قائلهم بالإحسان، ودعا لعدوه بصلاح حاله؛ حتى يأخذ الله بيده، وهذا مقام الصديقية العظمى والولاية الكبرى، وهذا غاية البر والتقوى الذي أمر الله تعالى بالتعاون عليه، والاجتماع إليه، دون الاجتماع على الإثم والعدوان.

﴿... وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ٢٠.

أى أحراراً من رق الكون وما فيه.

يقول سهل التستري: ملوكاً، مالكين لأنفسكم ولا كملككم نفوسكم وأنشد:

ما ملكت نفسي وذاك ملك ما مثله للأنام ملك

فصار حراً يملك نفسي فما خلف على ملك

ويقول الإمام القشيري: الملك من ملك هواه، والعبد من هو فى رق شهواته. وقال:

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ لم يخرجكم إلى أمثالكم، ولم يحجبكم عن نفسه بأشغالكم، وسهل إليه

سبيلكم فى عموم أحوالكم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كل من رزقه الله من يأخذ بيده ومن يستعين به على ذكر ربه،

فليذكر نعمة الله تعالى عليه، فقد أسبغ الله عليه نعمة ظاهرة وباطنة. وكل من ملك نفسه

وهواه وأغناه الله عما سواه، فهو ملك من الملوك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ١، ٢، ٨، ١١، ٣٥.

دخل خادم الحسين بن منصور الحلاج إليه فى الليلة التى وعد من الغد قتله، فقال له: أوصنى. قال: هى نفسك.. عليك بنفسك، إن لم تشغلها شغلتك.

يقول الإمام جعفر الصادق: فيه أربع خصال: نداء وكناية وإشارة وشهادة. يا: نداء، وأى: خصوص نداء، وها: كناية، والذين: إشارة، وآمنوا: شهادة. ويقول ذو النون المصرى: علاقة المؤمن خلع الراحة وإعطاء المجهود فى الطاعة ومحبة سقوط المنزلة.

ويقول ابن عطاء: أى، يا أيها الذين أعطيتهم قلوباً لا تغفل عنى، ولا تحجب دونى طرفة عين. وهم الذين خصصهم المولى ببره ومشاهدته لا يكونون كمن أعماهم عن مشاهدته ومطالعة بربه تعالى.

ويقول الإمام القشيرى: من أمارات السعادة الوقوف على حد الأمر؛ إن أباح الحق شيئاً قبله؛ وقابله بالخشوع، وإن حظر شيئاً وقف ولم يتعرض للجحود. ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالتركيز.

ويقول أبو العباس المرسى: كل من لا يكون له فى هذا الطريق شيخ لايفرح به ولو كان وافر العقل منقاد النفس، واقتصر على ما يلقى إليه شيخ التعليم فقط، فلا يكمل كمال من تقيد بالشيخ المربى.

﴿... وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ٣٥.

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ التي كانت منى إليكم، لا منكم إلى، فالوسيلة منه إليك من غير سبب ولا سؤال.

يقول الإمام جعفر الصادق: اطلبوا منه القربة.

ويقول ابن عطاء: الوسيلة هي القربة بأداب الإسلام وأداء الفرائض لدخول الجنة والنجاة من النار.

ويقول الإمام القشيري: ابتغاء الوسيلة هو التبرى عن الحول والقوة، والتحقق بشهود الطول والمنة، والتقريب إليه بما سبق من إحسانه. والوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة، واختياره لك بالجميل؛ وخلوص العقل عن الشك، وابتغاء الوسيلة استدامة الصديق بالولاء إلى آخر العمر، وتجريد الأعمال عن الرياء، وتجريد الأحوال عن الأعجاب، وتخليص النفس عن الحظوظ.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ بالتحلية.

ويقول الامام ابن عجيبة: لا وسيلة أقرب من صحبة العارفين، والجلوس بين أيديهم وخدمتهم، والتزام طاعتهم، فمن رام وسيلة توصله إلى الحضرة غير هذه فهو جاهل بعلم الطريق.

﴿... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ٥٤.

البقاء مقام النبيين عليهم السلام ألبسوا السكينة، لا يمنعهما ما حل عن فرضه ولا عن فضله.

يقول أبو بكر الوراق: الجهاد ثلاثة. جهاد مع نفسك، جهاد مع عدوك، جهاد مع قلبك. والجهاد في سبيل الله هو مجاهدة القلب لئلا تتمكن منه الغفلة بحال، وجهاد النفس لا تفتر عن الطاعة بحال، وجهاد الشيطان أن لا يجد منك فرصة فيأخذ منك بحظه.

ويقول الجنيد البغدادي: الناس في مجاهداتهم ثلاثة: نفر مرتبطون بأفعالهم وصفاتهم. ونفر غلبت صفات الله على سرائرهم، فهم ينظرون إلى السبق وإلى ما جرى به من الحكم. ونفر تجلى الله تعالى لقلوبهم فخشعت عما سواه، فهم لا يدركون صفاتهم وأعمالهم ولا يدركون صفات الحق انقطاعاً إلى الله عز وجل واتصالاً به.

ويقول الإمام القشيري: بين سبحانه أن الجميع إليه لا منهم؛ فقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ متفضل عليهم بمن يختص ذلك من عبيده.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ليس للمحبة طريق إلا محض الفضل والكرم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ لكن صحبة المحبوبين عند الله من أسبابها العادية، وهم أولياء الله الذين هم حزب الله، فولايتهم والقرب منهم من أسباب القرب والمحبة، ومن موجبات النظر والغلبة.

﴿... تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ١١٦ .

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾، لأنك أوجدته، ولا أعلم ما في نفسي لك، ولا أعلم ما في نفسك لبعدها عن الإدراك.

يقول الإمام القشيري: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ أى: علمك محيط بكل معلوم. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ لإحاطتك بالكل، فعلمى بعض من علمك، ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أى: ذاتك لأنى لا أحيط بالكل. ويقول الإمام ابن عجيبة: تعلم ما أخفيه في نفسي، كما تعلم ما أعلنته، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك.

﴿... هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ١١٩.

فى هذه الآية الكريمة: إذا قابل الصادق ربه بصدقه، وجهل أمر ربه، وطالب ربه عز وجل بحظه ووعدده، فطالبه ربه بصدق صدقه، فأفلسه من رتبته، وأبعدده عما قصده. وإنما ينفع صدقه من لقيه بالإفلاس أيقن أنه كان مستعملاً تحت حكمه وقبضته.

يقول ذو النون المصرى: ثلاثة من أعلام الصدق: ملازمة الصادقين، والسكون عند نظر المنفرسين، ووجدان الكراهية لتغير السر لرب العالمين. ويقول ابن عطاء: تنفعهم إرادتهم فى بيان أحوالهم بجوارحهم. ويقول الإمام القشيرى: من تعجل ميراث صدقه فى دنياه من قبول حصل له من الناس، أو نفع وصل إليه من جاه أو مال. فلا شيء له فى آجله من صواب صدقه، لأن الحق سبحانه نص بأن يوم القيامة ينفع فيه الصادقين صدقهم. ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ نفع صدقك إياك، وصدق كل صادق لكونه خميرة الكمالات وخاصية الملكوت.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ينتفع الصادقون فى الدنيا بصدقهم، ويتضرر الكاذبون على الله بكذبهم. والمراد بالصادقين أهل التوحيد، الذين نزهوا الله تعالى عما لا يليق بجلاله وجماله، فصدقوا فيما وصفوا به ربهم. فإن كان مقصوده بالتصدّر للتعظيم والأمر به، حظ نفسه وفرح بتربية جاهه والإقبال عليه، افتضح وأهين بما افتضح به الكاذبون المدعون.

سورة الأنعام

مدنية/ وآياتها مائة وخمسة وستون آية.

وهي مكية غير ست آيات أو ثلاث. وقيل: الأنعام كلها مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٢.

ردهم إلى قيمتهم في أصل الخليقة، ثم أوقع عليهم نور السيد وخاصة الخليقة، فتميزوا بذلك عن جملة الحيوانات بالمعرفة والعلم واليقين.

ويقول الإمام القشيري: أثبت الأصل من الطين، وأودعها عجائب السر، وأظهر عليها ما لم يظهر على مخلوق، فالعبرة بالوصل لا بالأصل؛ فالوصل قرينة والأصل تربة، والأصل من حيث النطفة والقطرة، والوصل من حيث القرينة والنصرة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ المادة الهيولانية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: القوالب من الطين، والأرواح من نور رب العالمين، فالطينية ظرف لنور الربوبية الذي هو الروح؛ لأن الروح نور من أنوار القدس، وسر من أسرار الله، فمن نظف طينته ولطفها ظهرت عليها أسرار الربوبية والعلوم اللدنية، وكُشف للروح عن أنوار الملكوت وأسرار الجبروت، وانخست الطينية، واستولت عليها الروح النورانية.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ١٨.

قال الحسين بن منصور الحلاج: القاهرة تمحو كل موجود.

يقول الإمام القشيري: فوق عباده بالقهر والرفعة، وفوقهم بالقدرة على أن يعذبهم من فوقهم بإنزال العقوبة عليهم والسخطة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بإفنائهم ذاتا وصفة وفعلاً بذاته وصفاته وأفعاله، فيكون قهره عين لطفه كما لطف بهم بإيجادهم وتمكينهم وإقدارهم على أنواع التمتع وهياً لهم ما أرادوا من أنواع النعم والمشتيات فحجبوا بها عنه وذلك عين قهره. فسبحان الذي اتسعت رحمته لأولياه في شدة نعمته واشتدت نعمته على أعدائه في سعة رحمته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ لجميع خلقه كلهم في قبضته، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بهذه القهرية والغلبة والقدرة. وفي الآية الكريمة حض على محبة الحق، وولايته على الدوام، ورفض كل ما سواه ممن عمه الفقر من الأنام.

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ١٩.

لا شهادة أصدق من شهادة الحق لنفسه بما شهد به فى الأزل لقوله تعالى:
﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهُ...﴾.

رسول الإمام القشيري: غلبت شهادة الحق سبحانه كل شهادة، فهم إذا أقبلوا يشهدون فلا
يخطأ بحقائق الشىء علومهم، والحق سبحانه هو الذى لا يخفى عليه شىء، ثم أخبره ﷺ
أنه مبعوث إلى الكافة ومن سيوجد إلى يوم القيامة.
ويقول الإمام ابن عجيبة: فى الآية الكريمة حث على الاكتفاء بعلم الله تعالى، والاستغناء
«عما سواه»، واعلم أن الحق تعالى إذا شهد لك بالخصوصية، ثم اكتفيت بشهادته فأنت
من أهل الخصوصية، وإن لم تكف بشهادته، وتطلعت إلى أن يعلم الناس بخصيصيتك،
فأنت كاذب فى دعوى الخصوصية. وإطلاع الحق تعالى على ثبوت خصوصيتك هو شهادته
لك، فاقنع بعلم الله، ولا تلتفت إلى أحد سواه.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾

سورة الأنعام / مكية / الآية ٥٣.

قال فى معنى الآية الكريمة: قطع الخلق بالخلق عن الحق، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا...﴾.

يقول أبو بكر الوراق: هى فتنة الرجل بولده وزوجته، والاشتغال بهم وبأسبابهم، وقد ذكر عن بعض السلف أنه قال: ما شغلك عن الله تعالى فهو مشئوم، وهو بلاء وفتنة. ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ أى: مثل ذلك الفتن والابتلاء العظيم، ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُمْ﴾ وهم المحجوبون بالبعض، فإن المحجوبين لما لم يروا منهم إلا صورتهم وسوء حالهم فى الظاهر وفقدهم ومسكتهم، ولم يروا قدرهم ومرتبتهم وحسن حالهم فى الباطن، استحققوهم وازدرتهم أعينهم بالنسبة إلى ما هم فيه من المال والجاه والتنعيم وخفض العيش.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ومثل ذلك الاختبار، وهو اختلاف أحوال الناس فى أمر الدنيا ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أى: ابتلينا بعضهم ببعض فى أمر الدين، فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشرف قریش بالسبق إلى الإيمان.

﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٦٧.

فى قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، أى: لكل دعوى كشف.

يقول الإمام القشيري: يعنى قل لهم إنما علىّ تبليغ الرسالة، فأما تحقيق الوصلة بالوجود، الحال فمن خصائص القدرة وأحكام المشيئة الأزلية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الله هو الحفيظ ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ﴾ أى: خبر بعذاب أو إيعاذ به ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ أى: وقت استقراره ووقوعه، يعرف عند انقضائه صدقه من كذبه ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بكم عند وقوعه فى الدنيا والآخرة.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٧٠.

لا تلاحظ من شغلهم خلقنا عنا، وأنسوا بحياتهم في دنياهم، وهو في الحقيقة موت، والحي من يكون به حياً.

يقول الإمام القشيري: أى كلهم وما اختاروه فإننا اعتدنا لهم «من خفى المكر ما إذا أحللناه بهم كسرنا عليهم» خمار الروم والغلبة.

ويقول محيى الدين بن عربى: أترك الذين دينهم وعادتهم الهوى واللهو، لأنهم لا يرفعون بذلك رأساً لرسوخ ذلك الاعتقاد فيهم، واغترارهم بالحياة الحسية، وأعرض عنهم وانذر بالقرآن كراهة أن تحجب نفس بكسبها، أى: لا يكون دينها وديدها ذلك ولم ترسخ تلك العقيدة فيها، لكن ترتكب بالميل الطبيعى أفعالاً مثل أفعالهم، فتحجب بسببها فإنها تتأثر به وتتعتف فتنتهى، فانذرهما حتى لا تصير مثلهم؛ فتحبس بعملها عن الهداية، وحينئذ لا يقبل منها فدية إذ حجبت بكسبها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بنوا أمر دينهم على التشهى، وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلاً وآجلاً، كعبادة الأصنام واتخاذ البحائر والسوائب، أو اتخذوا دينهم الذى كلفوا بالدخول فيه لعباً ولهواً، حيث سخرُوا به، أى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم. تقدم مراراً التحذير من مخالطة أهل الخوض وصحبة العوام، وكل من ليس من جنس أهل النسبة، فإن ألجأه الحال إلى صحبتهم فليذكرهم ويعظهم، وينهضهم إلى الله بمقاله أو حاله ما استطاع.

﴿... قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٧٣.

هو الحق، ولا يظهر من الحق إلا الحق، قال الله تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ...﴾.

ويقول الإمام القشيري: يعنى أنه لا يعترض على قدرته سبحانه حدوث مقصود، ولا يتقاصر حكمه عن تصرف موجود.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أى فى ذلك الوقت سيما سرمدى إرادته التى اقتضت وجود المبدعات على ما هى عليه ثابتة فى حالها؛ غير متغيرة، اقتضت ما اقتضت على أحسن ما يكون من النظام والترتيب، وأعدل ما يكون من الهيئة والتركيب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ حاصل يوم يقول للبعث والحشر: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ أى: انفرد الملك له يوم ينفخ فى الصور فيقول: لمن الملك اليوم؟ فلا يُجاب. فيقول: لله الواحد القهار.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٧٦.

فى تفسير هذه الآية الكريمة، أنشد النصر أباذى من شعر الحلاج:

إن شمس النهار تطلع بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

يقول الإمام القشيري: يعنى أحاطت به سُر وظلمات الطلب، ولم ينجل له بعد صباح الوجود.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: فلما أظلم عليه ليل عالم الطبيعة الجسمانية فى صباه وأول شبابه، «رأى» كوكب ملكوت الهيكل الإنسانى التى هى النفس المسماة روحاً روحانية، وجد فيضه وحياته وربوبيته منها، إذ كان الله تعالى يريه فى ذلك الحين باسمه المحيى. ويقول الإمام ابن عجيبة: لما كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والكواكب والقمر والشمس، أراد أن يرشدهم إلى التوحيد من طريق النظر والاستدلال ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أى: ستره بظلامه، فلما كُشف إبراهيم عليه السلام بعالم الملكوت، رأى الله تعالى فى الأشياء كلها.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٩١.

كيف يقدره أحد حق قدره، وهو بقدره يريد أن يقدر قدره، ولو عرفوا ذلك لذابت أرواحهم عند كل وارد يرد عليهم من صنعه، وأوصاف الحدث أين يقع من أوصاف القدم.

يقول الإمام القشيري: من توهم أن العلوم تحيط بجلاله فالإحاطة غير سائغة في نعته، كما أن الإدراك غير جائز في وصفه؛ كما أن الإشراف محال على ذاته. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: مقادير المحسوسات من الأعمال أوزان؛ وبالأوزان عرفت الأقدار. وما عرفوه حق معرفته؛ إذ بالغوا في تنزيهه حتى جعلوه بعيداً عن عباده بحيث لا يمكن أن يظهر من علمه وكلامه عليهم شيء، ولو عرفوه حق معرفته لعلموا أن لا وجود لعباده ولا لشيء آخر إلا به.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على العباد بالوحي وغيره، إذ لو عرفوه لهابوا أن ينكروا بعثه الرسل، أو ما جسروا على هذه المقالة، أو ما عظموه حق تعظيمه. حيث كذبوا رسله وأنكروا أن يكون أنزل عليهم كتاباً، إذ لو عظموه حق تعظيمه لصدّقوا الرسول الوارد عنه.

﴿... قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٩١.

دعا الله تعالى خواصه بهذه الآية إلى الانقطاع عن كشف ما له إلى الكشف عما به، وقد قال الله عز وجل إلى جريان السر: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ في شرك؛ وذرا ما في لسانك».

يقول ابن عطاء: لأنهم لله لا لشيء دونه ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. وقد ينكر عليهم من لم يفهم إشارتهم، تجمداً ووقوفاً مع الظاهر. ويقول أبو بكر الشبلي: عليك بالله تعالى، ودع ما سواه، وكن معه ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

ويقول الإمام القشيري: يعنى صرّح بالإخبار عن التوحيد، ولا يهولنك تماديهم في الباطل، فإن تمويهات الباطل لا تأثير لها في الحقائق. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ استشهد به الصوفية في طريق الإشارة على الانفراد والانقطاع إلى الله، وعدم الالتفات إلى ما عليه الناس من الخوض والاشتغال بالأغيار والأكدار، والخروج عنهم إلى مقام الصفا، وهو شهود الفردانية، والعكوف في أسرار الوجدانية.

﴿... وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ١٠٣.

فى قوله تعالى: ﴿اللَّطِيفُ﴾، لطف عن الكنه فأنى له وصف، ومن لطفه ذكره لعبده فى الدهور الخالية، إذ لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية قبل سبق الوقت وإظهار الكونين وما فيهما، فهذا معنى اللطيف.

يقول الإمام القشيري: قدس الصمدية عن كل لحوق ودرك، فأنى بالإدراك ولا حد له ولا طرف؟! ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ الذى لا يخفى عليه شىء، ﴿الْخَبِيرُ﴾ الذى أحاط علمه بكل معلوم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يحيط علمه بالابصار؛ إذ لا تخفى عليه خافية ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فيدرك ما لا تدركه الأبصار، ويجوز أن يكون تعليلاً للحكمين السابقين على طريق اللطف. لأنه اللطيف، وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير، فيكون اللطيف مقابلاً للكثيف، لا يُدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها.

سورة الأعراف

مكية / وآياتها مائتان وخمس آية.

وهي مكية إلا ثمانى آيات.

﴿الْمَص﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١.

وفى قوله تعالى: ﴿الْمَص﴾، الألف ألف الأزل، واللام لام الأبد، والميم بينهما، والصاد اتصال من اتصل به، وانفصال من انفصل عنه، وفى الحقيقة لا اتصال ولا انفصال،، وهى ألفاظ تجرى على حسب العبارات، ومعادن الحق مصونة عن الألفاظ والعبارات. وقل: الألف ألف المألوف، واللام لام الآلاء، والميم ميم المُلْك، والصاد صاد الصدق،.. وقال: فى القرآن الكريم علم كل شىء، وعلم القرآن فى الأحرف التى فى أوائل السور، وعلم الأحرف فى لام ألف، وعلم لام ألف فى الألف، وعلم الألف فى النقطة، وعلم النقطة فى المعرفة الأصلية فى الأزل، وعلم الأزل فى المشيئة، وعلم المشيئة فى غيب الهو، وغيب الهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

يقول ابن عطاء: لما خلق الله تعالى صورة الأحرف؛ جعل لها سراً. فلما خلق آدم عليه السلام، بث فيه ذلك السر؛ ولم ييشه فى الملائكة. وفجرت الأحرف على لسان آدم بفنون الجريان وفنون اللغات. فجعله الله صورة لها.

ويقول أبو محمد الجريرى: إن لكل حرف ولفظ من الحروف مشرباً وفهماً غير الآخر. ومن شرح ذلك ﴿الْمَص﴾: الألف للفهم فى محضرهم استماع إلى حسن مخرج؛ وطعم عذب موجود، ونظر إلى المتكلم، وكذلك اللام حسن استماع من مخرج غير الألف، وطعم فهم موجود؛ وكذلك الميم حسن استماع من مخرج غير اللام، وطعم فهم موجود، والصاد حسن استماع إلى حسن مخرج، وطعم فهم موجود غير الميم، فمزوج ذلك كله بملاحظة متكلمة.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿الْمَص﴾ الألف إشارة إلى الذات الأحدية، واللام إلى الذات مع صفة العلم، والميم إلى التسمية الجامعة التى هى معنى محمد ﷺ؛ أى: نفسه وحقيقته، والصاد إلى الصورة المحمدية التى هى جسده وظاهره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: هذه الآية الكريمة رمز إلى ذكر بعض حروف المحبوب، اتقاء الرقباء..

﴿... رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ٢٣.

قال الحسين بن منصور الحلاج: الظلم هو الاشتغال بغيره عنه.

يقول ابن عطاء: ظلمنا أنفسنا باشتغالنا بالجنة وطلبها عنك.

ويقول أبو بكر الشبلي: ذنوب الأنبياء تؤديهم إلى الكرامة والرتب، كما كان ذنب آدم عليه السلام أداه إلى الاجتباء والاصطفاء، وذنوب الأولياء تؤديهم إلى الكفارة، وذنوب العامة تؤديهم إلى الإهانة.

ويقول الإمام القشيري: اعترفا بالظلم جهراً، وعرفا بالحكم فى ذلك سرّاً؛ فقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ اعتراف بالظلم من حيث الشريعة، وعرفان بأن المدار على الحكم من حيث الحقيقة؛ فمن لم يعترف بظلم الخلق طوى الشريعة، ومن لم يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة.

ويقول محمى الدين بن عيسى: هو لتنبه النفس الناطقة على نقصانها من جهة الطبيعة وانطفاء نورها وانكسار قوتها، وحصول الداعى فيها على طلب الكمال بالتجرد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ حين صدرناها للمعصية، وتعرضنا للإخراج من الجنة. فكل ما نهى الله تعالى عنه فهو شجرة آدم، فمن دخل جنة المعارف، ثم غلبه القدر فأكل من تلك الشجرة، وهى شجرة سوء الأدب. أخرج منها، فإن كان ممن سبقت له العناية ألهم التوبة، فتاب عليه وهده، وأهبطه إلى أرض العبودية، ليكون خليفة الله تعالى فى أرضه.

﴿... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ٢٩.

فى قوله عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، أى: لا تغفروا بما يجرى من الأعمال، لأن الأعمال قد توافق الخلقة أو تخالفها.

يقول أبو الحسين النورى: تجرى عليكم فى الأبد ما قضينا به عليكم فى الأزل. ويقول ابن عطاء: ابتداء خلقه إبليس على الكفر والخلاف، ثم استعمله بأعمال المطيعين بين الملائكة والمقربين، ثم رده إلى ما ابتدأه عليه من الخلاف. ويقول الإمام القشيرى: من كانت قسمته سبحانه له بالسعادة كانت فطرته على السعادة، وكانت حالته بنعت السعادة، ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة، ومن كانت القسمة له بالعكس فالحالة ضد. ويقول محبى الدين بن عربى: بدأنا على غير مثال، كذلك يعيدنا على غير مثال. ولم يبعد عليه أن يكون الشخص فى أماكن مختلفة فى الزمن الواحد، وهذا أمر تستحيله العقول، ويشهد بصحته الكشف. فهو محال عقلاً، وليس بمحال نسبة إلهية. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ بإظهاركم واختفائه ﴿تَعُودُونَ﴾ بفنائكم فيه واختفائكم ليظهر. ويقول الإمام ابن عجيبة: لا تعبدوا معه غيره، فإنكم راجعون إليه ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ٩٩.

لا يأمن المكر إلا من هو غريق في المكر فلا يرى المكر به مكرًا. وأما أهل اليقظة فإنهم يخافون المكر في جميع الأحوال، إذ السوابق جارية؛ والعواقب خفية. وقال أيضا: من لا يرى المكر تلييسًا، كان المكر منه قريبًا.

يقول الإمام القشيري: من عرف علو قدره سبحانه جل شأنه خشى خفى مكره، ومن أمن خفى مكره نسى عظيم قدره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ وهو أن يستدرجهم بالنعم حتى يأخذوهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسروا أنفسهم، بترك النظر والاعتبار، حتى هلكوا، فلم ينفعهم حينئذ الندم.

﴿...أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ...﴾

سورة الأعراف / مكية / الآية ١٤٣.

فى قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ وكلمة ربه، قال لما أتى إليه الحق؛ أزال عنه التوقيف والترتيب، وجاء إلى الله الله على ما دعاه إليه وأراد له؛ وأخذه عليه، وأوجده منه؛ وأظهره عليه ببذل المجهود والطاقات، وركوب الصعب والمشقات، فلما لم يبق عليه باقية بها يمتنع، أقيم مقام المواجهة والمخاطبة، وأطلق ما اصطنعه لسانه بالمراجعة والمطالبة، أما سمعت قوله؛ قبل هذا الحال، طالباً منه ما طُوع بحال الربوبية، وكُوشف لمقام الألوهية سائلاً حل عقدة من لسانه ليكون - إذا كان ذلك - مالكا لنطقه وبيانه.

يقول الإمام جعفر الصادق: الميقات طلب الرؤية. أى: سمع كلامه خارجاً عن بشريته وأضاف الكلام إليه، وكلمه من نفسه فغاب موسى عن نفسه وفنى عن صفاته، وكلمه ربه من حقائق معانيه فسمع موسى عليه السلام من ربه، ومحمد ﷺ سمع من ربه صفة ربه، وكان أحمد المحمودين عنده تعالى، ومن هذا كان مقام محمد عليه السلام: المنتهى، ومقام موسى عليه السلام: الطور، ومنذ كلم الله تعالى موسى على الطور أفنى صفته، فلم يظهر فيه النبات ولا تمكين لأحد عليه.

وقال لما سئل مليكه شرح صدره ليتسع لمقام المواجهة والمخاطبة، ثم نظر إلى أليق الأحوال به؛ فإذا هو تيسير أمره، فسئل ذلك على التمام ليترقى به حاله إلى أرفع المقام؛ وهو المجئ إلى الله بالله لما علم أن من وصل إليه لم يعترض عليه عارضه بحال، فلما تمت له هذه الأحوال، صلح للمجئ إلى الله وحده، ولا شريك له تعالى، ولا نظير، وكان ممن وفى المواقيت حقها، غابت عنه الأحوال فلم يرها، وذهبت عينيه وحضوره، وما عداها إلا ما كان للحق منه ومعه حتى تحقق بقوله ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴿، فهذا حال المجئ، وهذا معنى قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾.

ويقول محيي الدين بن عربي: كان قد صدر عنه فى الثلاثين، والإفاقة بعدها فى تمة الأربعين. وكلمه ربه، التكليم فى مقام تجلى الصفات، وقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾: بدر عن إفراط شوق منه إلى شهود الذات فى مقام فناء الصفات مع وجود البقية.

﴿... لَنْ تَرَانِي...﴾

سورة الاحراف / مكية / الآية ١٤٣.

فى قوله تعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، أى: لو تركه على ذلك لتقطع شوقاً إليه، ولكنه عز وجل سكنه بقوله: ﴿وَلَكِنْ﴾ وفى هذه الآية: انبسط على ربه فى معانى الرؤية لما كان يرجع منه إلى شىء سواه.

يقول الإمام جعفر الصادق: انبسط إلى ربه فى معنى رؤيته، لأنه رأى جمال كلامه على قلبه فيه، فانبسط إليه فقال له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أى لا تقدر أن ترانى لأنك أنت الفانى فكيف السبيل لفان إلى باقى؟. وقد شغله بالجليل ثم تجلى، ولولا ما كان من اشتغاله بالجليل، لما مات موسى صعباً بلا إفاقة.

ويقول الإمام القشيري: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، قول أتم؛ صريح فى الرد، وفى اليأس راحة. لكنه لما قال فسوف أطمعه فيما مُنعه فلما اشتد موقفه جعل الجبل دكاً، وكان قادراً على إمساك الجبل، لكنه قهر الأحباب الذى جرت به سنتهم. ويقول محمى الدين بن عربى: إشارة إلى استحالة الإثنية، وبقاء الأنية فى مقام المشاهدة كقوله:

إذا تغيبت بدا وإن بدا غيبنى

وقوله: رأيت ربى بعين ربى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تكون رؤية الحق تعالى بالبصيرة دون البصر، لأن البصيرة تدرك المعانى، والبصر يدرك الحسيات، فإذا انفتحت البصيرة استولى نورها على نور البصر، فلا يرى البصر حيثئذ إلا ما تراه البصيرة. ورؤية الحق تعالى فى الدنيا على هذا الوجه: خاص بخواص الأمة المحمدية دون سائر الأمم، وراثه عن نبيهم ﷺ فإنه خُصَّ بالرؤية دون غيره من الأنبياء.

﴿... وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

سورة الاعراف/ مكية/ الآية ١٥٨.

إن الحق أورد تكليفه على ضربين: تكليف عن وسائط وتكليف الحقائق، فتكليف الحقيقة بدت معارفه منه وعادت إليه، وتكليف الوسائط بدت معارفه عمن دونه فلا يصل إليه، فيتناهى من معارفهم إلى نهايات معرفة أهل الوسائط، ولا تتناهى معارف من أخذ معارفه عن شهود الحق، كل ذلك رفقا من الحق بالخلق؛ لعلهم بأنه لا يوصل إليه إلا بما منه.

يقول الإمام القشيري: أطيعوه فيما يأمركم، وتحذروا من ارتكاب ما يجركم. وإن مما أمركم به أنه قال لكم: آمنوا بالنبى الأمى، واتبعوه لتفلحوا فى الدنيا والعقبى، وتستوجبوا الزلفى والحسنى، وتتخلصوا من البلوى والهوى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: غاية الاهتداء غير متناهية، لأن أدب العبودية مقرون مع عظمة الربوبية، فكما أن الترقى فى مشاهدة الربوبية لا نهاية له، كذلك أدب العبودية لا نهاية له، ولا تُعرف كيفية الأدب إلا بواسطة تعليمه عليه الصلاة والسلام، فواسطة النبى ﷺ لا تفارق العبد، ولو عرف ما عرف، وبلغ ما بلغ.

﴿... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١٧٢.

الحق أنطق الذرة بالإيمان طوعاً وكرهاً، أنطقهم بركة الأخذ، أخذهم عنهم فأنطقهم لا بهم؛ بل أخذهم عنهم ثم أشهدهم حقيقته، فأنطقت عنهم القدرة من غير شركة كانت لهم فيه.

يقول أبو سعيد الخراز: فى قوله تعالى: ﴿بَلَى﴾، قال: من قال حين قال: ومن أين أجابوا عنهم إلا القدرة النافذة والمشيئة التامة، وهل كانوا إلا رسماً لأحكام ملك. ويقول أبو محمد الجري: تعرف إلى كل طائفة من الطوائف بما منحها من معرفته فقال: ﴿بَلَى﴾، وكل أقر بما منح، ثم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام فقال: ﴿كُنتُمْ أَعْدَاءُ فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، وقال لنبيه ﷺ: ﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾. ويقول الإمام القشيري: أخبر بهذه الآية الكريمة عن سابق عهده، وصادق وعده، وتأكيد حبل وده، بتعريف عبده.

ويقول محيي الدين بن عربي: هذا خصوص بالبشر، والتكوين عموم. وكلمة الحضرة أول ما فتق أسماعهم به وهم فى الوجود الأول.

قال الحلاج رحمه الله: لا يعلم أحد من الملائكة والمقربين لماذا أظهر الحق الخلق؛ وكيف الابتداء والانتهاء، إذ الألسنة ما نطقت والعيون ما أبصرت، والأذن ما سمعت، كيف أجاب من هو عن الحقائق غائب؛ وإليها آيب في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فهو المخاطب وهو المجيب.

يقول أبو الحسين بن بنان المصري: قد أخبرك الحق تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أنه قد خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم، إذ كان واجد الخليفة بغير معنى وجودها لأنفسها بالمعنى الذى لا يعلمه غيره ولا يجده سواه، فقد كان واجداً مخاطباً شاهداً عليهم بادياً فى حال فنائهم عن بقائهم الذى كانوا به، كذلك هو الوجود الربانى والإدراك الإلهى الذى لا ينبغى إلا له.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بعث الله الأنبياء والرسل يُذكرون الناس ذلك العهد، فمن أقرّ به نجا، ومن أنكره هلك. وأما إشهادهم فمعناه: أن الله نصب لبنى آدم الأدلة على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فكانه أشهدهم على أنفسهم، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال: أنت ربنا.

﴿... قَالُوا بَلَى...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١٧٢.

فى قوله تعالى: ﴿بَلَى﴾: القائل عنكم سواكم، والمجيب عنكم غيركم، فسقطتم أنتم وبقي من لا يزال كما لم يزل.

يقول الإمام القشيري: تجلّى الحق سبحانه لقوم فتولى تعريفهم فقالوا: ﴿بَلَى﴾ عن حاصل يقين، وتعزز عن آخرين فأثبتهم فى أوطان الجحد فقالوا: ﴿بَلَى﴾ عن ظن وتخمين. ويقول محمى الدين بن عربى: ﴿بَلَى﴾ أول ما فتق الله به اللسنة. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿بَلَى﴾ حرف جواب يُجاب بها عن الهمزة إذا دخلت على منفى، فخرجت عن الاستفهام إلى التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفى. ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أنت ربنا، ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك على أنفسنا، لأن الأرواح حيثئذ كانت كلها على الفطرة، علامة درآكة.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ٢٠٥.

فى هذه الآية الكريمة: لا يظهر ذكرك لنفسك فتطلب به عوضاً، وأشرف الذكر ما لا يشرف عليه إلا الحق تعالى، وما خفى من الأذكار أشرف مما ظهر.

يقول الإمام القشيري: التضرع إذا كُوشف العبد بوصف الجمال فى أوان البسط، والخيفة إذا كُوشف بنعت الجلال فى أحوال الهيبة، وهذا للأكابر. ومن فوق الجميع فأصحاب البقاء والفناء.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ حاضراً ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ سورة الأحزاب/ مدنية/ الآية ٢١.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الذكر على خمسة أقسام: ذكر اللسان فقط لعوام المسلمين، وذكر اللسان مع القلب لخواص الصالحين، وذكر القلب فقط للأقوياء من الذاكرين، وذكر الروح لخواص أهل الفناء من الموحدين، وذكر السر لأهل الشهود والعيان من المتمكنين، وفى قطع هذه المقامات يقع السير للسائرين، فيترقى من مقام إلى مقام، حتى يبلغ إلى ذكر السر، فيكون ذكر اللسان فى حقه غفلة.

سورة التوبة (براءة)

مدنية، وآياتها مائة وتسع وعشرون آية.

ولها أسماء أخر: سورة البراءة، والمقشقة أى المبرئة من النفاق، وسورة البحوث، والمبعثرة، والمنقرة، والمثيرة، والحافزة، والمخزية، والفاضحة، والمنكلة، والمشردة، والمدمدمة، وسورة العذاب. وهى السورة الوحيدة فى المصحف الشريف لا تسبقها البسمة.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ...﴾

سورة التوبة/ مدنية/ الآية ٤٣.

الأنبياء عليهم السلام مبسوطون على مقاديرهم واختلاف مقاماتهم، وكل ربط مع حظهم، واستعمال الأدب بين يدي الحق تعالى، وكل أنب على ترك الاستعمال، فمنهم من أنس قبل التائب، ومنهم من أنس بعد التائب، على اختلاف مقاماتهم، فأما محمد ﷺ فإنه أنس قبل التائب، إذ لو أنس ﷺ بعد التائب لتفطر لقربه من الحق تعالى، وذلك أن الحق أمره بقوله تعالى ﴿فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾، ثم قال مؤنبا له على ذلك: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾، ولو قال: لم أذنت لهم عفا الله عنك، أنبه قبل قوله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، لذاب، وهذا غاية القرب. وقال تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام إنه قال: ﴿إِنِّي أَنبِئُ مِنْ أَمَلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ سورة هود/ مكية/ الآية ٤٥، مؤنبا له وآنسه بعد التائب ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، ولو لم يؤنسه بعد التائب لتفطر، وهذا مقام نوح وليس المفضول بمقصر، إذ كل منهم له رتبة من الحق.

يقول ابن عطاء: عُوتِبَ كل نبي بذنبه، ثم غُفِرَ له، وغُفِرَ لمحمد ﷺ قبل موافقة الذنب، فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ إحلالا له.

ويقول الإمام القشيري: لم يكن منه ﷺ خرق حد؛ أو تعاطى محظور، وإنما بدر منه ترك ما هو الأولى. وقدم الله ذكر العفو على الخطاب الذي هو في صور العتاب بقوله تعالى: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لا ينبغي للعارفين بالله، الداعين إلى الله، أن يأذنوا لمن استأذنه في التخلف عن الجهاد الأكبر، ويرخصون له في البقاء مع النفس والهوى، وجمع حطام الدنيا شفقة ورحمة، لأن الشفقة في هذا المعنى لا تليق بأهل التربية. بل لا يليق بهم إلا الأمر بما تموت به النفوس، وتحيا به الأرواح، وإن كان فيه حتفهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ...﴾

سورة التوبة/ مدنية/ الآية ١١١.

قال الحسين بن منصور الحلاج: نفوس المؤمنين نفوس أبيه اشتراها الحق تعالى، فلا يملكها سواه.

يقول الإمام جعفر الصادق: يكرمهم على لسان الحقيقة، وعلى لسان المعاملة. اشترى منهم الأجساد لمواضع وقوع المحبة من قلوبهم، فأحياهم بالوصلة. ويقول أبو علي الدقاق: لم يقل جل شأنه اشترى قلوبهم، لأن القلوب وقف على محبته تعالى، والوقف لا يشتري.

ويقول ابن عطاء: النفس موضع كل شهوة وبلية، والمحال محل كل إثم ومعصية. فأراد أن يزيل ملكك عما يضرك ويعوضك عليه ما ينفعك؛ عاجلاً وآجلاً.

ويقول الإمام القشيري: لما كان من المؤمنين تسليم أنفسهم وأموالهم لحكم الله تعالى؛ وكان من الله سبحانه الجزاء والثواب؛ أى هناك عوض ومعوض، وفي الحقيقة لا يصح في وصف الحق سبحانه الاشتراء، لأنه مالك سواه، وهو مالك الأعيان كلها. وقال تعالى: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ ولم يقل قلوبهم، لأن النفس محل الآفات.

ويقول محسى الدين بن عربي: لو لم يشتري الله تعالى حتى حال بينهم وبينها لكان لهم ما يصلون به إلى المتعة: ببقاء الحياة لبقاء الغذاء، فلما أفلسهم أعدمهم! فأعطينا العوض الذي اشترينا به حياته فبقى حياً، وما ظهرت للموت أثر في ذلك المشهد. فالعبد ينفق في سبيل الله نفسه وماله، فالزكاة في النفوس، ولهذا قدمها الله في الشراء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: اشترى الحق جل جلاله منا أنفسنا وأموالنا بالجنة، فمن باع نفسه لله؛ بأن خالف هواها وخرق عوائدها، وسعى في طلب مولاها، عوضه جنة المعارف معجلة، وزاده جنة الزخارف مؤجلة، ومن باع ما له بأن أنفق في مرضاة الله تعالى، وبخل بنفسه، عوضه جنة الزخارف مؤجلة.

﴿... وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ...﴾

سورة التوبة/ مدنية/ الآية ١١١.

عهد الحق في الأزل إلى خواصه باختصاص خاصيته، خصهم بها من بين تكوينه فأظهر آثار أنوار ذلك عليهم عند استخراج الذر، فرأى آدم عليه السلام الأنوار تتلألأ، فقال: «من هؤلاء؟» ثم أظهر سمات ذلك حين أوجدتهم، وهي آثار ذلك العهد الذي عهد إليهم، فوفى لهم بعودهم ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾.

يقول الإمام القشيري: أخبر تعالى أنه اشترى النفس والمال لثلا يدعى العبد فيها؛ فلا يساكنها ولا يلاحظها ولا يعجب بها.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: لما هداهم إلى الإيمان العلمي وهم مفتونون بمحبة الأموال والأنفس استنزلهم لفرط عنايته بهم عن مقام محبة الأموال والأنفس بالتجارة المربحة والعاملة المرغوبة بأن جعل جنة النفس ثمن أموالهم وأنفسهم ليكون الثمن من جنس المثلث الذي هو مألوفهم، لكنه ألد وأشهى وأرغب وأبقى، فرغبوا فيما عنده وصدقوا لقوة اليقين وعده.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾

سورة التوبة/ مدنية/ الآية ١٢٨.

من أجلاكُم نفساً وأعلامك همة؛ جاد بالكونين عوضاً عن الحق تعالى، ما ينظر إلى الملكوت، ولا إلى السدرة، وما زاغ بصره عن مشاهدة الحق، وما طغى قلبه عن موافقته. فهو من أنفسكم نفساً ونسباً وحسباً وصهرًا.

يقول الإمام جعفر الصادق: علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته، فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته، فأقام بينه وبينهم مخلوقاً من جنسهم في الصورة، وألبسه من نعته الرأفة والرحمة، وأخرجه إلى الخلق سفيراً صادقاً، وجعل طاعته طاعته، وموافقته موافقته ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

ويقول ابن عطاء: نفسه موافقة لأنفس الخلق خلقة، ومباينة لها حقيقة. فإنها نفس مقدسة بأنوار النبوة؛ مؤيدة بمشاهدة الحقائق؛ ثابتة في المحل الأدنى والمقام الأعلى. ويقول الإمام القشيري: جاءكم رسول يشاكلكم في البشرية، فلما أفردناه به من الخصوصية ألبسناه لباس الرحمة عليكم، وأقمناه بشواهد العطف والشفقة على جملتكم، وقد وكلَ همهم بشأنكم، وأكبر همهم إيمانكم.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ليكون بينكم وبينه جنسية نفسانية بها تقع اللفة بينكم وبينه فتخالطونه بتلك الجنسية، وتختلطون به فتأثر من نورانيته المستفادة من نور قلبه أنفسكم؛ فتتنور بها وتنسلخ عنها ظلمة الجبلية والعادة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ينبغى لورثته عليه الصلاة والسلام الداعين إلى الله، أن يتخلقوا بأخلاقه ﷺ فيشق عليهم ما ينزل بالمؤمنين من المشاق والمكاره، ويسرون ولا يعسرون عليهم، ويحرصون على الخير للناس كافة، ويبدلون جهدهم في إيصاله إليهم، ويرحمونهم ويشفقون عليهم، فإن أدبروا عنهم استغنوا بالله تعالى وتوكلوا عليه، وفوضوا أمرهم إليه من غير أسف ولا حزن.

سورة يونس

مكية، وآياتها مائة وتسع آية.

نزلت في مشركى مكة والمستهزئين الذين قالوا: «يا محمد أنت بقرآن غير هذا، فيه ما نسألك».

﴿أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ...﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ١.

قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله: فى القرآن علم بكل شىء، وعلم القرآن فى الأحرف التى فى أوائل السور.

يقول الإمام القشيري: الألف مفتاح اسم الله، واللام مفتاح اسم اللطيف، والراء مفتاح اسم الرحيم. أقسم بهذه الأسماء إن هذا الكتاب هو الموعد لكم يوم الميثاق. والإشارة فيه أننا حققنا لكم الميعاد، وأطلعنا لكم عنان الوداد، وانقضى زمان الميعاد. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿أَلَمْ﴾ إشارة إلى الرحمة التى هى بالذات المحمدية لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء/ مكية/ الآية ١٠٧، ﴿تلك﴾ أى: ما أشير إليه بهذه الحروف أركان كتاب الكل ذى الحكمة، أو المحكم المتقن تفاصيله، أو أقسم بالله باعتبار الهوية الأحادية جمعًا، وباعتبار الصفة الواحدية تفصيلًا فى باطن الجبروت وظاهر الرحموت على ما ذكر، أو على أن تلك الآيات المذكورة فى السورة «آيات الكتاب» ذى الحكمة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تعجب الناس من أهل الخصوصية، فكما خفى عن أعين الكفار سر النبوة، خفى عن أعين الخفافيش سر الخصوصية، فلا يطلع عليها إلا من سبق له قدم صدق عند ربه، فسبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية؛ فلم يدل عليها إلا من أراد أن يوصله إلى مشاهدة عظمة الربوبية.

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ...﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ٣٢.

الحق هو المقصود إليه بالعبادات، والمصمود إليه بالطاعات، لا يشهد بغيره ولا يدرك سواه. والحق هو الذي لا يستقبح قبحاً، ولا يستحسن حسناً، كيف يعود عليه ما منه بدأ، أو يؤثر عليه ما هو أنشأ، وقيل في قوله: ﴿فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾ من الحق إلى سواه.

سئل الحسين: من هذا الحق الذي تشيرون إليه؟ قال: هو معل الأنام ولا يعتل.

يقول الإمام القشيري: ما يكون من موضوعات الحق، ومتعلقات الإرادة، ومتناولات المشيئة، ومجنسات التقدير، ومصروفات القدرة؛ فهي أشباح خاوية؛ وأحكام التقدير عليها جارية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: المتولى لكل الأمور هو ربكم، الذي يستحق أن تعبدوه، والثابت ربوبيته، لأنه هو الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أمورك، وهو من يرزقكم من سماء الأرواح علم الأسرار والحقائق. ومن أرض النفوس علوم الشرائع والطرائق. أمن يملك السمع والأبصار فيصرفها إلى سماع الوعظ والتذكار، ونظر التفكير والاعتبار، ليلتحق صاحبهما بالمقربين الأبرار، وقدم السمع لأنه أنفع لإيصال النفع إلى القلب من البصر.

﴿... هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُ الْخَلْقَ...﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ٣٤.

أنشد الحسين بن منصور:

حقيقة الحق مستنير صارخة من بنا خبير
حقائق الحق قد تجلت مبلغ من رامها عسير

يقول ابن عطاء: يبدأ بإظهار القدرة فيوجد المعدوم، ثم يعيدها بإظهار الهيئة فيفقد الوجود.

ويقول الإمام القشيري: الحق من أوصاف الخلق ما حَسُنَ فعله وصح اعتقاده وجاز النطق به. فإلى الحق هدايته. وهده له وهده إليه بمعنى؛ فمن هداه الحق للحق وقفه على الحق، وعزيز من هداه الحق إلى الحق للحق، فما له نصيب وماله حظ.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُ الْخَلْقَ﴾ بإظهاره للوجود «ثم يعيده» بالبعث. كيف يحتاج عليهم بالإعادة؛ وهم لا يعترفون بها؟. هي لظهور برهانها وتواتر أخبارها كأنها معلومة عندهم، فلو أنصفوا ونظروا لأقروا بها، ولذلك أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن ينوب عليهم في الجواب.

﴿... أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ...﴾

سورة يونس / مكية / الآية ٣٥.

الحق من الحق، ومن أجل الحق وهو قائم، الحق مع الحق، وليس وراء ذلك إلا رؤية الحق، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي﴾.

يقول الإمام القشيري: الحق اسم من أسمائه سبحانه، ومعناه أنه موجود، وأنه ذو الحق، وأنه محق الحق. والحق من أوصاف الخلق ما حسن فعله وصح اعتقاده وجاز النطق به. ﴿اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾: أى: إلى الحق هدايته. وهده له، وهده إليه بمعنى؛ فمن هداه الحق للحق وقفه على الحق، وعزيز من هداه الحق إلى الحق للحق، فما له نصيب وما له حظ. ويقول الإمام ابن عجيبة: فى الآية الكريمة تحريض على رفع الهممة عن السوى، إلى من بيده البدء والإعادة والإرشاد والهداية، إلا من جعل على يديه الإرشاد والهداية، وهم الأنبياء والأولياء والعلماء والأتقياء، فالخضوع إليهم خضوع إلى الله على الحقيقة، واتباعهم اتباع الله تعالى على الحقيقة، وكل من تبع غيرهم فلنما يتبع الظن والهوى دون الحق.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ...﴾

سورة يونس / مكية / الآية ٤٢.

من استمع إليك بإياه فإنك لا تسمعه، وإنما يسمع من أسمعناه في الأزل، فيسمع منك، وأما من لم تسمعه فما للأصم والسماع؛ وإن سمع لم يعقل، فكأنه لم يسمع. قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُنِيعُ إِلَّا مَنْ يُّؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ سورة الروم / مكية / الآية ٥٣. إلا من أجرينا عليه حكم السعادة في الأزل.

يقول الإمام القشيري: من استمع بتكلفه ازداد في تخلفه بزيادة تصرفه، ومن استمع الحق بتفضله سبحانه استغنى في إدراكه عن تعلمه. والحق سبحانه يُسمع أوليائه ما يناجيهم به في أسرارهم، فإذا سمعوا دعاء الوسطة قابلوه بالقبول لما سبق لهم من استماع الحق. ومن عدم استماع الحق إياه من حيث التفهيم لم يزد سماع الخلق إلا جحداً على جحد، ولم يحظ به إلا بعداً على بعد.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ولكن لا يفهمون؛ إما لعدم الاستعداد في الأصل، وإما لرسوخ الهيئات المظلمة الحاجة لنور الاستعداد فيهم، وإما لاجتماع الأمرين كالأصم الذي لا عقل له فلا يسمع ولا يتفطن للإشارة، فكيف يمكن إفهامه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إذا رأى أهل الوعظ والتذكير قومًا غرقوا في بحر الهوى، وأخذتهم شبكة الدنيا واستحوذت عليهم الغفلة، فذكروهم وبذلوا جهدهم في نصحتهم، فلم يقلعوا، فليتبروا منهم، وليقولوا: نحن براء مما تعملون، وأنتم بريئون مما فعل.

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ...﴾

سورة يونس/ مكة/ الآية ٨٢.

حَقَّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، بِإِظْهَارِ مَا أَوْجَدَ تَحْتَ «كُن».

يقول الإمام القشيري: من جملة ما أحقه أن السحرة كان عندهم أنهم ينصرون فرعون؛ ويجيئونه فكانوا يُقسمون بعزته حيث قالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ وقال الحق سبحانه: بعزتي إنكم مغلوبون، فكان على ما قال تعالى دون ما قالوه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ظلال الأشجار لا تعوق السفن عن التسيار، فظلال الأكوان وأجرامها لا تعوق سفن الأفكار عن التسيار في بحار معاني الأسرار، بل تغيب عن ظلال حسها إلى فضاء شهود معانيها، فالعارف لا يحجبه عن الله شيء؛ لنفوذه إلى شهود أسرار الربوبية في كل شيء.

سورة هود

مكية، وآياتها مائة وثلاث وعشرون آية.

إِلَّا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فقد نزلت بنهبان التمار بالمدينة المنورة.

﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ...﴾

سورة هود/ مكية/ الآية ١.

أَحْكَمَتْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَ﴿فُصِّلَتْ﴾ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ. ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا أُنْزِلَ،
﴿خَبِيرٌ﴾ بِمَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِ؛ أَوْ يَعْرِضُ عَنْهُ.

يقول الإمام القشيري: الألف إشارة إلى انفراده بالربوبية، واللام إشارة إلى لطفه بأهل التوحيد، والراء إشارة إلى رحمته بكافة البرية. وهى فى معنى القسم. أى: أقسم بانفرادى بالربوبية، ولطفى بمن عرفنى بالاحدية، ورحمتى على كافة البرية إنَّ هذا الكتاب أحكمت آياته، أى: حُفِظَتْ عَنْ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾ أى: أعيانه وحقائقه فى العالم الكلى بأن أثبتت دائمة على حالها لا تبدل ولا تتغير؛ ولا تفسد محفوظة عن كل نقص وآفة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿الرَّ﴾ ثلاثة أسماء من اسم الرحمن: الله، لطيف، رحيم. الألف لوحدة الجبروت، واللام لتدفق أنوار الملكوت، والراء لسريان إمداد الرحمت فى سائر الموجودات. فهذا كتاب أحكمت آياته بالتعريف بالذات، ثم فصلت ببيان الصفات.

﴿...يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا...﴾

سورة هود/ مكية/ الآية ٣.

﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾: الرضا بالميسور، والصبر على قرينة المقدور.

يقول سهل التستري: هو نزل الخلق والإقبال على الحق تعالى.
ويقول أبو الحسين الوراق: يرزقكم صحة الفقراء الصادقين.
ويقول الجنيد البغدادي: لا شيء أحسن على العبد من ملازمة الحقيقة وحفظ السر مع الله عز وجل، وهو تفسير قوله: ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾.
ويقول الإمام القشيري: يُعِيْشُكُمْ عِيْشًا طَيِّبًا مَبَارَكًا؛ هو إعطاء الكفاية مع زوال الحرص، والقناعة بالموجود، ويكون راضيًا بما يجري عليه من نوعي العسر واليسر.
ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿يُمَتِّعُكُمْ﴾ في الدنيا تمتيعاً ﴿حَسَنًا﴾ على وفق الشريعة والعدالة حالة البقاء بعد الفناء إلى وقت وفاتكم.
ويقول الإمام ابن عجيبة: يحييكم حياة طيبة بالأرزاق والنعم والخيرات، فتعيشوا في أمن ودعة.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ...﴾

سورة هود/ مكية/ الآية ٤٥.

لم يؤذن لأحد في الانبساط على بساط الحق بحال؛ لأن بساط الحق عزيز، بين حواشيه قهر وجبروت، فمن انبسط عليه رُد عليه، كما رُد على نوح عليه السلام لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾. قيل له: إن ابنك ليس هو من أهلك.

يقول الإمام القشيري: خاطب نوح الحق سبحانه في باب ابنه، واستعطف في السؤال. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، حمله شفقة الأبوة وتعطف الرحم والقربة على طلب نجاته لشدة تعلقه به واهتمامه بأمره، وراعى مع ذلك أدب الحضرة وحسن السؤال.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أراد النداء بدليل عطف بعد تعميم الغرق. وكل داء لم يوافق مراده تعالى في سابق علمه لم يؤثر في مراد الداعي.

﴿... لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ...﴾

سورة هود/ مكية/ الآية ١١٩.

لولا أن الله تعالى قال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لكنت أبصق في النار حتى تصير ريحانا على أهلها.

يقول الإمام القشيري: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وهي العليا ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أى: لا تبديل لقوله تعالى، ولا تحويل لحكمه سبحانه. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ من أهل العصيان منهما، لا من جميعهما. وفي ذلك رحمة القلوب باليقين والطمأنينة.

سورة يوسف

مكية، وآياتها مائة وإحدى عشرة آية.

﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾

سورة يوسف / مكية / الآية ١٨ .

الصبر الجميل: أى السكون مع موارد القضاء سرّاً وعلناً. والصبر الجميل أن يلقى العبد عيانه إلى مولاه، ويسلم إليه نفسه مع حقيقة المعرفة، فإذا جاء حكم من أحكامه من له مسلماً لوارد الحكم [كذا]، ولا يظهر حكمه جزعاً بحاله.

يقول الإمام القشيري: علم على الجملة وإن لم يعد على التفصيل.. وهكذا تفرع قلوب الصديقين عواقب الأمور على وجه الإجمال، إلى أن تتضح لهم تفاصيلها فى المستأنف، وقيل: عوقبوا على ما فعلوه بأن أغفلوا عن تمزيق قميصه حتى علم يعقوب عليه السلام تقولهم فيما وصفوا.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أى: فأمرى صبر جميل. وفى الحديث الشريف: «الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه إلى الخلق».

﴿... وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ...﴾

سورة يوسف/ مكية/ الآية ٦٧.

صِدْقُ التَّوَكُّلِ استعمال السبب مع ترك الاختبار، قال الله تعالى ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ

بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ سورة يوسف/ مكية/ الآية ٦٧.

يقول ابن عطاء: كيف يرد عن غيره من لا يرد عن نفسه، وكيف يقوم بكفاية الغير من هو عاجز عن سياسة نفسه؟ بلى!.. ربما يبدى الحق تعالى الأسباب، وليس الأخذ بالأسباب كالأخذ من المسبب.

ويقول محيى الدين بن عربي: لا أدفع عنكم شيئاً إن منعكم توفيقه وحجبكم ببعض الحجب عن كمالاتكم؛ فإن العقل ليس له إلا إفاضة العلم لا إجادة الاستعداد ورفع الحجاب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: هو قول يعقوب عليه السلام ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ مما قُضِيَ عليكم بما أشرت به عليكم، فإن ذلك لا يدفع من قدر الله شيئاً، والحذر لا يمنع القدر.

﴿... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ...﴾

سورة يوسف/ مكية/ الآية ٧٦.

فضيلة أرباب الحقائق إسقاط العظمتين، ومحو المكتوب في الحالين، وإبطال الخيرين، ونفى الشركة في الوقتين: الأزل والأبد، والمتفرد بالحق ينفي ما سواه، ورؤية الحق والسماع منه، وذلك قوله تعالى ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ بالعلم والعمل، والمراد كل ذى علم من الخلق؛ لأن الكلام فيهم، ولأن العليم هو الله تعالى. ومعناه: الذى له العلم البالغ، ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا: فوق كل العلماء عليم، وهو مخصوص. أى: بالعلم بالله، كالكشف عن أسرار ذاته وأنوار صفاته، والتخلق بمعانى أسمائه، والتحقق بمقامات اليقين ومنازل السائرين. وهذه درجات المقربين، وليس فوقها إلا درجة الأنبياء والمرسلين. ونرفعها بالعلم بأحكام الله وشرائعه، كالعلم بأحكام العبادات والعادات وسائر المعاملات. وهذه درجات عامة أهل اليمين من العلماء الأتقياء والصالحين، ومنتهى درجاتهم هى ابتداء درجات العارفين المقربين، ثم الأنبياء والمرسلين.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

سورة يوسف/ مكة/ الآية ١٠٦.

المقال منوط بالعلل، والأفعال مقرونة بالشرك، والحق مبين لجميع ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ﴾.

يقول ابن عطاء: الشرك هو ملاحظة الخطرات والحركات. به سموتم إلى مجده، وبه لحظتم ما منه إليكم، وبه فنيتم عن الكون ورجعتم إلى لطفه وعزته تعالى. ويقول الإمام القشيري: الشرك الجلى أن يتخذ من دونه سبحانه معبوداً، والشرك الخفى أن يتخذ بقلبه عند حوائجه من دونه سبحانه مقصوداً. وشرك العارفين أن يتخذوا من دونه مشهوداً؛ أو يطالعوا سواء موجوداً. ومن الشرك الخفى الإحالة على الأشكال فى تجنيس الأحوال، والإخلاد إلى الاختيار، والاحتيال عند تراحم الأشغال. ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ الإيمان العلمى، ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ بإثبات موجود غيره، أو الإيمان العينى، إلّا وهم مشركون باحتجابهم بأنانيتهم. ويقول الإمام ابن عجيبة: لا ينجو من الشرك الخفى إلّا أهل التوحيد الخاص، وهم الذين غابوا عن الأكوان جملة بشهود المكون، قد سقط من نظرهم وجود الأغيار، وتطهرت سرائرهم من لوث الأكدار، ولم يبق فى مشهدهم إلّا الواحد القهار، فلم يعتمدوا على الوسائط والأسباب برؤية مسبب الأسباب، ولم يركنوا إلى العشائر والأصحاب، فإن التفتوا إلى غيره غفلة، أدبهم وردهم إلى حضرته. هذا شأنهم معه أبداً.

سورة الرعد

مدنية، وآياتها ثلاث وأربعون آية.

مكية إلى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، والباقي مدني. وقيل: مدنية كلها، وهو الأمر الغالب.

﴿... وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

سورة الرعد/ مدنية/ الآية ٨.

كل ربط بحده، أو وقت مع وقته، فلا يجاوز قدره، ولا يعدو طوره.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ من الكمالات ﴿عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ معين على حسب القابلية، أو كل شيء من قوة قبول في استعداد مقدّر عنده بمقدار في الأزل من فيضه الأقدس لا يزيد ولا ينقص، أو لكل قوم هاد هو الله تعالى كما قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة القصص/ مكية/ الآية ٥٦، لعلمه بما في الاستعدادات من قوة القبول وزيادتها ونقصانها، فيقدر بحسبها كمالاتهم. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر محدود، ووقت مخصوص، لا يجاوزه، ولا ينقص عنه، فالحق تعالى قد خص كل حادث بوقت مخصوص معين، وهياً له أسباباً تسوقه إليه على ما تقتضيه حكمته.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ...﴾

سورة الرعد/ مدنية/ الآية ٢٨.

قال الحسين بن منصور رحمه الله: من ذكره الحق تعالى بخير في أزلّه، اطمئن إليه في أبده.

يقول إبراهيم الخواص: تفرق الناس، فمن دامت حركته وسعيه، كان موصوفاً بنفسه لغلبات شواهد نفسه عليه.

ويقول النهرجوري: قلوب الأولياء مواضع المطامع فهي لا تتحرك، ولا تنزعج بل تطمئن خوفاً من أن يرد عليه مفاجأة مطالعه، فيجده مترسماً بسوء الأدب.

ويقول الإمام القشيري: قوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله تعالى، وفي الذكر وجدوا سلوتهم، وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم المنيئون الذين آمنوا بالإيمان العلمي بالغيب ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ذكر النفس باللسان والتفكير في النعم، أو ذكر القلب بالتفكير في الملكوت ومطالعة صفات الجمال والجلال، فإن للذكر مراتب: ذكر النفس باللسان والتفكير في النعم، وذكر القلب بمطالعة الصفات، وذكر السر بالمفاجأة، وذكر الروح بالمشاهدة، وذكر الخفاء بالمناغة في المعاشقة، وذكر الله بالفناء فيه. والنفس تضطرب بظهور صفاتها وأحاديثها، تطيش فيتلون القلب بسببها ويتغير بأحاديثها، فإذا ذكر الله استقرت النفس وانتفت الوسواس. وكذا ذكر القلب بالتفكير في الملكوت ومطالعة أنوار الجبروت، وأما سائر الأذكار فلا تكون إلا بعد الاطمئنان. والعمل الصالح ههنا: التزكية والتحلية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الطمأنينة على قسمين، طمأنينة إيمان وطمأنينة شهود وعيان. قوم اطمأنوا إلى غائب موجود، وقوم إلى آخر مشهود، قوم اطمأنوا بوجود الله تعالى من طريق الإيمان على نعت الدليل والبرهان، وقوم اطمأنوا بشهود الله من طريق العيان على نعت الذوق والوجدان. وهذه ثمرة الإكثار من ذكر الله.

﴿... فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا...﴾

سورة الرعد/ مدنية/ الآية ٤٢.

لا مكر أبين من مكر الحق بعباده، حيث أوهمهم أن لهم سبيلاً إليه بحال؛ أو للحدث اقتران مع القدم في وقت، فالحق بائن؛ وصفاته بائنة، إن ذكروا فبأنفسهم، وإن شكروا فلاأنفسهم، وإن أطاعوه فلنجاة أنفسهم، ليس للحق منهم شيء بحال؛ لأنه الغنى القهار.

يقول ابن عطاء: المكر حقيقة، ما مكر الحق تعالى بهم حتى توهموا أنهم يمكرون، ولم يعلموا أنه مكر بهم حيث سهل عليهم سبيل المكر. ويقول الإمام القشيري: مكر الله بهم توهمهم أنهم محسنون في أعمالهم، وحسانهم أنهم ستامن أحوالهم، وظنهم أنه لا يحيق بهم مكرهم، وتخيل إياهم مع مكرهم من أعظم مكره بهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ لا يؤبه بمكر دون مكره، فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره. وقد مكر الذين من قبل بأولياء زمانهم، فلم يغتوا شيئاً، فمكر الله بهم، وخذلهم عن طاعته، وسيعلم أهل الإنكار لمن تكون عاقبة الدار.

سورة إبراهيم

مكية، وآياتها إثنتان وخمسون آية.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ...﴾

سورة إبراهيم/ مكية/ الآية ١٢.

قيل للحسين بن منصور الحلاج: ما التوكل عندك؟ قال: الجمود تحت موارد القضا.

يقول سهل التستري: التوكل رد العيش إلى يوم واحد، وإسقاط هم غد.

ويقول أبو محمد رويم: التوكل الثقة بالوعد.

ويقول أبو بكر الشبلي: التوكل هو أن يكون مع الله تعالى كما لم يكن ويكون الحق تعالى كما لم يزل.

ويقول الإمام القشيري: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ وقد رقنا من حد التكليف بالبرهان إلى وجود روح البيان بكثرة ما أفاض علينا من جميل الإحسان، فكفانا من مهان الشان. وقد حقق لنا ما سبق به الضمان من وجود الإحسان، وكفاية ما أظلنا من الامتنان. ولم نخرج إلى التقاضى على الله فيما وعدنا سبحانه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ﴾ أى: أى عذر لنا فى ترك التوكل على الله تعالى؟

﴿... وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا...﴾

سورة إبراهيم/ مكية/ الآية ٣٤.

ما لا يحصى ولا يتناهى، ولا يصح له شكر مثناه، وإنما طالبهم بالشكر ليقطعهم عن الشكر.

يقول سهل التستري: إن تعدوا نعمة الله عليكم بمحمد ﷺ لن تحصوها، بل جعل السفير فيما بينكم وبين السفير الأعلى والواسطة الأدنى.

ويقول ابن عطاء: أجل النعم رؤية معرفة النعم، ورؤية التقصير في القيام بشكر النعم. والنعمة أزلية؛ فيجب أن يكون شكرها أزلي، وأعلم أن لك نفساً وروحاً وقلباً، فنعمة النفس الطاعات، ونعمة الروح الخوف، ونعمة القلب اليقين والحكمة، ونعمة الروح المحبة والذكر، ونعمة المعرفة الالفة بالنفس في أبحر الطاعات تتنعم، والقلب في أبحر اليقين يتقلب، والروح في أبحر القرية وانتظار العيان تتنعم.

ويقول الإمام القشيري: كيف يكون شكركم كفاء نعمه...؟ وشكركم نزر يسير، وإنعامه وافر غزير. وكيف تكون قطرة الشكر بجوار بحار الإنعام؟ إن نعمة علومكم عن تفصيلها متقاصرة، وفهومكم عن تحصيلها متاخرة.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ من الأمور السابقة على وجودكم الفائضة من الحضرة الإلهية، ومن اللاحقة بكم من أمداد التريية الواصلة عن الحضرة الربوبية ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لعدم تناهيها كما تقرر في الحكمة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾؛ إذ نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد لا حد لهما في هذه الدار وفي تلك الدار، ففى كل نفس يمدهم بمدد جديد، ومع هذا كله يغفل العبد عن هذه النعم!! إن الإنسان لظلم كَفَّار، وشكرها نسبتهامعطيها، وحمد الله عليها.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلِنُ...﴾

سورة إبراهيم/ مكة/ الآية ٣٨.

قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله: ربنا إنك تعلم ما تخفى من الصلوة، وما نعلن من الوجد.

يقول أبو سعيد الخواص: ما تخفى من حبك، وما نعلن من ذكرك.
ويقول ابن عطاء: ما نخفى من الأحوال، وما نعلن من الآداب.
ويقول الإمام القشيري: استأثرت سبحانك بعلم الغيب فلا يغرب عن علمك معلوم، وحالي لا تخفى عليك فهي كما عرفت، فأنت تعلم سرى وعلنى. ومن عرف هذه الجملة استراح من طوارق الأغيار، واستروح قلبه عن تراجم الأفكار، والتقسم فى كون الحوادث من الأغيار.
ويقول محمى الدين بن عربى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ مما فينا بالقوة، ﴿وَمَا نَعْلِنُ﴾ مما أخرجناه إلى الفعل من الكمالات.
ويقول الإمام ابن عجيبة: إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا، وأرحم منا بأنفسنا، فلا حاجة لنا إلى الطلب، لكننا ندعوك إظهاراً لعبوديتك، وافتقاراً إلى رحمتك، واستجلاباً لنيل ما عندك.

سورة الحجر

مكية، وآياتها تسع وتسعون آية.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

سورة الحجر/ مكة/ الآية ٧٥.

سئل الحسين بن منصور الحلاج عن الفراسة، فقال: حقُّ نظرٍ برؤياه عن أحدٍ نظر، فخبِر عن حقيقة ما هو إياه بإياه.

يقول الإمام القشيري: من باتوا في حبور وسرور، وأصبحوا في محنة وثبور، وخرت عليهم سقوفهم، وجعلنا مدنهم ومنازلهم عاليها سافلها، وأمطرنا عليهم من العقوبة ما لم يُبقَ عينًا ولا أثرًا، إن في ذلك لعبرة لمن اعتبر، ودلالة ظاهرة لمن استبصر، ﴿وإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ لمن شاء أن يعتبر.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ المتفكرين المعتبرين المتفرسين في الأمور، الذين يثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته.

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

سورة الحجر/ مكة/ الآية ٩٩.

أعبد ربك حتى يأتيك اليقين، وتتيقن أنك ليس تعبد حق عبادته. فمن نظر إلى معبوده سقط عن عبادته، ومن نظر إلى عبادته سقط من معبوده. أى: حتى تستيقن أنك لا تعبد ولا يعبد أحد حق العبودية. ابتداء وانتهاء، فاستوجب ما لا بد من مكافأته. فمن عبد الله تعالى بصدق التوحيد خرج عن رسوم التقليد، وأبان عن شرف التفريد، فصار علمه جهلا، وعرفانه نكرة، فالعبودية كلها شريعة، والربوبية كلها حقيقة.

يقول يحيى بن معاذ: للعابدين أردية من النور بكونها شذاها الصلاة ولحمتها الصوم. ويقول ابن عطاء: لم يرض المولى عز وجل من نبيه ﷺ لمحة عين إلا فى عبادته. ويقول الإمام القشيري: قف على بساط العبودية معتنقا للخدمة إلى أن تجلس على بساط القرية؛ وتطالب بآداب الوصلة. فإن أشرف خصالك قيامك بحق العبودية. ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾ بالتسبيح والتحميد والسجود المذكورة ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ﴾ حق ﴿الْيَقِينُ﴾ فتنتهى عبادتك بانقضاء وجودك، فيكون هو العابد والمعبود جميعا لا غيره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الموت، فإنه متيقن لحاقه، وليس اليقين من أسماء الموت، وإنما العلم به يقين. فكن من الساجدين بقلبك فى حضرة القدس، حتى يأتيك اليقين.

سورة النحل

مكية، وآياتها مائة وثمان وعشرون آية.

إِلَّا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، فهي مدنية ونزلت في غزوة أحد، يوم قتل حمزة رضوان الله عليه والتمثيل به. عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم» فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ...﴾

سورة النحل / مكية / الآية ٢١.

الحياة على أقسام، فحياة بكلماته، وحياة بأمره، وحياة بقربه، وحياة بنظره، وحياة بقدرته، وحياة هي الموت؛ وهى الحركات المذمومة، وهو قوله عز وجل: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾.

يقول سهل التستري: خلق الله تعالى الخلق ثم أحياهم باسم الحياة، ثم أماتهم بجهلهم بأنفسهم، فمن حى بالعلم فهو الحى، وإلا فهم موتى بجهلهم. ويقول النصر آبادى: أهل الجنة أموات، ولا يشعرون لاشتغالهم بغير الحق، وأهل الحضرة أحياء لأنهم فى مشاهدة الحى.

ويقول الإمام القشيري: لأن من لحقه وصف التكوين لا يصح منه الإيجاد. وفى التحقيق كل من علق قلبه بشيء؛ وتوهم منه خيراً أو شراً فقد أشرك بالله تعالى بظنه، وإنما التوحيد تجريد القلب عن حسابان شظية من النفى والإثبات من جميع المخلوقين والمخلوقات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لم تكن لهم حياة قط، وذلك أغرق فى موتها عن تقدمت له حياة ثم مات. والإله ينبغى أن يكون حياً لا يعتره المات. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يعلمون وقت بعثهم، فكيف يكون لهم وقت يجازون فيه من عبدهم، والإله ينبغى أن يكون عالماً بالغيوب، قادراً على الجزاء لمن عبده.

سورة الإسراء (بنى إسرائيل)

مكية، وآياتها مائة وإحدى عشر آية.

وهى مكية، إلا: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ والآيات الثمان التالية فهى مدنية، ونزلت فى وفد ثقيف حين أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: متعنا باللات سنة وحرّم وادينّا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك الرسول صلوات الله عليه، ولم يجبههم، فأقبلوا يكثرون مسألتهم وقالوا: إنّنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أما ترون رسول الله أمسك عن جوابكم كراهية. فأنزل الله هذه الآية.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾

سورة الإسراء/ مكية/ الآية ٧٠.

قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله: كرّمنا بنى آدم بالكون فى القبضة، ومكافحة الخطاب.

يقول الإمام جعفر الصادق: كرّمنا بنى آدم بالمعرفة.

ويقول الجنيد البغدادي: كرّمنا بنى آدم بالفهم عن الله تعالى.

ويقول ابن عطاء: ابتداهم بالبر قبل الطاعات، وبالإجابة قبل الدعاء، وبالعطاء قبل السؤال، كفاهم الكل من حوائجهم ليكونوا لمن له الكل ويده كفاية الكل.

ويقول الإمام القشيري: المراد من قوله تعالى: ﴿بَنِي آدَمَ﴾ هنا المؤمنون؛ لأنه قال فى صفة الكفار: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾. والتكريم: التكثير من الإكرام، فإذا حُرِمَ الكافر الإكرام، فمتى يكون له التكريم؟ ويقال: محمول الكرام لا يقع، فإن وقع وجد من يأخذ بيده.

ويقول محبى الدين بن عربي: كرّمناهم بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة، وبالتقريب ومعرفة التوحيد، وحملناهم فى بر عالم الأجساد، وبحر عالم الأرواح بتسييره فيهما لتركيه منهما وإرقائه عنهما فى طلب الكمال ورزقناهم من طيبات العلوم والمعارف.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كرم الله آدم عليه السلام وشرفه على خلقه، بخصائص جعلها فيه، منها أنه جعله نسخة من الوجود، فيه ما فى الوجود وزيادة وانطوت فيه العوالم بأسرها من عرشها إلى فرشها. وجعله خليفة فى ملكه، وجعل الوجود بأسره خادماً له، ومتفعلاً به، الأرض نقله، والسماء تظله، والجهاات تكتنفه، والحيوانات تخدمه، والملائكة تستغفر له، إلى غير ذلك مما لا يعلمه الخلق.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ لَقَدْ كَدْتُ...﴾

سورة الإسراء / مكية / الآية ٧٤.

خلق الله الخلق على علم منه بهم. وهو علم العلم، وجعل النبي ﷺ أعظم الخلق خلقاً، وأقربهم زلفى فجعله الداعى إليه، والمبين عنه، به يصلون إلى الله ظاهراً وباطناً، عاجلاً وآجلاً، فثبت الملك بالعلم؛ وثبت العلم بالنبي ﷺ. وحسنا النبي به، فقال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ﴾.

يقول ابن عطاء: إن الله عز وجل عاتب الأنبياء بعد مباشرة الزلات وعاتب نبينا قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتباهاً وتحفظاً لشرائط المحبة، فقال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ كَدْتُ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ﴾.

ويقول الإمام القشيري: لو وكلناك ونفسك، ورفعنا عنك ظل العصمة لالمت بشيء مما لا يجوز من مخالفة أمرنا، ولكننا أفردناك بالحفظ، فلا تتقاصر عنك آثاره، ولا تغرب عن ساحتك أنواره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ﴾ بالحفظ والرعاية، لقد كدت تركز إليهم شيئاً قليلاً، وهى خواطر تخطر ولا تثبت. إذا لأذقناك ضعف الحياة، وهو الذل والحرص والطمع وضعف الممات، والسقوط عن مقام المقربين؛ أهل الروح والريحان. وإن كادوا ليستفزونك من أرض العبودية، ليخرجوك منها إلى إظهار الحرية؛ من العز والجاه.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾

سورة الإسراء/ مكية/ الآية ١١٠.

ما دعا الله تعالى أحد قط إلا إيماناً، فأما دعوة حقيقة فلا.

يقول الإمام القشيري: من عظيم نعمته سبحانه على أوليائه تنزههم بأسرارهم في رياض ذكره بتعداد أسمائه الحسنی من روضة إلى روضة، ومن مأنس إلى مأنس.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ﴾ بالفناء في الذات الجامعة لجميع الصفات ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ بالفناء في الصفة التي هي أم الصفات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن الله سبحانه دعا عباده إلى معرفة الاسمين الخاصين، اللذين فيهما أسرار جميع الأسماء والصفات والذات والنعوت والأفعال، فالله اسمه، وهو اسم عين جمع الجمع، والرحمن اسم عين الجمع؛ فالرحمن مندرج تحت اسمه «الله» لأنه عين الكل، وإذا قلت: الله؛ ذكرت عين الكل.

سورة الكهف (أهل الكهف)

مكية، وآياتها مائة عشرة آية.

وتسمى أيضاً سورة أهل الكهف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٧.

هم الرجال العباد العمال لله بالطاعة ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أى: أيهم أشد لها تركًا.

يقول ابن عطاء: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أى: أحسن إعراضًا عنها، وتركًا لها. ويقول الإمام القشيري: ﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةٌ لَّهَا﴾ تدركه بالابصار، ومن على الأرض من هو زينة لها يُعرف بالأسرار. وإن قيمة الأوطان لقطانها، وزينة المساكن فى سُكَّانها. والعباد بهم زينة الدنيا، وأهل المعرفة بهم زينة الجنة، والأولياء زينة الأرض، وهم أمان من فى الأرض، فإذا تَلَّأَتْ أنوار التوحيد فى أسرار الموحدين أشرقت جميع الآفاق بضيائهم. ويقول محسى الدين بن عربى: إنا جعلنا ما على أرض البدن من النفس ولذاتها وشهواتها وقوى صفاتها وإدراكاتها ودواعيها ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ ليظهر أيهم أقهر وأعصى لهواها فى رضى، وأقدر على مخالفتها لموافقتى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: هو حكمة تخلف الناس عن الخصوصية، حتى يتميز الطالب لها من المعرض عنها، فمن أقبل على زينة الدنيا وزهرتها، فاتته الخصوصية، وبقي من عوام الناس، ومن أعرض عنها وعن بهجتها وتوجه بقلبه إلى الله تعالى؛ كان من المخصوصين بها، المقربين عند الله عز وجل.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٩.

أصحاب الكهف والرقيم فى ظل المعرفة الأصلية لا يزالهم بحال، لذلك خفى على الخلق آثارهم.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى: إذا شاهدت هذا الإنشاء والإفناء فليس حال أصحاب الكهف آية عجيبة من آياتنا، بل هذه أعجب. واعلم أن أصحاب الكهف هم السبعة الكملّ القائمون بأمر الحق دائما الذين يقوم بهم العالم؛ ولا يخلو عنهم الزمان، وهم على عدد الكواكب السبعة السيارة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أى، ظننت يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ كانوا عجباً دون باقى آياتنا، ليس الأمر كذلك. فعادته سبحانه فيمن انقطع إليه بكلية، وآوى إلى كهف رعايته، وأيس من رفق مخلوقاته، أن يكلأه بعين عنايته، ويرعاه بحفظ رعايته.

﴿...لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ١٨.

فى قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَكَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾. قال: أنفة بما هم فيه من إظهار الأحوال عليهم، وقهر الأحوال لهم، مع مشاهدته من عظيم المحل فى القرب والمشاهدة فلم يؤثر عليك لجلالة محللك.

بقول الإمام جعفر الصادق: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من حيث أنت ﴿لَوَكَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، ولو اطلعت عليهم من حيث الحق لشاهدت فيهم معانى الوجدانية والربانية، ولو اطلعت على ما بهم من آثار قدرتنا ورعايتنا لهم وتولية حياتهم لوليت منهم فراراً. أى: ما قدرت على الثبات لمشاهدة ما بهم من هيبتنا فيكون حقيقة الفرار منا لا منهم لأن ما يرى عليهم منا.

ويقول ابن عطاء: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أتى على الاكوان بما فيها ﴿لَوَكَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ لصرف البصر عنهم تبرماً بهم، فإنك مطالع لنا؛ ومطالع منا.

ويقول الإمام القشيري: الخطاب للرسول ﷺ. والمراد منه غيره. ويقال: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وشاهدتهم ﴿لَوَكَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ من أن ترد عن على منزلتك إلى منزلتهم.

ويقول محسى الدين بن عريى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أى: على حقائقهم المجردة وأحوالهم السيئة؛ وما أودع الله فيهم من النورية والسنا، وما البسهم من العز والبهاء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أى: لو عاينتهم وشاهدتهم. والاطلاع هو الإشراف على الشئ بالمعاينة والمشاهدة.

﴿...وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٥٠.

خاطبك الحق تعالى أحسن خطاب، ودعاك إلى نفسه بالطف دعاء بقوله:
﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾.

يقول الإمام القشيري: في الآية الكريمة إشارة إلى أن من يفرد بالولاية فلا يقتفى غيره؛ ولا يخاف غيره.

ويقول الإمام بن عجيبة: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ في هذه الآية الكريمة حس على النهي عن الاستعانة بأعداء الله تعالى في أى شأن كان.

﴿... مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٦٥.

العلم اللدنى إلهاماً، أخلد الحق الأسرار، فلم يملكها الانصراف.

يقول ذو النون المصرى: العلم اللدنى هو الذى يحكم على الخلق بمواقع التوفيق والخذلان. إن الله بسط العلم ولم يقبضه ودعا الخلق إليه من طرق كثيرة، ولكل طريق منها علم مفرد، ودليل واضح، فتلك الأدلة يدلون على المناهل، وينور ذلك العلم وتلك الاعلام يهتدون، ولكل أهل طريق منهم علم فهم بعلمهم مستعملون، ومتى ضلوا فى طرق هذه العلوم أو أخطؤوا فإن صاحب العلم اللدنى يردهم إلى المحبة.

ويقول الجنيد البغدادي: العلم اللدنى ما كان محكماً على رسوله من غير ظن فيه؛ ولا خلاف واقع، لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنون المغيبات، وذلك يقع للعبد إذا لزم جوارحه عن جميع المخالفات، وأفى حركاته كل الإيرادات، وكان شيخاً بين يدي الحق تعالى بلا تمن ولا مراد.

ويقول ابن عطاء: هو علم بلا واسطة الكشف، ولا بتلقين الحروف، ولكنه الملقى إليه بمشاهدة الأرواح.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أى: كمالاً معنوياً بالتجرد عن المؤاد، والتقدس عن الجهات. والنورية المحضة التى هى آثار القرب والعندية ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ من المعارف القدسية والحقائق الكلية اللدنية بلا واسطة تعليم بشرى.

ويقول الإيمان ابن عجيبة: العلم اللدنى هو الذى يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم. وذلك بعد تطهير القلب من النقائص والردائل، وتفرغه من العلائق والشواغل، فإذا كمل تطهير القلب، وانجذب إلى حضرة الرب تعالى؛ فاضت عليه العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، منها ما تفهمها العقول وتدخل تحت دائرة النقل، ومنها ما لا تفهمها العقول ولا تحيط بها النقل، ومنها ما تفيض عليهم فى جانب علم الغيوب، ومنها فى أسرار الحروف وخواص الأشياء.

﴿... فَأَرَدْتُ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٧٩.

﴿فَأَرَدْنَا...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٨١.

﴿... فَأَرَادَ رَبُّكَ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٨٢.

فى قوله عز وجل: ﴿أَرَدْتُ.أَرَدْنَا.أَرَادَ رَبُّكَ﴾ عديد من المقامات: المقام الأول استيلاء الحق وإلهامه، والمقام الثانى مكالمته مع العبد، والمقام الثالث رجوع إلى باطن الغلبة فى الظاهر، فصار به باطن الباطن ظاهر الظاهر، وغيب الغيب عيان العيان، وعيان العيان غيب الغيب، كما أن القرب من الشىء بالنفوس هو البعد. والقرب منها بها هو القرب.

يقول ابن عطاء: لما قال الخضر: ﴿فَأَرَدْتُ﴾ أوحى إليه فى السر: من أنت حتى يكون لك إرادة؟ فقال فى الثانية: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ فأوحى إليه فى السر: من أنت وموسى حتى يكون لكما إرادة؟ فرجع وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أما قوله ﴿فَأَرَدْتُ﴾ فكان شفقة على الخلق، وقوله ﴿فَأَرَدْنَا﴾ رحمة، وقوله ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ رجوعاً إلى الحقيقة. ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿فَأَرَدْتُ﴾ بالرياضة لئلا يأخذها ملك النفس الأمانة غصباً؛ وهو الملك الذى كان وراءهم، ﴿فَأَرَدْنَا﴾ كما بدلها بالنفس المطمئنة التى هى خير منه زكاة، أى: طهارة ونقاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٨٢.

من نظر إلى العمل حجب عن عمل له. ومن نظر إلى من عمل له حجب
عن رؤية العمل.

يقول أبو بكر الوراق: من أنزل نفسه في الدنيا منزل الصادقين؛ أنزله الله تعالى في الآخرة منزلة المقربين.

ويقول الإمام القشيري: أهل الجنة طابت لهم حدائقها، وأهل النار أحاط بهم سرادقها. والحق سبحانه منزّه عن أن يعود إليه من تعذيب هؤلاء عائدة؛ ولا من تنعيم هؤلاء فائدة. جلّت الأحديّة، وتقدست الصمدية!

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن الذين آمنوا بإيمان الخصوص، وعملوا عمل الخصوص، وهو العمل الذي يقرب إلى الحضرة، وهو كل ما يثقل على النفس؛ كانت لهم جنة المعارف نزلاً، خالدين فيها لا ييغون عنها حولاً، لأن من تمكن من المعرفة لا يعزل عنها بفضل الله وكرمه.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ١٠٩.

مقياس العدم في الوجود؛ في معنى وجوده. فأما خاص الخاص من كلامه، فلو كان أبد الأبد أقلاماً ومداداً وبياضاً ما يقال معاً في كلمة من كلامه، وما لا يوصف أكثر مما قد أشير إليه، وإنما يذكر للناس ما يفيدهم من معاني العبودية من عمل وثواب وعقاب ووعد ووعيد، على حسب ما تحتمله عقولهم. فأما الكمال من فائدة الكلام؛ فالأنبياء والأولياء والأصفياء.

يقول الإمام القشيري: لا تُعد معاني كلمات الله تعالى لأنه لا نهاية لها؛ فإن متعلقات الصفة القديمة لا نهاية لها، كمعلومات الحق سبحانه ومقدوراته وسائر متعلقات صفاته. والذي هو مخلوق «كالبحر» لا يستوفي ما هو غير متناه، وإن كثر ذلك. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أى: بحر الهيولى القابلة للصور المدة لها في الظهور «مداداً» من المعاني والحقائق والأعيان والأرواح. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ هذا مع كون وصف البشرية لا يزول عنهم، فلا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية.

يقول الإمام جعفر الصادق: الحكم هو المعرفة والتوفيق لاستعمال آداب الخدمة.

سورة مريم

مكية، وآياتها ثمان وتسعون آية.

وقصد من السورة الرد على النصارى فى إشراكهم عيسى عليه السلام فى ألوهيته تعالى.

﴿... وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

سورة مريم / مكية / الآية ١٢.

كان روح يحيى عليه السلام معجوناً بأنوار المشاهدة، ونفسه معجونة بآداب العبودية والمجاهدة؛ لذلك قال له ربه عز وجل ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾.

ويقول ابن عطاء: الحكم هو المعرفة.

ويقول محيى الدين بن عربي: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ أى الحكمة، ﴿صَبِيًّا﴾ قريب العهد بالولادة المعنوية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ وتحننا عظيماً واقعاً من جنانبا، أو شفقة فى قلبه ورحمة على أبويه وغيرهما، والحكم هنا النبوة، استنبأه وهو ابن ثلاث سنوات. وكون الصبى نبياً جازئ عقلاً، واقع عند الجمهور، وأما بعثه رسولاً فجازئ عقلاً، وظاهر كلام الفخر هنا أنه واقع، وأن يحيى وعيسى بُعثا صغيرين. وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ إخبار عما وجب فى المستقبل، لا عما حصل، واستشكل جواز بعث الصبى بأنه تكليف، وشرطه البلوغ.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ...﴾

سورة مريم / مكية / الآية ٥٤ .

الصادق هو المتكلف في حاله، يجرى بين استقامة وذلة، والصادق هو المستقيم في جميع أحواله.

يقول الجنيد البغدادي: لم يعد إسماعيل لله تعالى من نفسه شيئاً إلا صدقه، ووفى به، وقام عند مراد الله فيه فسماه الصادق الوعد.

ويقول ابن عطاء: وعد لأبيه من نفسه الصبر فوفى به.

ويقول الإمام القشيري: كان صادق الوعد إذ وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه، وصبر على ذلك إلى أن ظهر الفداء. وصدق الوعد لأنه حفظ العهد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ فصل ذكره عن أبيه وأخيه، لإبراز كمال الاعتناء بأمره، لإيراده مستقلاً بترجمته، ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، هذا تعليل لموجب الأمر بذكره. وإيراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به. وقد وصف الحق تعالى نبيه إسماعيل بثلاث خصال، بها كان عند ربه مرضياً، فمن اتصف بها كان مرضياً مقرباً: الوفاء بالوعد، والصدق في الحديث؛ لأنه مستلزم له، وأمر الناس بالخير.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا...﴾

سورة مريم/ مكية/ الآية ٥٦.

الصديق هو الذى لا يجرى عليه كلفة فى شواهدة بمشاهدة الحق، فتولاه الحق؛ فلا يرى شيئاً إلا من الحق تعالى. والصديق أيضاً الذى يكون مع الله فى حكم ما أوجب، ولا يكون على سره أثر من الأكوان، ويكون وجدانى الذات لم يشهده الحق غيره، فهو أعمى عن الكون، ويكون له مع الحق ما يحمل به الواردات، ولا يذكر برؤية الكون غير الحق، ولا يبدله الحق بالنظر إليه غيرة عليه.

يقول الإمام القشيري: الصديق كثير الصدق، لا يشوب صدقه مدق، ويكون قائماً بالحق للحق، ولا يكون فيه نفس لغير الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ وهو سبط شيث، وجد أبى نوح، فإنه نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام، واشتقاقه من الدرس؛ لكثرة دراسته لما أوحى إليه، وكثرة ذلك لله عز وجل. ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ إذ ليس كل صديق نبى.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا...﴾

سورة مريم/ مكية/ الآية ٧٢.

ما نجا من نجا إلا بالاصطفاية الأزلية، والعناية الأبديّة، والرسم والوسم
والاسم عوارضات زائلة؛ وامتحانات عاطلة.

يقول الإمام جعفر الصادق: لولا مقارنة النفوس ما دخل أحد النار، فلما قاربتهم نفوسهم
أوردهم النار بأجمعهم، فمن كان أشد إعراضاً عن خبث النفس كان أسرع نجاة من النار.
ويقول الجنيد البغدادي: ما نجا من نجا إلا بصدق اللجا.
ويقول ابن عطاء: ما نجا من نجا إلا بتصحيح الوفاء.
ويقول أبو محمد الجريري: ما نجا من نجا إلا بصدق الوفاء.
ويقول الإمام القشيري: ينجي من كان مؤمناً؛ بعضهم قبل بعض، وبعضهم بعد بعض،
ولكن لا يبقى من المؤمنين من لا ينجيهم. وإنما ينجو القوم بحسب تقواهم؛ فزيادة التقوى
توجب لهم التعجيل في النجاة؛ فمن سابق ومن لاحق ومن منقطع ومن محترق... إلى
كثير من الأصناف والألوان.
ويقول محيي الدين بن عربي: لتجردهم بالجواز على الصراط الذي هو سلوك طريق
العدالة إلى التوحيد كالبرق.
ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي، بأن تكون النار عليهم برداً
وسلاماً، على تفسير الورود بالدخول، وأن من لا حساب عليهم - وهم المقربون - يملأون
على الصراط ولا يحسون به، وهم الذين يملأون عليه كالطير أو كالبرق، جعلنا الله تعالى
منهم بمنه وكرمه، وبجاه خير الخلق مولانا محمد نبيه وحببيه.

﴿... آتِي الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾

سورة مريم/ مكية/ الآية ٩٣.

كيف يجوز أن يحل فيما ألزمه وصف النقص؛ وهو العبودية، فيكون مستعبداً معبوداً.

يقول الإمام جعفر الصادق: فقيراً ذليلاً بأوصافه، أو عزيزاً دالاً بأوصاف الحق. ويقول أبو بكر الوراق: ما تقرب أحد إلى ربه بشيء أزين عليه من ملازمة العبودية وإظهار الافتقار؛ لأن ملازمة العبودية تورث دوام الخدمة، وإظهار الافتقار إليه يورث دوام الالتجاء والتضرع.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ما من أحد من الملائكة أو الثقلين ﴿إِلَّا آتِي الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾ مملوكاً لله تعالى في الحال بالانقياد وقهرية العبودية. فحينئذ تكون حراً مما سواه، ويملكك الوجود بأسره، ويكون عند أمرك ونهيك.

سورة طه

مكية، وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية.

﴿... لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا...﴾

سورة طه/ مكية/ الآية ١٤.

تنظيف البشر عن الآلهة. وإذا خلا السر من تعظيم غيره فلا وجه لهذا القول.

يقول ابن عطاء: إشارة إلى حقيقة الحق تعالى، إذ الأزل والأبد علة، وذكر الأوقات (الدهور) علة.

ويقول الإمام القشيري: الأغيار في وجودي فقد، والرسوم والأطلال عند ثبوت حقي محو، فتذلل لحكمي، وأنفذ أمري، واخضع لجبروت سلطاني.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ لم أنكثر ولم يتعدد أنائيتي وأحديتي بكثرة المظاهر وتعدد الصفات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تقرير أمر التوحيد، وبيان أنه مستمر فيما بين الأنبياء كابرًا عن كابر، وقد خطوب به موسى عليه السلام، حيث قيل له: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾

سورة طه / مكية / الآية ١٧ .

فى قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾، قال: أثبتته بالصفة، فقال له: أعد إليه النظر، فأعاد النظر حتى تيقن أنه عصا، فقال: ﴿عَصَايَ﴾. فلما أجاب بالحقيقة أنه عصا قلب عينها فأحالتها عن حالها؛ فأعجزه ذلك. فقلل إعجازها للأمة.

يقول ابن عطاء: انفرد الله تعالى بعلم الغيب، فللخلق من الأشياء ظواهرها؛ وحقيقتها عند الله تعالى. فكان عند موسى أنها عصا، وعند الحق عز وجل أنها حية. فقال له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ ليعرفه بذلك مقدار علمه، وأن حقائق العلوم لا يعلمها إلا الله تعالى. ويقول الإمام القشيري: كرّر عليه السؤال فى غير آية عن عصاه لما كان المعلوم له سبحانه فيها من إظهاره فيها عظيم المعجزة. ويقال: لو تركه على ما كان عليه من غلبات الهيبة لعله كان لا يعى ولا يطيق ذلك.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ إشارة إلى نفسه، أى: التى هى فى يد عقله، إذ العقل يمين يأخذ به الإنسان العطاء من الله تعالى ويضبط به نفسه. ويقول الإمام ابن عجيبة: يقال للفقير: وما تلك بيمينك أيها الفقير؟ فيقول: هى دنياى أعتد عليها فى معاشى وقيام أمورى، وأنفق منها على عيالى، ولى فيها حوائج أخرى من الزينة والتصدق وفعل الخير.

﴿... عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا...﴾

سورة طه/ مكية/ الآية ١٨.

عدد موسى منافع العصا على ربه تعالى؛ وسكونه إليها وانتفاعه بها، فقال له عز وعلا: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ أى ألق من نفسك السكون إلى منافعها، وقلبها حية ليزول الأنس بها، فأوجس منها خيفة، فقال حين قطعه عنها بالفرار منها: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ وارجع إلينا. وقيل: إن الحكمة فى انقلاب العصا حية فى وقت الكلام أنه جعلها آية ومعجزته، ولو ألقاها بين يدي فرعون ولم يشاهد منه قبل ذلك ما شهد لهرب منه كما هرب فرعون حين بدته رؤيته.

يقول الإمام جعفر الصادق: منافع شتى وأكبر منفعة لى فيها خطابك إياى بقولك: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ﴾.

ويقول سهل التستري: ذكر موسى عليه السلام من العصا مآرب ومنافع فأراه الله عز وجل فى عصاه منافع ومآرب كانت خافية مع موسى من انقلابه العصا ثعبان، وضربه الحجر فى انحباس الماء، وضربه البحر لينفلق وغير ذلك أراه بذلك أن علم الخلق وإن كانوا مؤيدين بالنبوة قاصر على علم الحق تعالى فى الاكوان.

ويقول الجنيد البغدادي: ألق كل ما يعتمد عليه قلبك، أو تسكن إليه نفسك، وإن الكل مجال العلل، فإن كل ما تسكن إليه ستهرب منه عن قلبك ألا تراه. فأوجس فى نفسه خيفة.

ويقول ابن عطاء: فى قوله ﴿عَصَايَ﴾ إضافة بالملك إلى نفسه ولم يكن له بواجب فى الحقيقة أن يرى لنفسه ملكا وهو بين يدي الحق تعالى، فلما أضافها إلى نفسه قال: ألقها، فألقاها فإذا هى حية تسعى. قال: خذها، أى خذ عصاك ولا تهرب مما ادعيت الملك فيه لنفسك فخاف، وتبرا من إضافتها ملكا إلى نفسه فتعطف الحق تعالى عليه فقال: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ فإنها لن تضرك.

ويقول أبو بكر الوراق: قوله: ﴿عَصَايَ﴾ جواب، والذى بعده ذكر ما أنعم الله تعالى عليه بالعصا من المنافع، فكان بعد قوله: ﴿عَصَايَ﴾ لسان الشكر.

ويقول محسى الدين بن عربى: ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أى: اعتمد فى عالم الشهادة وكسب الكمال، والسير إلى الله تعالى، والتخلق بأخلاقه عليها، أى: لا يمكن هذه الامور إلا بها.

﴿... رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾

سورة طه / مكية / الآية ٢٥.

لما أتى إليه الحق تعالى أزال عنه التوقف، وجاء إلى الله بالله، ولم يبق عليه باقية بها يمتنع؛ أقيم مقام المواجهة والمخاطبة، وأطلق مصطنعة لسانه ونظر إلى أليق الأحوال به، فسأل مليكه شرح صدره ليتسع لمقام المواجهة والمخاطبة، ثم نظر إلى أليق الأحوال به، فإذا هو تيسير أمره. فسأل ذلك على التمام، لتترقى به حاله إلى أرفع مقام؛ وهى المجئ إلى الله تعالى بالله، لعلمه بأن من وصل إليه لا يعترض عليه عارضة بحال، ثم نظر إلى أليق الأحوال به، فسأل حل العقدة من لسانه ليكون إذ ذاك مالكا لنطقه وبيانه، فلما تمت له هذه الأحوال صلح للمجئ إلى الله تعالى وكان ممن وفى المواقيت حقها، غابت عنه الأحوال فلم يرها، وذهبت عن عينه وظهوره، وما عداها إلا ما كان للحق منه ومعه، حتى تحقق بقوله عز وجل: ﴿قَدْ أُوتِيَ سُؤْلُكَ يَا مُوسَى﴾.

يقول الإمام جعفر الصادق: لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام عقد لسان موسى عن مكالمة غيره، فلما أمره بالذهاب إلى فرعون؛ فأجاب بصره فقال: واحلل عقدة من لساني لأكون قائما بالأمر على أتم مقام.

ويقول الجنيد البغدادي: ما سأل الله تعالى موسى إلا الأخلاق.

ويقول ابن عطاء: لما كلم الله جل وعلا موسى عليه السلام؛ لم يكن بعد ذلك فيه من الفضل أن يتكلم مع غيره. وقال: فى قوله ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ لاستماع كلامك، ويسر لى أمرى بالوقوف معك واحلل عقدة لساني النفسانية.

ويقول محيى الدين بن عربى: بنور اليقين والتمكن فى مقام تجلّى الصفات لثلا يضيق بإيذائهم، ولا تتأذى وتتألم نفسى بطعنهم وسفاهتهم، فكما أنكلم بكلامك معهم أسمع بسمعك كلامهم وأجده كلامك، وأرى ببصرك إيذاءهم وأجده فعلك، فلا أرى ولا أسمع ما يقابلوننى به إلا منك، فأصبر على بلائك بك، ولا تظهر نفسى برويتها منهم، فتحجب بصفاتها وصفاتهم عن صفاتك.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾

سورة طه/ مكية/ الآية ١٠٦.

هو تعالى الذى يطمس الرسوم، ويعمى الفهوم، ويميت الذهن، ويترك الجسم ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ حتى يعجز الكل عن معرفته وبلوغ نفاذ قدرته، ثم يظهر من الطوالع ربوبيته على أسرار أهل معرفته فيعرفونه به.

يقول الإمام القشيري: كما أن فى القيامة الموعودة تُغيّر الجبال عن أحوالها فهى كالعهن المنقوش؛ فكذلك فى القيامة الموجودة. فلا يخبرك عنها إلا الأكابر الذين هم كالرواسى ثباتاً؛ فإنه يدخل عليهم من الأحوال ما يحققهم عن شواهدهم، ويأخذهم عن أقرانهم. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿فَيَذَرُهَا﴾ فى القيامة الكبرى ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ وجوداً أحدياً صرفاً.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يسألونك أيها العارف عن جبال العقل؛ حين تطلع على نور قمره شمس العرفان، فقل ينسفها ربي نسفاً، فيذر أرض النفس، حين استولت عليها أسرار المعانى، ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾، لا تصالحها بفضاء المعانى، حين ذهبت أغيار الألوانى، لا ترى فيها انخفاصاً ولا ارتفاعاً، وإنما ترى وجوداً متصلاً، وبحراً طامساً، ليس فيه بُعد ولا قُرب، ولا علو ولا سفلى.

سورة الأنبياء

مكية، وآياتها مائة واثننا عشرة آية.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ...﴾

سورة الأنبياء/ مكية/ الآية ٣٧.

قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله: زجرهم عما جبلهم عليه.

يقول الإمام القشيري: العجلة مذمومة، والمسارعة محمودة؛ فالمسارعة البدار إلى الشيء في أول وقته، والعجلة استقباله قبل وقته؛ والعجلة نتيجة وسوسة الشيطان، والمسارعة قضية التوفيق.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: إذ النفس التي هي أصل الخلقة دائمة الطيش والاضطراب لا تثبت على حال، فهو مجبول على العجل ولو لم يكن كذلك لم يكن له السير والترقى من حال إلى حال؛ إذ الروح دائم الثبات ويتعلقه بالنفس يحصل وجود القلب ويعتدل بهما في السير، فما دام الإنسان في مقام النفس ولم يغلب عليه نور الروح والقلب المفيد للسكينة والطمأنينة؛ يلزم العجلة بمقتضى الجبلة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: العجل والعجلة مصدران، وهو تقديم الشيء على وقته، والمراد بالإنسان الجنس، جعل لفرط استعجاله وقلة صبره؛ كأنه خُلِقَ من العجلة. ومن عجلته: مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد.

﴿... مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾

سورة الانبياء/ مكية/ الآية ٤٢.

أى: من يأخذكم عن تصارييف القدرة، ومن يحجبكم عن سوابق القضاء.

يقول ابن عطاء: من يكلؤكم من أمر الرحمن جل وعلا سوى الرحمن، وهل يقدر أحد على الكلاءة سواه؟

ويقول الإمام القشيري: تقرير عليهم بأن ليس بتداخل المخلوقين نجاتهم، وقد جربوا ذلك فى أحوال محتتهم، فكيف لا يتبرءون ممن ليس لهم شىء، ومما ليس منه نفع ولا ضرر؟. وفى ذلك تنبيه للمؤمنين بأن مآربهم إلى الخيرات من نوعى النفع والدفع من الله عز وجل، فالواجب دوام اعتكافهم بقلوبهم بقوة كرمه وجوده.

ويقول الإمام ابن عجيبة: قل من يكلؤ قلوبكم وأسراركم من الرحمن، أن يذهب بما أودع فيها من المعارف وأنوار الإحسان؟ فلا أحد يحفظها إلا من رحمها بما أودع فيها، ولهذا كان العارفون لا يزول اضطرارهم، ولا يكون مع غير الله قرارهم، لا يعتمدون على عمل ولا حال، ولا على علم ولا مقال.

﴿... أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ...﴾

سورة الانبياء/ مكية/ الآية ٨٣.

تجلى الحق تعالى لسره عليه السلام؛ فأنكشف عنه لأنوار كرامته، فلم يجد للبلاء ألماً. فقال: ﴿مَسْنِيَ الضُّرِّ﴾ لفقدان ثواب البلاء والضر؛ إذ صار البلاء لى وطناً وعلى نعمة.

يقول الإمام جعفر الصادق: هو قول على المناجاة مستديماً للجواب من الحق تعالى ليسكن إليه حين حبس الوحى عنه أربعون يوماً؛ فخشى الهجران من ربه عز وجل والقطيعة. فلما سلب الله تعالى البلاء على أيوب عليه السلام، وطال به الأمر أتاه الشيطان فقال: إن أردت أن تتخلص من هذا البلاء فاسجد لى سجدة، فلما سمع ذلك قال: «مسنى الشيطان بنصب وعذاب» ﴿مَسْنِيَ الضُّرِّ﴾ حين طمع الشيطان فى أن أسجد له.

ويقول سهل التستري: أظهر الله تعالى فى أيوب عليه السلام البلاء، وأعطاه الصبر فلما أن قام بأحكام الصبر ورثه الرضا بالبلاء فصار شكواه إليه مناجاة له فى مس البلاء. والضر على وجهين: ضر ظاهر، وضر باطن. فالباطن حركة النفس عند الوارد واضطرابها، والظاهر الآلام. وإذا تحرك الباطن تحت الوارد انزعج الظاهر بالصياح والدعاء.

ويقول ابن عطاء: استعذب الأولياء البلاء للمناجاة مع المولى عز وجل. لذلك قال الحسين بن على رضوان الله عليهما: «ذكر الله على الصفا ينسى العبد مرارة البلاء». وليس فى العقوبات شئ أشد من تبدد الهم.

ويقول الإمام القشيري: لم يسلبه اسم الصبر؛ لأن الغالب كان من أحواله الصبر، ولولا أنك أرحم الراحمين لما خصصتني بهذا، ولكن برحمتك أهلتني لهذا. فلم يبق لى إلا لسان به أذكرك، أو قلب به أعرفك، وإذا لم يبق لى ذلك فلا يمكننى أن أعيش وأصبراً. ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ﴾ من الضعف والانكسار والعجز.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾

سورة الأنبياء/ مكية/ الآية ١١٠.

كيف يخفى على الحق من الخلق خافية، وهو الذى أودع الهياكل أوصافاً من الخير والشر؛ والنفع والضرر، فما يكتُمونه أظهر عنده مما يبدونه، وما يبدونه قبل ما يكتُمونه. جل الحق تعالى أن تخفى عليه خافية من عبادته بحال. والله أعلم.

يقول الإمام القشيري: لا يخفى عليه سركم ونجواكم، وحالكم ومآلكم، وظاهركم وباطنكم. . فعلى قدر استحقاقكم يجازيكم، وبموجب أفعالكم يحاسبكم. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أى إنه عالم بكل شيء، يعلم ما تجهرون به من الطعن فى الإسلام وتكذيب الآيات، وما تكتُمونه فى صدوركم من الأحقاد للمسلمين، فيجازيكم عليه نقيراً وقطميراً.

سورة الحج

مدنية، وآياتها ثمان وسبعون آية.

وقيل: مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة، وهي: ﴿هَذَا خِصْمَانِ﴾ إلى ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾. وقد نزلت في يوم بدر.

﴿... سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى...﴾

سورة الحج / مدنية / الآية ٢.

﴿سَكَارَى﴾: أسكرهم رؤية الجلال، ومشاهدة الجمال.

يقول الإمام جعفر الصادق: أسكرهم ما شاهدوا من بساط العزم وسلطان الجبروت، وسرادق الكبرياء حتى ألجأ النبيين إلى أن قالوا: نفسى. نفسى.

ويقول الإمام القشيري: كأنهم سكارى وما هم فى الحقيقة بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، لشدة يحيرهم ولا يقيهم على أحوالهم. وهم يتفقون فى تشابههم بأنهم سكارى، ولكن موجب ذلك يختلف؛ فمنهم من سكره لما يصيبه من الأهوال، ومنهم من سكره لاستهلاكه فى عين الوصال.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ من سكرات الموت، ذاهلين، مغشياً عليهم ﴿وَمَا هُمْ بِسَكَارَى﴾ فى الحقيقة من الشراب، ولكن من شدة العذاب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ترى أيها الناظر الناس سكارى من شدة الهول، كأنهم سكارى لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة القهرية، وترى الناس سكارى من خمر المحبة؛ وما هم بسكارى من شراب الدوالى، لكن من خمر الكبير المتعالى.

سورة المؤمنون (قد أفلح)

مكية، وآياتها مائة وثمانى عشرة آية.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾

سورة المؤمنون/ مكية/ الآية ١٢.

الخلق متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم ومقامات خلقهم وصفاتهم، وقد كرم الله بنى آدم بصورة الملك والملوك وروح النور، ونور المعرفة والعلم، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً.

يقول الإمام القشيري: عرفهم أصلهم لثلاث عجبوا بفعلهم، أو يخرجوا عن حدهم، ولا يغفلوا في نفوسهم، خلقهم من سلالة من طين، ولكن معدن المعرفة ومرتع المحبة ومتعلق العناية منه لهم، خلقهم، ثم من حال إلى حال نقلهم. يُغير بهم ما شاء تغييره. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أو آدم عليه السلام؛ من سلالة كائنة من طين، لأنها تسل من الكدر؛ وإنما سمي التراب الذي خلق منه آدم سلالة؛ لأنه سل من كل تربة.

وقال أيضاً: خلق بنى آدم من الماء والتراب بين الأمر والشواب، وبين الظلمة والنور، فعدل خلقهم، وزاد المؤمنين بإيمانهم نوراً مبنياً، وهدى وعلماً، وفضلهم على سائر العالمين، كما نقلهم فى بدء خلقهم من حال إلى حال، وأظهر فيهم الفطرة والآيات، وتكامل فيهم الصنع والحكمة والبيئات والتفاوت، وتظاهر عليهم الروح والنور والسبحات منذ كانوا تراباً ونطفة وعلقة ومضغة، ثم جعلهم خلقاً سوياً إلى أن كملت فيهم المعرفة الأصلية فى قوله عز وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ سورة المؤمنون/ مكية/ الآية ١٤ .

خلق الله تعالى الخلق فاعتدلهم على أربعة أصول: الربع الأعلى هو الإلهية، والربع الثانى: آثار الربوبية، والربع الثالث: النورية؛ بين فيها التدبير والمشية والعلم والمعرفة، والفهم والعظمة والفطنة والفراسة والإدراك، والتميز ولغات الكلام، والربع الرابع: الحركة والسكون، كذلك خلقه فسواه.

يقول الإمام القشيري: خلق سبحانه السموات والأرضين بجملتها، والعرش والكرسى، . مع المخلوقات من الجنة والنار بكليتها، ثم لما أخبر بذلك لم يعقبه بهذا التمدح الذى ذكره بعد نعت خلقه بنى آدم تخصيصاً لهم وتمييزاً، وإفراداً لهم من بين المخلوقات .

﴿... ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ...﴾

سورة المؤمنون/ مكية/ الآية ١٤.

فطر الله تعالى الأشياء بقدرته، ودبرها بلطيف صنعه، فأبدأ آدم عليه السلام كما شاء لما شاء، وأخرج منه ذرية على النعت الذى وصف من مضغة وعلقه، وبدائع خلقه، وأوجب لنفسه عند خلقته اسمه الخالق، وعند صنعه الصانع، ولم يحدثوا له إسمًا؛ بل كان موصوفًا بالقدرة على إبداء وإبداع الخلق، فلما أبدأهم أظهر اسمه الخالق للخلق؛ وأبرزه لهم، وكان هذا الاسم مكتوباً ومكتوناً لديه، مدعواً به فى أزله، سُمى بذلك نفسه، ودعا نفسه به. فالخلق جميعاً عن إدراك وصف قدرته عاجزون، وكل ما وصف الله تعالى به نفسه فهو له، وهو أعز وأجل وأعلا، وأظهر للمخلق من نعوته ما يطيقونه، ويليق بهم. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

يقول الإمام القشيري: وهو أنه هياهم لأحوال عزيزة يُظهرها عليهم بعد بلوغهم، إذا حصل لهم كمال التمييز من فنون الأحوال؛ فلقوم تخصيص بزينة العبودية، ولقوم تحرر من رق البشرية، ولآخرين تحقق بالصفات الصمدية بامتحائهم عن الإحساس بما هم عليه وبه من الأحوال التى هى أوصاف البشرية.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ غير هذا المتقلب فى أطوار الخلقة بنفخ روحنا فيه وتصويره بصورتنا، فهو فى الحقيقة خلق؛ وليس بخلق.

ويقول الإمام ابن عجيبة: خلقاً مبايناً للخلق الأول، حيث جعله حيواناً، وكان جماداً، وناطقاً وسميعاً وبصيراً، وكان بضد هذه الصفات.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

سورة المؤمنون / مكية / الآية ١٥ .

مَلِكُ الْمَوْتِ مُوَكَّلٌ بِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ، وَمَلِكُ الْفَنَاءِ مُوَكَّلٌ بِأَرْوَاحِ الْبَهَائِمِ، وَمَوْتَ الْعُلَمَاءِ هُوَ بِقَاوِمِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَتَارَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَمَوْتَ الْمَطِيعِينَ الْمَعْصِيَةِ إِذَا عُرِفَ مِنْ عَصِيٍّ.

يقول الإمام القشيري: نعاك إلى نفسك، وكل ما هو آت فقريب. ويقال: كسر على أهل الغفلة سطوة غفلتهم، وفل دونهم سيف صولتهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ وللجماد مضاهون، وعن المكنة والمقدرة والاستطاعة والقوة لمبعدون، وفي عداد ما لا خطر له من الأموات معدودون.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ بالطبيعة. ويقول الإمام ابن عجيبة: بعد ما ذكر من الأمور العجيبة، وبعد منزلته في الفضل ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ أي صائرون إلى الموت لا محالة.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ...﴾

سورة المؤمنون/ مكية/ الآية ٩١.

الصمدية ممتنعة من قبول ما لا يليق بها، لأن الصمدية تنافي أضدادها على الأبد، وهى ممتنعة عن درك معانيها، فكيف تبقى مع أضدادها وما لا يليق بها؟

يقول الإمام القشيري: اتخاذ الأولاد لا يصح كاتخاذ الشريك، والأمران جميعاً داخلان فى حد الاستحالة، لأن الولد أو الشريك يوجب المساواة فى القدر، والصمدية تتقدس عن جواز أن يكون له مثل أو جنس.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ خلاف ما يقوله النصارى، والعرب التى قالت للملائكة بنات الله تعالى، عن قولهم علواً كبيراً. فهناك ثلاثة إذا تعددت فسد النظام: الإله والسلطان والطبيب، فلو تعدد الإله لفسد نظام العالم، ولو تعدد الملك لفسدت الرعية، ولو تعدد الطبيب لفسد العلاج.

سورة النور

مدنية، وآياتها أربع وستون آية.

﴿... مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ١.

إلهى أنزهك عما يقول فيك أولياؤك وأعداؤك جميعاً.

يقول أبو عبد الله الترمذى: من أخبر عن الله بما لا يليق به فقد أخرج نفسه عن حدود الأمانة، ودخل فى ميادين الخيانة، والله لا يحب الخائنين.

ويقول الإمام القشيري: مبالغة فى الشكاية منهم لما أقدموا عليه بما تأذى به قلب الرسول ﷺ وقلوب جميع المخلصين من المسلمين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: قولاً لا حقيقة له، وقيد بالافواه، مع أن الكلام لا يكون إلا بالغم، لأن الشيء المعلوم يكون فى القلب، ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يدور فى الأفواه، من غير ترجمة عن علم به فى القلب.

﴿الْخَبِيثَاتُ...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٢٦.

الخبيث: الناظر إلى الخبائث بعين الطهارة.

يقول سهل التستري: أى خبيثات القلوب للخبيثين من الرجال وخبيثو القلوب للخبيثات من النساء.

ويقول الإمام القشيري: ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من الأعمال هى المحظورات، ومن الأحوال هى الحظوظ والمنى والشهوات لأصحابها والساعين لها. والساعون لمثلها لها؛ غير ممنوع أحدهما من صاحبه، فالصفة للموصوف ملازمة، والموصوف لصفته ملازم. ومن الأشياء هم الراضون بالمنازل السحيقة. ومن الأموال هى التى ليست بحلال لمن بها رتبته، وعليها تعتكف همته.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ وأما الطيبون المتزهون عن الرذائل، فإنما تصدر عنهم الطيبات والفضائل.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الاخلاق الخبيثة، مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال للخبيثين، والخبيثون للخبيثات فهم متصفون بها، وهى لازمة لهم.

﴿... وَلَا يُدِينُ زِينَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٣١.

زينة الدنيا وما فيها بالنسيان والغفلة والتأويل والشهوة والنفس والعدو،
وأشباه ذلك؛ فهذه زينة الدنيا، ﴿لَا يُدِينُ﴾ ولا يخفين شيئا من هذه الأحوال إلا
ما ظهر منها على حد الغفلة.

يقول الإمام القشيري: ما أباح الله سبحانه على بيان مسائل الفقه فمستثنى من الخطر، وما
وراء ذلك فالواجب عليهن حفظ أنفسهن عن العقوبات في الآجل، والتصاوم عن أن يكنّ
سبباً لفتنة قلوب عباده. والله سبحانه كما يحفظ أوليائه عما يضرهم في الدين يصونهم
عما يكون سبباً لفتنة غيرهم، فإن لم يتصل منهم نفع بالخلق فلا تصيب أحداً بهم فتنة.
ويقول الإمام ابن عجيبة: لا يجوز كل ما يستدعى فتنة للغير، من إظهار حال مع الله، مما
هو زينة السريرة، فلا يظهر شيئاً من ذلك إلا لأهله، إلا إذا ظهر عليه شيء من غير إظهار
منه، ولا قصد غير صالح. فلا يجوز إظهار العلوم التي يفتتن بها الناس؛ من حقائق
أسرار التوحيد، ولا من الأحوال التي تنكرها الشريعة، فيوقع الناس في غيبتها.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٣٥.

قال الحسين بن منصور الحلاج فى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
منور قلوبكم حتى عرفتم ووجدتم، وختم تعالى بقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ
يَشَاءُ﴾ فكان أول ابتدائه ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ س إنى أنا مبتدئ النعم
ومتممها، والآخر خاتمه، فالأول فضل، والآخر مشيئة، فهو المجتبى لأوليائه،
والهادى لأصفيائه.

يقول الحسن البصرى: عنى بذلك قلب المؤمن وضياء التوحيد، لأن قلوب الأنبياء عليهم
السلام أنور من أن توصف بمثل هذه الأنوار.

ويقول أبو سعيد الخراز: المشكاة هو جوف محمد ﷺ، والزجاجة قلبه، والمصباح النور
الذى قد جعل الله فيه كأنها كوكب درى توقد من شجرة مباركة، والشجرة إبراهيم ﷺ
جعل الله فى قلبه من النور ما جعل فى قلب محمد ﷺ.

ويقول سهل التستري: مثل نور محمد ﷺ.

ويقول ابن عطاء: زين الله تعالى السموات باثنى عشر برجاً، وزين قلوب العارفين باثنى
عشرة خصلة: الذهن، والانتباه، والشرح، والعقل، والمعرفة، واليقين، والفهم،
والبصيرة، وحباء القلب، والرجاء، والحياء، والمحبة. فما دام هذه الروح قائمة يكون
العالم على النظام والسعة. وكذلك ما دامت هذه الخصال فى قلب العارفين يكون فيها نور
العافية وحلاوة العبادة.

ويقول محسى الدين بن عربى: النور هو الذى يظهر بذاته وتظهر الأشياء به، وهو مطلقاً
اسم من أسماء الله تعالى باعتبار شدة ظهوره وظهور الأشياء به، كما قيل:

خفى لإفراط الظهور تعرضت لإدراكه أبصار قوم أخافش

وحظ العيون الزرق من نور وجهه كشدة حظ للعيون العوامش

ولما وجد بوجوده، وظهر بظهوره، كان نور السموات والأرض، أى: مظهر سموات
الأرواح وأرض الأجساد، وهو الوجود المطلق الذى وجد به ما وجد من الموجودات
والإضاءة.

﴿... كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٣٥.

إن الله نور السموات والأرض، وهو نور النور، يهدي من يشاء بنوره إلى قدرته، وبقدرته إلى غيبه، وبغيبه إلى قدمه، وبقدمه إلى أزله وأبده، وبأزله وأبده إلى وحدانيته، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ المشهود شأنه وقدرته تعالى وتقدس، يزيد من يشاء علماً بتوحيده ووحدانيته وتنزيهه وإجلال مقامه وتعظيم ربوبيته.

يقول الإمام القشيري: شبه القنديل؛ الذي هو قلبه بالكوكب الدرّي، وشبه إمداده بالمعرفة بالزيت الصافي الذي يمد السراج في الاشتعال.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الكون كله من عرشه إلى فرشته قطعة من نور الحق، وسر من أسرار ذاته، مُلك وباطنه ملكوت فائض من بحر الجبروت، فالكائنات كلها: الله نورها وسرها، وهو القائم بها، ولا يفهم هذا إلا أهل الفناء من العارفين بالله، وحسب من لم يبلغ مقامهم التسليم لها رمزوا إليه، وتحققوه ذوقاً وكشفاً.

﴿... نُورٌ عَلَى نُورٍ...﴾

سورة النور / مدنية / الآية ٣٥.

فى الرأس نور الوحى، وبين العينين نور المناجاة، وفى السمع نور اليقين، وفى اللسان نور البيان، وفى الصدر نور الإيمان، وفى الطبائع نور التسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير، فإذا التهب شئ من هذه الأنوار غلب عليه النور الآخر؛ فأدخله فى سلطانه، فإذا سكن عاد سلطان ذلك النور أوفر وأتم مما كان، فإذا التهب جميعاً صار نوراً على نور ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾.

يقول الإمام القشيري: نور اكتسبوه بجهودهم؛ بنظرهم واستدلّالهم، ونور وجدوه بفضل الله فهو بيان أضافه إلى برهانهم، أو عيان أضافه إلى بيانهم، فهو نور على نور. وأراد به قلب محمد ﷺ، ونور معرفته موقد من شجرة مباركة هى إبراهيم عليه السلام. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: هذا المشرق بالإضاءة من الكمال الحاصل نور زائد على نور الاستعداد الثابت المشرق فى الأصل كأنه نور متضاعف. ويقول الإمام ابن عجيبة: أى، نور ملكوته على نور جبروته.

﴿... يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

سورة النور / مدنية / الآية ٣٧.

خلق الله تعالى القلوب والأبصار على التقلب، وجعل عليها أغطية وستوراً وأكنة وأقفالاً، ليهتك الستور بالأنوار، ويرفع الحجب بالأذكار، ويفتح الأقفال بالقرب. فإذا علمت أنه مقلَّب القلوب والأبصار؛ فليكن شغلك فى النظر إلى أفعاله فيك، وتوق الخلاف والغفلة.

يقول النصر آبادى: النفوس فى التثقل، والقلوب فى التقلب. ويقول الإمام القشيرى: أقوام ذلك اليوم مؤجل لهم، وآخرون لهم مُعجل، وهو بحسب ما هم فيه من الوقت؛ فإن حقيقة الخوف ترقب العقوبات مع مجارى الأنفاس. ويقول محبى الدين بن عربى: «يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ» إلى الأسرار «وَالْأَبْصَارُ» إلى البصائر، بل تتقلب حقائقها بأن تفتى وتوجد بالحق، كما قال: «كنت سمعه وبصره» من ظهور البقية بقاء الأنية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تضطرب وتتغير من الهول والفرع وتبلغ إلى الحناجر، وتتقلب الأبصار بالشخص أو الزرقعة. أو تتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران، والأبصار إلى العيان بعد النكران. فيخافون يوماً تتقلب فيه القلوب عن حضرة الله تعالى، والأبصار عن شهود الله، وذلك بشؤم الغفلة فى الدنيا عن الله، والقيام بحقوق الله، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا؛ فى جنة الزخارف، ويزيدهم من فضله التنزه فى جنة المعارف. والله يرزق من المعلوم والمعارف من يشاء بغير حساب.

﴿... وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٥٤.

طاعة الرسول ﷺ فيها صلاح الكل، وهو المواظبة على الأوامر والفرائض، فإن الأنبياء عليهم السلام يعملون في الفرائض، والمؤمنون يعملون في الفضائل، والصدّيقون يعملون في ترك النهي، والعارفون يعملون في نسيان كل شيء غير الله تعالى.

يقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ﴾ فيما أمركم به من الهدى ﴿تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق؛ الذي هو المقصد الأصلي الموصل إلى كل خير، والمنجى من كل شر. وترى بعض الناس يُقسمون بالله جهد أيمانهم: لئن ظهر شيخ التربية وأمرهم بالخروج عن أموالهم وأنفسهم ليخرجن، فلما ظهر تولوا وأعرضوا، فيقال لهم: فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل من الدلالة على الله، والتعريف به، وعليكم ما حُمِّلتم من الدخول تحت تربيته، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى معرفة الله بالعيان، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

سورة الفرقان

مكية، وآياتها سبع وسبعون آية.

﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٢.

أول ما خلق الله تعالى ذكره ستة أشياء فى ستة وجوه، قدّر بذلك تقديرًا، الوجه الأول: المشيئة، خلقها على النور، ثم خلق النفس، ثم الروح، ثم الصورة، ثم الأحرف، ثم الأسماء، ثم اللون، ثم الطعم، ثم الرائحة، ثم خلق الدهر، ثم خلق المقادير، ثم خلق العماء، ثم خلق النور، ثم الحركة، ثم السكون، ثم الوجود، ثم العدم، ثم على هذا خلقاً بعد خلق المقدار على الوجوه الآخر، أول ما خلق الله تعالى الدهر، ثم القوة، ثم الجوهر، ثم الصورة، ثم الروح، هكذا خلقاً بعد خلق فى كل وجه من الستة خلقهم فى غامض علمه، لا يعلمه إلا هو، قدرهم تقديرًا؛ وأحصى كل شىء علماً.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ على قدر قبول بعض صفاته، ومظهرية بعض كمالاته دون بعض، أى: هيا استعداداتهم لما شاء من كمالاتهم التى هى صفاته. ويقول الإمام ابن عجيبة: أحدث وأظهر كل شىء فهمًا لما أراد من الخصائص والأفعال اللاتقة به، ﴿تَقْدِيرًا﴾ بديعًا لا يقادر قدره، ولا يُبلغ كنهه؛ كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك، والنظر والتدبير فى أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة، والدلائل على قلوبهم، ومن العروج بروحهم إلا عدم التحقق بالعبودية الكاملة لربهم حتى يكونوا مع مراده؛ لا مع مرادهم.

﴿... وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا...﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٣.

واعلم أن الأشياء ليست بأنفسها قائمة؛ بل بمقيم لها. وكيف لا تكون كذلك، وهي لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً، فإذا نظرت إلى ما يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، بغير مالك ضر ونفع؛ فقد صرفت الإلهية إلى غير مستحقها.

يقول الإمام القشيري: اتخذوا من دون الله تعالى آلهة لا يملكون قطميراً، ولا يخلقون نقيراً، ولا يدفعون عنهم كثيراً ولا يسيراً، ولا ينفعونهم ولا يسهلون عليهم عسيراً، ولا يملكون لأحد موتاً ولا نشوراً.

ويقول الإمام بن عجيبة: لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضر عنها، ولا جلب نفع لها. وهذا بيان لغاية عجزهم وضعفهم، فإن بعض المخلوقين ربما يملك دفع ضر وجلب نفع في الجملة، وهؤلاء لا يقدرّون على شيء البتة، فكيف يملكون نفع من عبدهم، أو ضرر من لم يعبدتهم. فكل من ركن إلى غير الله، أو مال بمحبته إلى شيء سواه، فقد اتخذ من دونه إلهاً يعبده من دون الله، وكل من رفع حاجته إلى غير مولاه، فقد خاب مطلبه ومسعاه؛ لأنه تعلق بعاجز ضعيف لا يقدر على نفع نفسه، فكيف ينفع غيره؟. ومن لا يستطيع أن يرفع حاجته عن نفسه، فكيف يكون لها من غيره رافعاً؟.

﴿... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً...﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٢٠.

المحنة لخواص أوليائه، والفتنة لعامة الناس. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾.

يقول أبو الحسين النورى: الفتنة هو الاشتغال بشيء سوى الحق تعالى. ويقول الإمام القشيري: فَضَّلَ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ، وأمر المفضل بالصبير والرضا، والمفضل بالشكر على العطاء. وخص قومًا بالبلاء وجعلهم فتنة لأهل البلاء، وخص قومًا بالعوافي، وآخرين بالأسقام والآلام، فلا لمن نعمة مناقب، ولا لمن امتحنه معائب. ويقول الإمام ابن عجيبة: إنما جعلت الرسل مفتقرين للمادة، وفقراء من المال، يمشون فى الأسواق لطلب المعاش ابتلاء وفتنة واختبار لمن تبعهم، فالحكمة من فقر الرسل من المال تحقيق الإخلاص لمن تبعهم، وإظهار المزية لهم، حيث تبعوهم بلا حرف. فالتريق الجادة التى درج عليها الأنبياء والأولياء هى سلوك طريق الفقر والتخفيف من الدنيا؛ إلا قدر الحاجة بعد التوقف والاضطرار، ابتداء وانتهاء حتى تحققوا بالله عز وجل، ومنهم من أتته الدنيا بعد التمكين فلم تضره.

﴿...وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٢٠.

وكسا كل شيء كسوة فاتنة لا يتفك منها إلا من عصمة الله تعالى؛ وهو اضطرار في الأحوال لا اختيار في التلذذ بالشواهد والأعراض.

يقول الإمام القشيري: بحكمه تعالى لا بجرمهم، وبفضله لا بفعلهم، وبإرادته لا بعبادتهم، وباختياره لا بأوضاعهم، وبأقداره لا بأوزارهم، وبه لا بهم. فمن ساعده التوفيق صبر وشكر، ومن قارنه الخذلان أبى وكفر.

ويقول الإمام ابن عجيبة: دبر الله تعالى خلقه وخص كلا بما شاء؛ ليظهر من يسلم له حكمه وقسمته، ومن ينازعه في ذلك، ومن يؤدي حق ما توجه عليه من ذلك، فيكون شاكراً صابراً، ومن لا، وهو أعلم بحكمته في ذلك عالماً بالحكمة فيما يتلى به، أو بمن يصبر ويجزع.

﴿... فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

سورة الفرقان/ مكة/ الآية ٥٩.

هم الذين أقامهم الله تعالى في البلاد أدلة للعباد، منهم من يدل على آداب سبل الحق، ومنهم من يدل على شرائع الإيمان، ومنهم من يدل على الحق، وهو الدليل على الحقيقة لأن الكل محتاجون إليه، وهو مستغن عنهم؛ يرجعون إليه في السؤال، ولا يسأل هو أحداً، كالخضر عليه السلام ونظرائه، لأنه أوتى العلم اللدنى.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ اسأل عارفاً به يخبرك بحاله، واسأله في حالة كونه عالماً بكل شيء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: سل عنه عارفاً خبيراً به، يُخبرك برحمانيته. وكانوا ينكرون اسم الرحمن ويقولون: لا نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأمر نبيه أن يسأل من له خبرة وعلم بالكتب المتقدمة عن اسم الرحمن. والرحمن من نفر المشركون عن الخضوع له، ما يُبين عظمته وكبريائه، ونفوذ قدرته المستوجة للخضوع والانقياد له رداً على امتناع الكفرة منه.

سورة الشعراء

مكية، وآياتها مائتان وعشرون آية.

إِلَّا: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فهي مدنية

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ...﴾

سورة الشعراء/ مكية/ الآية ٢١٦.

تبرأ كل نبي عن عصاه من ذريته إلا النبي ﷺ؛ لشرف محله. فقال: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أى: خالفوك بعد الإقرار بارتكاب محرم فقل: «إني برئ من أعمالكم لا يرى منكم؛ فإن لك محل الشفاعة، والشفاعة تزيل عنهم ظلمات المعاصي».

يقول الإمام القشيري: لا تفعل مثل فعلهم، وكل حسابهم إلينا إلا فيما أمرناك بأن تقيم فيه عليهم حداً، فعند ذلك لا تأخذك رافة تمنعك من إقامة حدنا عليهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ لاستحكام الرين وتكاثف الحجاب، فتبرأ عن حولهم وقوتهم وحولك وقوتك؛ بالتوكل والفناء في أفعاله تعالى، فإنهم وإياك لا يقتدرون على ما لم يشاء الله، ولا يكون إلا ما يريد، وشاهد في توكلك وفنائك عن أفعالك مصادر أفعاله من العزة التي يقهر بها من يشاء من العصاة، فيحجبهم ويمنعهم من الإيمان والرحمة التي يرحم بها ويفيض النور على من يشاء من أهل الهداية، فإنه يحجب المحجوبين بقهره وجلاله، ويهدي المهتدين بلطفه وجماله، وليس لك من الأمر شيء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾ أى: أنذر قومك؛ فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك، وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم؛ من الشرك وغيره. وينبغي لمن أهل للوعظ والتذكير أن يبدأ بالأقرب فالأقرب، ولو علم أنه لا يتنفع به إلا النزر القليل. فمن تبعه على مذهبه فليقل له جانبه وليتواضع له، ومن أعرض عنه واشتغل بهواه فليتبرأ من فعله، ولا ينسأه من نصحه.

﴿... سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾

سورة الشعراء/ مدنية/ الآية ٢٢٧.

سُئِلَ الحسين بن منصور الحلاج عن حاله أثناء محاكمته، فأجاب: أن محمد بن خفيف قد تعصب لله تعالى، وسيؤجر على ذلك، وأما أبو القاسم الجنيد فقد قال: إنه كذب، ولكن ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

يقول ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا؛ ما الذى فاته منا. فالظالم لنفسه الذى يشكر على نعم غير الله تعالى.

ويقول الإمام القشيري: سيعلم الذين ظلموا سوء ما عملوا، ويندمون على ما أسلفوا، ويصدقون بما كذبوا.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أى مرجع يرجعون إليه، وهو تهديد شديد، ووعيد أكيد. فكيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان، أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان؟.

سورة النمل

مكية، وآياتها ثلاث وتسعون آية.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾

سورة النمل/ مكية/ الآية ٢٩.

قول بسم الله منك بمنزلة كن منه تعالى، فإذا أحسنت أن تقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ تحققت الأشياء بقولك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كما تحقق بقوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. لما قال الحق تعالى للقلم اكتب. قال: ما أكتب. قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. أى: بك طُهِرَتْ جميع الأشياء لا بغيرك.

يقول الإمام القشيري: الكرم نفى الدناءة، لأنه كان مختومًا، ولأنه كتب فيه اسم نفسه أولاً ولم يقل: إنه من سليمان إلى فلانة. ولم يكن فى الكتاب ذكر الطمع فى الملك، بل كان دعاء إلى الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: وصفته بالكرم لكرم مضمونه، إذ هو تعالى حق، أو لأنه من ملك كريم، أو لكونه مختومًا. قال عليه الصلاة والسلام «كرم الكتاب ختمه». أو لكونه مصدرًا بالتسمية، أو لغرابة شأنه ووصوله على وجه خرق العادة. ومن لا خصوصية له صدت كلامه الأذان. قالت حين أرادت التذكير؛ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ﴾ فى قلبى ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وعلم عظيم، فلا تعل على وأتوني مسلمين، منقادين لما أمركم به.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ...﴾

سورة النمل / مكية / الآية ٥٩.

ما من نعمة إلا والحمد أفضل منها، والحمد هو النبي عليه أفضل السلام، والمحمود هو الله جل جلاله، والحمد العبد؛ والحمد حاله الذي يوصل بالمزيد.

يقول سهل التستري: هم أهل القرآن الكريم يلحقهم من الله السلام في العاجل بقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ وسلام في الآجل وهو قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ سورة يس / مكية / الآية ٥٨.

ويقول ابن عطاء: من سلم الله عليه في الأزل سلم من المكاره في الأبد. ويقول الإمام القشيري: هم الذين سلم عليهم في آزاله وهم في كتم العدم، وفي تناول علمه ومتعلق قدرته، ولم يكونوا أعياناً في العدم ولا أفادوا، فلما أظهرهم في الوجود سلم عليهم بذلك السلام، ويُسَمَّعهم في الآخرة ذلك السلام. والذين سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشكوك والشبه، وسلموا من فنون البدع، ومن وجوه الألم، ثم من ظنون الزلل وصنوف الخلل، ثم الغيبة والحجبة وما ينافي دوام القرية.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بظهور كمالاته وتجليات صفاته على مظاهر مخلوقاته ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ بصفاء استعداداتهم وبراءتهم من النقص والآفة، فالحمد مطلقاً مخصوص به لكون جميع الكمالات الظاهرة على مظاهر الأكوان صفاته الجمالية والجلالية ليس لغيره فيها نصيب، وصفاء ذوات المصطفين من عباده ونزاهة أعيانهم عن نقص الاستعداد، وآفة الحجاب سلامه عليهم وحصول الأمرين للمظهر التام النبوي بالفعل هو قوله ذلك مأموراً به من عين الجمع في مقام التفصيل، منتقلاً من مقام التفصيل لعين الجمع، مبتدئاً منه وراجعاً إليه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، الذي كشف الحجب عن قلوب أوليائه، وسلام على عباده الذين اصطفى لهم لحضرتهم.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾

سورة النمل / مكية / الآية ٦٢.

من شاهد اضطرابه فليس بمضطرب، حتى اضطرب في اضطرابه عن مشاهدة اضطرابه بمشاهدة من إليه اضطرابه.

يقول ذو النون المصري: هو الذى قطع العلائق عما دون الله.

ويقول سهل التستري: أهل الدعوة صنفين من الناس: مستجابة دعوتهم لا محالة وهم: مؤمناً وكافراً، دعاء المضطر، ودعاء المظلوم، أما دعاء المظلوم فهو يرفع فوق الحجاب. والمضطر هو المنبرى من الحول والقوة والأسباب المذمومة. والذى إذا رفع يده لا يرى لنفسه حسنة غير التوحيد، ويكون منه على خطر.

ويقول عمرو المكي: أوجب الله على نفسه أن الله أعين بصفة الخصوص للإجابة وهو المضطر، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

ويقول ابن عطاء: فى هذه الآية الكريمة أحوال المضطر أن يكون كالغريق، أو كالمعطل فى مقابره قد أشرف على الهلاك. وكمثل الطفل يلعب بين يدي أبويه ويلهو، فإذا أصابته نائبة فزع إلى الأبوين لا يرى سواهما مفزعا كذلك الموت يتقلب فى العوافى، وإذا بدا له عين من أعين البلاء فزع إلى ربه مضطراً لأنه لا يرى سواه مفزعا.

ويقول الإمام القشيري: فصل بين الإجابة وبين كشف السوء؛ فالإجابة بالقول والكشف بالطول، الإجابة بالكلام والكشف بالإنعام. ودعاء المضطر لا حجاب له، وكذلك دعاء المظلوم؛ ولكن «لكل أجل كتاب».

ويقول الإمام ابن عجيبة: الاضطراب الحقيقى الذى لا تتخلف الإجابة عنه فى الغالب: هو أن يكون العبد فى حال شدته كالغريق فى البحر وحده، لا يرى لغياثه غير سيده.

سورة القصص

مكية، وآياتها ثمان وثمانون آية.

إلا: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فهي مدنية.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ...﴾

سورة القصص / مكية / الآية ٢٤ .

إنى بما خصصتنى به ربى من علم اليقين؛ فقير إلى أن تردنى إلى عين اليقين وحقه.

يقول الإمام جعفر الصادق: فقير إليك طالب منك زيادة الفقر إليك، لأنى لم استغن عنك بشئ سواك. فقير فى جميع الأوقات غير راجع إلى الكرامات والآيات دون الفقر إليك والإقبال عليك.

ويقول ابن عطاء: نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من أنوار الربوبية، فافتقاره افتقار العبد إلى مولاه فى جميع أحواله، لا افتقار سؤال ولا طلب.

يقول محبى الدين بن عربى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من مشرب ذوقه ومنهل كشفه بالإفاضة على جميع القوى من فيضه، لأن القلب إذا ورد منهلاً ارتوى من فيضه فى تلك الحالة جميع القوى؛ وتنورت بنوره ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ من مقامه ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ أى: ظل النفس فى مقام الصدر مستحقراً لعلمه المعقول بالنسبة إلى العلوم الكشفية، مستمداً من فضل الحق ومقامه القدسى والعلم اللدنى الكشفى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: سقى غنمهما لاجلهم؛ رغبة فى المعروف وإغاثة الملهوف، روى أنه نحى القوم عن رأس البئر، وسألهم دلواً، فأعطوه دلوهم، وقالوا: استق به، فاستقى بها وصبها فى الخوض، ودعا بالبركة. ﴿ثُمَّ﴾ لما سقى لهما ﴿تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾؛ ظل الشجرة وفى الآية الكريمة دليل على جواز الاستراحة والاستظلal فى الدنيا.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ...﴾

سورة القصص / مكية / الآية ٤٦.

فى هذه الآية الكريمة تمت مخاطبة القدرة فى عين العدم.

يقول ابن عطاء: أجبنا سؤال من دعانا على الطور وجعلنا ما طلبه لأمتك إجلالاً لقدرك وعظم محلك.

ويقول النصر آبادى، عن ابن عائشة، عن أبو سعيد القرشى: يريد الله من الخلق أن لا يعلقوا سرهم بشيء من الدنيا والآخرة والكرامات والدرجات والأحوال، كأن يكونوا خيراً كونهم لم يكونوا حين كان لهم بقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ من نودى، هل نودى إلا أشباحاً مقدورة بعلمه فرضى منهم حين كونهم أن يكونوا قائمين به قد نسوا إلا فى جنب وجوده.

يقول الإمام القشيري: ما طلبه موسى عليه السلام لأتمته جعلناه لأمتك، وكما نادينا موسى - وهو فى الوجود والظهور - ناديناكم وأنتم فى كتم العدم.

ويقول محيى الدين بن عربى: ما كنت جانب غروب الشمس: شمس الذات الاحدية فى عين موسى عليه السلام، واحتجابها بعينه فى مقام المكاملة لأنه سمع النداء من شجرة نفسه، ولهذا كانت قبلته جهة المغرب؛ ودعوته إلى الظواهر التى هى مغارب شمس الحقيقة بخلاف عيسى عليه السلام.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ أى: ما كنت يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ المكان الغربى من ﴿الطُّورِ﴾ الجبل الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام، ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ بأمرك، وأخبرنا بنبوتك.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾

سورة القصص / مكية / الآية ٧٣.

حفظك أنفاسك وأزفانك وساعاتك، وما هو بك وما أنت فيه، فمن عرف من أين جاء عرف أين يذهب، ومن علم ما يصنع علم ما يُصنع به، ومن علم ما يصنع به علم ما يُراد منه، ومن علم ما يُراد منه علم ماله، ومن علم ماله علم ما عليه، ومن علم ما عليه علم ما معه، ومن لم يعلم من أين جاء وأين هو وكيف هو ولمن هو، ومما هو وما هو وإلى أين هو، فذلك ممن لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم؛ ويظن أنه يعلم. أهمل أوقاته وترك ما نذره الله تعالى إليه بقوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾.

يقول الإمام القشيري: الأوقات ظروف لما يحصل فيها من الأفعال والأحوال؛ فالظروف من الزمان متجانسة، وإنما الاختلاف راجع إلى أعين ما يحصل فيها. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بالغفلة والحضور في مقام القلب، والاستتار والتجلي في مقام الروح. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ تعالى أن ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالنهار بأنواع المكاسب. ودوام ليل القبض يحق البشرية، ودوام نهار البسط يُغطى النفس وتخالفهما على المرید رحمة، وإخراجه عنهما عناية.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ...﴾

سورة القصص / مكة / الآية ٨٥.

إن الذي فرقك برسم الإِبلاغ للخلق؛ سيردك إلى معنى الجمع بالفناء عن ملاحظتهم والترسم معك على حد الإِبلاغ برسومهم بتخصيصك بالمقام الأخص والبيان الأخلص.

يقول ابن عطاء: إن الذي يسر عليك القرآن المجيد قادر أن يردك إلى وطنك الذي منه ظهرت؛ حتى تشاهده بسرك على دوام أوقاتك. وإن الذي حفظك في أوقات المخاطبة ﴿لَرَادُّكَ﴾ إلى وطنك من المشاهدة.

ويقول الإمام القشيري: في الظاهر إلى مكة، وأما في السر والإشارة فإنه ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أى: يسر لك قراءة القرآن، والمعاد: هو الوصف الذي كانت عليه روحك قبل حلول شجنك من ملادغات القرب ومطالعات الحق. وقيل: الذي ينصبك بأوصاف التفرقة بالتبليغ وبسط الشريعة لرادك إلى عين الجمع بالتحقق بالحق والفناء عن الخلق.

ويقول محيى الدين بن عربي: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أوجب لك فى الأزل عند البداية والاستعداد الكامل؛ الذى هو العقل القرآنى الجامع لجميع الكمالات وجوامع الكلم والحكم ﴿لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾ ما أعظمه، لا يبلغ كنهه ولا يقدر قدره، هو الفناء فى الله فى أحذية الذات والبقاء بالتحقق به بجميع الصفات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أهل الاشتياق يروحون أرواحهم بهذه الآية الكريمة، فيقولون لها: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أن تعمل به فى الدنيا، ﴿لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾ جسمانى روحانى، فتصل نظرتك ونظرتك إلى وجه الحبيب من غير عزول ولا رقيب.

سورة الروم

مكية، وآياتها ستون آية.

بعث كسرى جيشاً إلى الروم، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم
فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم. فلما كان يوم بدر ظهرت الروم على
فارس فأعجب المؤمنون بظهور الروم على فارس، فنزلت آى الذكر الحكيم،
وكانت سورة الروم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ...﴾

سورة الروم/ مكية/ الآية ٤٠.

خلقكم بقدرته ورزقكم بمعرفته وأمانكم عن الأغيار وأحياكم به. وقال:
الرزق في الدنيا الحياة واللذة ثم الشهوة والعيش، والرزق في الآخرة المغفرة
والرضوان، ثم تكون بعدها الدرجات.

يقول الإمام جعفر الصادق: حرككم إلى إظهار آثار الربوبية فيكم.

ويقول سهل التستري: أفضل رزق العبد سكونه مع رازقه.

ويقول أبو الحسين الوراق: أخبر الله عن ابتداء خلقك أنه خلقك ثم أخبرك أنه سواك، ثم
أخبر أنه رزقك، ثم أخبر عن فناءك أنه يميتك، ثم أخبر عن بعثك أنه يحييك، فهو الأول
في خلقك ورزقك وموتك وحياتك لترجع إليه في جميع مهماتك ولا تخرج عن سواءه.
ويقول الإمام القشيري: ﴿ثُمَّ﴾ حرف يقتضى التراخى؛ وفى ذلك إشارة إلى أنه ليس من
ضرورة خلقه إياك أن يرزقك؛ كنت فى ضعف أحوالك ابتداء ما خلقك، فأثبتك وأحياك
من غير حاجة لك إلى رزق.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أظهركم ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ ما تقوم به أبدانكم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ...﴾

سورة الروم/ مكية/ الآية ٤٦.

من علامات ربوبيته أن يرسل رياح شففته إلى قلوب أوليائه مبشرة لهم بهتك حجب الاحتشام ليطؤوا بساط المودة من غير حشمة، فيسقيهم على ذلك البساط شراب الأنس، وتهب عليهم رياح الكرم، فينفيمهم عن صفاتهم ويجيئهم بصفاته وبنعوته، فإن بساط الحق تعالى لا يطأه من هو مقيم على حد الافتراق حتى يرى العيون كلها عيناً واحداً، ويرى ما لم يكن كما لم يكن، وما لم يزل كما لم يزل.

يقول ابن عطاء: يرسل الرياح المكنونة في خزائنه على أرواح أهل صفوته فيبشرهم بمحل التمكن والتمكين.

ويقول النصر آبادي: هو أن يظهر عليك أوائل الاسترواح إلى ذكره فيكون ذلك بشارة بالوصول إلى المذكور.

ويقول الإمام القشيري: يرسل رياح الرجاء على قلوب العباد فتكنس عن قلوبهم غبار الخوف وغناء اليأس، ثم يرسل عليها أمطار التوفيق فتحملهم إلى بساط الجهد، وتكرمهم بقوى النشاط. ويرسل رياح البسط على أرواح الأولياء فيطهرها من وحشة القبض، وينشر فيها إرادة الوصال. ويرسل رياح التوحيد فتهب على أسرار الأصفياء فيطهرها من آثار العناء، ويبشرها بدواء الوصال. فذلك ارتياح به ولكن بعد اجتياح عنك.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ومن آيات فتحه على أوليائه أن يرسل رياح الهداية، ثم رياح التأييد، ثم رياح الواردات تحمل هدايا التعريفات، مبشرات بالفتح الكبير، والتمكين في شهود العلى القدير، وليذيقكم من رحمته؛ وهي حلاوة معرفته.

سورة السجدة (فصلت)

مكية، وآياتها ثلاثون آية.

إلا: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ نزلت بالمدينة، ونزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة. أما باقى الآيات فنزلت فى المتهجدىن الذىن يقومون اللىل إلى الصلاة فى وقت غزوة تبوك. وتسمى أيضاً سورة فصلت.

﴿...يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾

سورة السجدة/ مكية/ الآية ١٦.

خوف الأنبياء والأولياء وأرباب المعارف خوف التسليط، وخوف الملائكة خوف مكر الحق تعالى، وخوف العامة خوف تلف النفس، والرجاء والطمع عين التهمة.

يقول الإمام جعفر الصادق: خوفًا منه، وطمعًا فيه.
ويقول سهل التستري: خوفًا من هجرانه، وطمعًا فى لقاءه.
ويقول ابن عطاء: قوم يدعونه خوفًا من سخطه، وطمعًا فى ثوابه. والأوساط يدعونه خوفًا من اعتراض الكدورة فى المحبة وصفاء المعرفة. والآجلة يدعونه خوفًا من قطعه؛ وطمعًا فى دوام الوداد: لأن الخوف من شرائط الإيمان.
ويقول الإمام القشيري: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ فى الظاهر عن الفراش قيامًا بحق العبادة والجهد والتهجد، وفى الباطن تتباعد قلوبهم عن مضاجعات الأحوال، ورؤية قدر النفس، وتوهم المقام. فإن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة، وهو للعبد سم قاتل، فلا يساكنون أعمالهم، ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مآلفهم، ويهجرون فى الله معارفهم.
ويقول محسى الدين بن عربى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ بالتوجه إلى التوحيد فى مقام القلب خوفًا من الاحتجاب بصفات النفس بالتلوين ﴿وَطَمَعًا﴾ فى لقاء الذات.
ويقول الإمام ابن عجيبة: الداعين لأجل خوفهم من سخطه، ﴿وَطَمَعًا﴾ فى رحمته تعالى. وهم المتجهدون أو المتفكرون فى الليل.

سورة الأحزاب

مدنية، وآياتها ثلاث وسبعون آية. بتقديم السين آية.

وعن أبيّ أنه قال: كم تعدون سورة الأحزاب؟.. قالوا: ثلاثًا وسبعين. قال: فوالذي يحلف به أبيّ إن كانت لتعدل سورة البقرة، أو أطول. ولقد قرأنا منها آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة؛ نكالا من الله، والله عزيز حكيم. أراد أبيّ أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن الكريم.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا...﴾

سورة الأحزاب/ مدنية/ الآية ٢٣.

فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. هو أن يترك الصادق إرادته لإرادة الله تعالى واختياره لاختياره، ومحابه لمحابه، وتديبره لتديبره، حتى يرى من قلبه ونفسه وجميع جوارحه أنه لا يريد إلا ما أراد الله عز وجل، يصح له ذلك قوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

يقول عبد الله الرازى: ثلاثة من علامات الصدق والوصول إلى منازل الأنبياء عليهم السلام، وذلك: إسقاط قدر الدنيا والمال من قلبك؛ حتى يصير الذهب والفضة عندك كالمدر والتراب متى ظفرت به صبيته على الخلق كهينة التراب، والثانى: إسقاط رؤية الخلق من قلبك حتى كأنهم كلهم أموات؛ وأنت وحدك على وجه الأرض تعبد ربك ولا تلتفت إلى مدحهم، ولا تزيد ولا تنقص شيئا من أفعالك بسبب كلامهم، والثالث: إحكام سياسة نفسك بخالصة العداوة لها وقطع الشهوات واللذات عنها حتى يكون فرحك فى الجوع وترك الشهوات، كفرح أبناء الدنيا بالشبع ونيل الشهوات، فعندها لزم طريق الصادقين من المريدين، وستصل إلى فوائد الله تعالى وكرامته.

ويقول الإمام القشيري: شكر صنيعهم فى المراس، ومدح يقينهم عند شهود الباس، وسماهم رجالاً إثباتاً لخصوصية رتبهم، وتمييزاً لهم من بين أشكالهم بعلو الحلة والمنزلة، فمنهم من خرج من دنياه على صدقه، ومنهم من ينتظر حكم الله تعالى فى الحياة والممات، ولم يزيغوا عن عهدهم، ولم يراوغوا فى مراعاة حدهم؛ فحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: شكر سبحانه صنيعهم فى المراس، ومدح يقينهم عند شهود الناس، وسماهم رجالاً، إثباتاً لهم بالخصوصية فى الرتبة، وتمييزاً لهم من بين أشكالهم بعلو الحال، فمنهم من خرج من دنياه على صدقه، ومنهم من ينتظر حكم الله فى الحياة والممات، وحقيقة الصدق: حفظ العهد وترك مجاوزة الحد، واستواء السر والجهر.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾

سورة الأحزاب/ مدنية/ الآية ٣٥.

الصادق الظاهر له القدرة، يظل عند ربه. يطعمه من نوره، ويسقيه شراباً طهوراً، أولئك الأقوياء الذين لا يحتاجون إلى الطعام ولا الشراب ولا يموتون.

يقول الإمام جعفر الصادق: من يصف لك خير الآخرة لا خير الدنيا، ويدلك على حسن الاخلاق؛ لا على سيئها، ويعطيك قلبه لا جوارحه.

ويقول سهل التستري: الإيمان أفضل من الإسلام، والتقوى فى الإيمان أفضل من الإيمان، واليقين فى التقوى أفضل من التقوى، والصدق فى اليقين أفضل من اليقين، وإنما تمسكتم بادئاً بالإسلام فإياكم أن ينفلت من أيديكم.

ويقول ابن عطاء: لم يبلغ أحد إلى مقام الصدق بالصوم والصلاة، ولا بشيء من الاجتهاد. ولكن الوصول إلى مقام الصدق يكون بطرح النفس بين يديه. وقال: أنت! أنت!.. ولا بد لنا منك.

ويقول أبو بكر الشبلى: الصادق من يكون مواصلاً للأحزان، وقلبه منفرد بالرحمن. ويقول الإمام القشيري: الإسلام هو الاستسلام والإخلاص والمبالغة فى المجاهدة والمكابدة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: من فوض أمره إلى الله تعالى فهو داخل فى قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، ومن أقر بأن الله ربه، وأن محمداً رسوله، ولم يخالف قلبه لسانه فهو من المؤمنين والمؤمنات، ومن أطاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾، ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل فى قوله: ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾، ومن صبر على الطاعة وعن المعصية، وعلى الذرية فهو من ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ...﴾

سورة الأحزاب/ مدنية/ الآية ٧٢.

قال فارس عن الحسين بن منصور الحلاج: فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، عرض الأمانة على الخلائق والجمادات، فأشفقوا وهربوا وظنوا أن الأمانة تحمل بالنفوس، وكشف لآدم عليه السلام أن حمل الأمانة بالقلب لا بالنفس، فقال: أنا أقبلها فإن القلب موضع نظر الحق تعالى؛ وإطلاعه، فإذا أطاق ذلك يطبق حمل الأمانة، فإن الأمانة حدث، وإطلاع الحق وتجليه لم تطقها الجبال وطاقتها القلوب، وأنشد فارس:

حملتم القلب ما لا يحمل البدن والقلب يحمل ما لا يحمل البدن
يا ليتنى كنت أدنى من يلوذ بكم عيناً لأنظر كم أم ليتنى أذن

يقول الحسن البصرى: رأيتهم والله قد اشتروا الأمانة بأموالهم ووسعوا لها دورهم، وضيقوا قبورهم وأهزلوا ذنبهم وأنصبوا أنفسهم إلى باب السلطان بالغدوة والروح بالمطارق العتاق والعمائم الرقاق يتعرضون للبلاء وهم من الله فى عافية، ويكى أحدهم على شماله ويأكل من غير ماله، ما له حرام وخدمته سخرة، ثم إذا بلغت به ونزلت بطنه يقول: يا غلام أتنا بشيء يهضم طعامنا؛ أطعامك يهضم أم دينك معه. ألم يهملك إذن الأمانة التى حملتها حتى اختلت. هيهات ما أبعدك عن طريق المتقين؛ وأجهلك بسيرة المؤمنين.

ويقول ابن عطاء: الأمانة هو تحقيق التوحيد على سبيل التفريد.

ويقول الإمام القشيرى: هنا إضمار، أى: أهل السموات والأرض والجبال. والأمانة: القيام بالواجبات أصولها وفروعها. والتوحيد عقداً، وحفظ الحدود جهداً. فلما عرض الحق تعالى الأمانة على الخلق علق آدم بها همته، فصرف بهمته جميع المخلوقات عنها. ويقول محسى الدين بن عربى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ بإيداع حقيقة الهوية عندها واحتجابها بالتعينات بها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الأمانة التى عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال هى شهود أسرار الربوبية فى الباطن، والقيام بآداب العبودية فى الظاهرة.

سورة فاطر (الملائكة)

مكية، وآياتها خمس وأربعون آية.
ويطلق عليها سورة الملائكة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ...﴾

سورة فاطر/ مكية/ الآية ١٥.

على مقدار افتقار العبد إلى الله تعالى يكون غناه بالله في كل شيء، والفقير إليه في كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء. فكلما ازداد افتقارا ازداد غنى.

يقول ذو النون المصري: الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة والحظة. ويقول سهل التستري: لما خلق الله تعالى الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر، فمن ادعى الغنى حجب عن الله، ومن أظهر فقره إلى الله أوصل فقره بغناه؛ ويصح إظهار الفقر في ثلاثة: فقرهم القديم، وفقرهم في حالهم، وفقرهم في موت أنفسهم من تدبيرهم، ومن لم يكن كذا فهو مدع في فقره. فأنتم الفقراء إليه في كل نفس، ينبغي للعبد أن يكون مفتقراً إليه بالسر، ومنقطعاً إليه من غيره حتى يكون عبوديته محضة، والعبودية هي الفقر والذل والخضوع.

ويقول الجنيد البغدادي: قد عجزت عن علم العبودية كيف ترك علم الربوبية، والربوبية: العلم والقدرة والقهر والمشيئة. والعبودية: العجز والفاقة والضعف والضرورة، ولا يستطيع أن يدفع الضرورة من ضعفه ومن عجزه، ولا يقدر على دفع فاقته. ويقول أبو بكر الشبلي: الفقر بحر البلاء، وبلاؤه كله عز.

ويقول الإمام القشيري: الفقر على ضربين: فقر الخلقة، وفقر الصفة؛ فأما فقر الخلقة فهو عام لكل أحد، فكل مخلوق مفتقر إلى خالقه، فهو قد حصل من العدم، وهو مفتقر إليه تعالى ليبيده وينسيه، ثم بعد ذلك مفتقر - في حال بقائه إليه - ليديمه ويقيه. أما فقر الصفة فهو التجرد، ففقر العوام التجرد من المال، وفقر الخواص التجرد من الأعلام. ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والخضوع. والفقر المحمود هو العيش مع الله تعالى براحة الفراغ على سرمد الوقت من غير استكراه شيء منه بكل وجه.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا...﴾

سورة فاطر / مكية / الآية ٣٢.

الظالم: الباقي مع حاله، والمقتصد: الفاني بحاله، والسابق: المستغرق في فناء حاله. فالظالم هو طالب الدنيا، والمقتصد طالب العقبى، والسابق طالب المولى.

يقول الحسن البصري: السابق من رجحت حسناته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم الذى ترجع سيئاته.

ويقول الإمام جعفر الصادق: فرق المؤمنين ثلاث فرق سماهم مؤمنين، عباد أضافهم إلى نفسه تفضلاً منه وكرماً، وجعلهم كلهم أصفياء مع علمه تعالى بتفاوت معاملاتهم، بدأ بالظالمين، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين.

ويقول أبو الحسين النورى: على ماذا عطف بقوله تعالى: ﴿٢٢٠﴾؟ قال: عطف إرادة الأزل والأمر المقضى، ثم أورثنا من الخلق الذين سبقت لهم منا الاصطفائية فى الأزل.

ويقول عمرو المكى: المغفرة للظالمين، والرحمة على المقتصدين، والقربى للسابقين. ويقول الإمام القشيري: أورثنا، أى: أعطينا الكتاب، أى: القرآن المجيد الذين اصطفينا، أى: اخترنا من عبادنا.

ويقول محسى الدين بن عربى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ منك هذا ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ المحمدين المخصوصين من عند الله تعالى بمزيد العناية وكمال الاستعداد بالنسبة إلى سائر الأمم لأنهم لا يرثون ولا يصلون إليه إلا منك وبواسطتك، لأنك المعطى إياهم الاستعداد والكمال فنسبتهم إلى سائر الأمم نسبتك إلى سائر الأنبياء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ الاصطفائية تقدمت الوراثة؛ لمحبتة ومشاهدته، ثم خاطبهم بما له عندهم، وما لهم عنده. وهذا الميراث الذى أورثهم من جهة نسب معرفتهم به، واصطفائيته إياهم، وهو محل القرب والانبساط.

سورة يس

مكية، وآياتها ثلاث وثمانون آية.

نزلت في بنى سلمة حين أرادوا الانتقال إلى جوار النبي ﷺ. فإنهم كانوا في ناحية من نواحي المدينة، وأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ...﴾

سورة يس/ مكة/ الآية ١١.

أشرف منازل الذاكرين من نسي ذكره في مشاهدة مذكوره، وحفظ أوقاته
عن الرجوع إلى رؤية الذكر.

يقول الإمام القشيري: إنما يتفع بإنذارك من اتبع الذكر؛ فإن إنذارك وإن كان عاماً في الكل وللكل، فإن الذين كفروا على غيرهم يصرون. ألا ساء ما يحكمون، وإن كانوا لا يعلمون قبح ما يفعلون، أما الذين اتبعوا الذكر واستبصروا؛ وانتفعوا بالذي سمعوا وعملوا فقد استوجبوا أن تبشرهم؛ فبشرهم وأخبرهم على وجه يظهر السرور بمضمون خبرك عليهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أى: يؤثر الإنذار وينجح فى ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ لنورية استعداده وصفائه، فيتأثر به ويقبل الهداية بما فى استعداده من التوحيد الفطرى والمعرفة الأصلية، فيتذكر ويخشى الرحمن بتصور عظمتة مع غيبته من التجلى، فيتبعه بالسلوك ليحضر ما هو غائب عنه ويرى ما استضاء بنوره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كل من تصدى لوعظ الناس وإنذارهم، على فترة من الأولياء، يقال له: لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون. ويقال فى حق من سبق له الإبعاد عن طريق أهل الرشاد: لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون.

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي...﴾

سورة يس/ مكية/ الآية ٢٢.

كل قلب يشتغل بالثواب عن حرمة الأمر فهو أجير وليس بعبد، وإنما يعمل على الأجر عبيد النفوس، ومن أخذه تعظيم حرمة أمر الله تعالى لا يلتفت إلى الثواب.

يقول ابن عطاء: بالفطرة جعل الأشخاص في قبضة القدرة، والأرواح في قبضة العزة. ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ وكان اسمه حبيباً، وكان نجاراً ينحت في بدايته أصنام مظاهر الصفات من الصور لاحتجابه بحسنها عن جمال الذات، وهو المأمور بدخول جنة القرات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أحب الخلق إلى الله تعالى أنفعهم لعياله وأنصحهم لهم. فينبغي لمن أراد الظفر بمحبة الحبيب، وينال منه الخطوة والتقريب، أن يتحمل المشاق في إرشاد عباد الله، ويستعمل الأسفار في ذلك، لينال عنده الجاه الكبير، والقرب العظيم.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ...﴾

سورة يس/ مكية/ الآية ٥٥.

إن الحق جل جلاله قطع أهل الجنة بتجليه عن الالتذاذ بالجنة لأنه تعالى أفناهم بتجليه عنها لثلا تدوم لهم اللذة فيقع بهم الملل، فرجعهم إلى آياهم بعد تجلى الحق تعالى لهم يوفر اللذة عليهم، والحق تعالى لا يلتذ به.

يقول الجنيد البغدادي: أحياء أقواماً بالراحة في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فهم متقبلون في الراحة واللقاء والرضوان والمشاهدة ثم مَنْ عليهم بزيادة منه، فقال: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ﴾ حظوظ الأنفس عن هذا المعدن وهذا المشهد. ويقول ابن عطاء: شغلهم في الجنة استصلاح أنفسهم لميقات المشاهدة، وهذا من أعظم الاشتغال.

ويقول الإمام القشيري: أصحاب الجنة من هم طلابها والساعون لها والعاملون لنيلها. فمن كان في الدنيا عن الدنيا حرّاً، فلا يبعد أن يكون في الجنة عن الجنة حرّاً، والله يختص برحمته من يشاء. وأهل الجنة هم أهل الحضرة والدنوّ. ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ من أنوار التجليات ومشاهدات الصفات، متلذذون هم ونفوسهم الموافقة لهم في التوجه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن أصحاب الجنة المعجلة لأوليائه اليوم في شغل كبير، لا تجدهم إلا مشغولين بالله، بين شهود واستبصار، وتفكير واعتبار، في محل المشاهدة والمكاملة، والمناجاة والمسارعة أوقاتهم محفوظة، وحركاتهم وسكناتهم بالإخلاص ملحوظة، فهم في شغل شاغل عن الدنيا وأهلها، هم ومن تعلق بهم في ظلال الرضا.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا...﴾

سورة يس/ مكية/ الآية ٨٢.

أبدى الله تعالى الأكوان بقوله: «كن» إهانة لها وتصغيراً، ليعرف الخلق إهانتها، فلا يركنوا إليها ويرجعوا إلى مبدئها ومنشئها، فشُغلت الخلق بزيينة الكون، فتركهم معه واختار من خواصه خصوصاً أعتقهم من رق الكون. فأحياهم به فلم يجعل للعلل عليهم سبيلاً ولا للآثار فيهم طريقاً.

يقول الإمام القشيري: إذا أراد شيئاً أن يقول له كن «فيكون» بخلقه وقدرته. وأخبرنا أنه تتعلق بالكون كلمته على ما يجب في صفته، وسيان عنده خلق الكثير في كثرته؛ والقليل في قلته.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ عند تعلق إرادته بتكوين شيء ترتب، كونه على تعلق الإرادة به، دفعة معاً بلا تحليل زمانى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نقطة مهينة، فإذا هو خصيم لنا في تدبيرنا واختيارنا، ويُنازعنا في مرادنا من خلقنا، ومرادنا منهم: ما هم عليه. فاستحى أياها الإنسان أن تخاصم الله تعالى في حكمه، أو تنازعه في تقديره وتدبيره، وسلم الأمور لمن بيده الخلق والأمر.

سورة الصافات

مكية، وآياتها مائة واثنان وثمانون آية.

وقيل للرد على المشركين فى عبادة الأصنام.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾

سورة الصافات/ مكية/ الآية ٤.

دلهم على الوجدانية، ليكونوا وحداني الذات، ليصلحوا لمعرفة الواحد، فمن لم يتحد بإسقاط كل العلائق عنه لا يصلح لمعرفة الواحد. وقال: الواحد لا يعرفه إلا الأحاد من العباد.

يقول الإمام القشيري: هذا هو المقسوم عليه. أخبر أنه سبحانه واحد في ملكه، وذلك لأنهم تعجبوا أن يقوم الواحد بجميع أحوال العالم. ومعنى كونه واحداً تفرده في حقه عن القسمة، وتقده في وجوده عن الشبيه، وتنزهه في ملكه عن الشريك، واحد في جلاله، واحد في استحقاق جماله، واحد في أفعاله، واحد في كبريائه بنعت علاقته، ووصف سنائه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ لا شريك معه يستحق أن يُعبد. أقسم الحق تعالى بصفوف الذاكرين الزاجرين للخواطير عن قلوبهم في طلب الحضور، التاليين لذكر ربهم لرفع الستور، إنه متفرد في ألوهيته، متوحد في ربوبيته؛ إذ هو رب كل شيء، رب سموات الأرواح، ورب أرض النفوس والأشباح، ورب مشارق أنوار العرفان، وهي قلوب أهل العيان، ولم يذكر المغارب، لأن شمس القلوب إذا طلعت ليست لها مغيب.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾

سورة الصافات/ مكية/ الآية ١٠٦.

البلاء بالله تعالى، والعافية من الله تعالى، والأمر عن الله تعالى، والنهي
إذلاله.

يقول سهل التستري: البلاء على وجهين: بلاء رحمة، وبلاء عقوبة. فبلاء الرحمة يبعث
صاحبه على إظهار فقره إلى الله تعالى، وبلاء العقوبة يترك صاحبه على اختياره وتدييره.
ويقول الجنيد البغدادي: البلاء هو الغفلة عن المبلى.
ويقول أبو بكر الرازي: غاية البر في غاية الجفاء؛ وهو في قصة الخليل صلوات الله
وسلامه عليه.

يقول الإمام القشيري: كان فداء الذبيح يربى في الجنة قبله بأربعين خريقاً. والناس في
البلاء على أقسام: فبلاء مستعصب وذلك صفة العوام، وبلاء مستعذب وذلك صفة من
يستعذبون بلاياهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الاختبار البين؛ الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم، والمحنة
البينة الصعبة، فإنه لا محنة أصعب منها. إن الولد كان أشد بلاء، لأنه وجد الذبيح من يد
أبيه، ولم يتعود منه إلا التربية بالجميل، فكان البلاء منها أشد، إذ لم يتوقعه منها.

﴿...إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾

سورة الصافات/ مكية/ الآية ١٦٤.

المريدون فى المقامات يحركون من مقام إلى مقام، والمرادون جاوزوا المقامات إلى رب المقامات.

يقول الإمام جعفر الصادق: الخلق مع الله مقامات شتى، من تجاوز حده هلك، فللأنبياء مقام المشاهدة، وللرسل مقام العيان، وللملائكة مقام الهيبة، وللمؤمنين مقام الدنو والخدمة، وللعصاة مقام التوبة، وللكفار مقام الطرد واللعنة. ويقول ابن عطاء: لك مقام الشهادة، ولهم مقام الخدمة.

ويقول الإمام القشيري: الملائكة لهم مقام معلوم لا يتخطون مقامهم، ولا يتعدون حدهم، والأولياء لهم مقام مستور بينهم وبين الله لا يُطلع عليه أحدًا. والأنبياء لهم مقام مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة؛ لأنهم للخلق قدوة، فأمرهم على الشهر، وأمر الأولياء على الستر.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ترقى الآدمى هو انتقاله من مقام إلى مقام، حتى يكشف بأسرار الذات وأنوار الصفات، ثم لا يزال يترقى فى الأذواق والكشوفات، يتجدد له فى كل يوم وساعة حلاوة وكشف لم تكن عنده قبل، بخلاف الملائكة، فلما يترقى كل واحد فى كشف أسرار مقامه، ويجد حلاوة فى ذلك المقام لم تكن له قبل، ولا ينتقل عنه، فمن كان من أهل الخدمة زاده الله حلاوتها.

سورة ص

مكية، وآياتها ثمان وثمانون آية.

﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا...﴾

سورة ص/ مكية/ الآية ٤٤.

سهل عليه البلاء بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ كان فانيًا عند رؤية الأغيار.

يقول ذو النون المصري: الصبر: التباعد عن المخالفات، والسكوت عن تجرع غصص البلية وإظهار العناء مع حلول الفقر بساحة المعيشة.

ويقول أبو سعيد الخراز: نعم العبد، عبد صبر على مشاهدة مبلية، لا على رؤية الثواب، لذلك كان أيوب عليه السلام لا يفوته جزء من البلاء في تلذذه بالبلاء وفي مشاهدة المبلى. ويقول الجنيد البغدادي: الصبر إسبال التوكل قبل مخامرة المحنة، فإذا صادفت المحنة التولى حملها بلا كلفة.

ويقول ابن عطاء: وقف معنا بحسن الأدب، لا يؤثر عليه دوام النعم ولا يزعجه تواتر البلاء والمحن لمشاهدة النعم والمبلى، ونعم العبد عبد لا يشغله مال عنا.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ في بليته وطلبه للكمال، فرحمناه، وليس كل طالب صابرًا.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إنا علمناه على البلاء، وأما شكواه فليست جزءًا بل رجوعًا إلى مولاه. والصبر طريق السلامة، فالأولى للعبد ألا يختار مع سيده شيئًا، بل يكون مفوضًا مستسلمًا، يتلقى ما يرد عليه بالترحيب.

سورة الزمر

مكية، وآياتها خمس وسبعون آية.

إِلَّا قَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي وَحْشَى قَاتِلِ حَمْزَةَ. وَهِيَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً فِي مَصْحَفِ الْبَصْرَةِ، وَاثْنَانِ وَسَبْعُونَ آيَةً فِي مَصْحَفِ الْكُوفَةِ.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ...﴾

سورة الزمر / مكية / الآية ٨.

من نسي الحق عند العوافي لم يجب الله دعاءه ضد المحن والاضطرار، لذلك قال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس: «تعرف إلى الله في الرضا يعرفك في الشدة».

يقول الإمام القشيري: إذا مسه ضرر خشع وخضع، وإلى قربته فزع، وتعلق بين يديه وتضرع. فإذا أزال عنه ضرره، وكفاه أمره، وأصلح شغله. نسي ما كان يدعو إليه من قبل. ويقول الإمام ابن عجيبة: الصفة الممدوحة في الإنسان أن يكون إذا مسه الضرر التجأ إلى سيده؛ مع الرضا والتسليم، فلذا كشف عنه شكر الله تعالى وحمده، ودام على شكره، نسب التأثير إلى الأسباب والعلل.

﴿... فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾

سورة الزمر/ مكية/ الآية ٢٢.

قسوة القلب بالنعم أشد من قسوته بالنسيان، فإنه بالنعمة يشكر، وبالشدّة يذكر. وأنشد في معناه:

قد كنت في نعمة الهوى بطرا فأردكتني عقوبة البطر
وقال: من همّ بشيء مما أباحه العلم تلذذاً؛ عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم في الدنيا. أما عقوبة القلب الرين والقسوة والعمى.

يقول الإمام القشيري: الصلبة قلوبهم؛ لم تفرعها خواطر التعريف فبقيت على نكرة الجحد، أولئك في الضلالة الباقية والجهالة الدائمة. وجواب هذا الخطاب محذوف. أي: فمن شرح الله تعالى صدره للإسلام كمن ليس كذلك؟ ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿فَوَيْلٌ﴾ للذين قست قلوبهم من قبول ذكر الله تعالى لشدة ميلها إلى اللذات البدنية وإعراضها عن الكمالات القدسية. ويقول الإمام ابن عجيبة: ويل لأصحاب القلوب الصلبة في الجعل (والجعل دابة كالحنفساء) أنها تنضرب برياح الورد، وتتعث بالشين، فكل من يفر من ذكر الله ويثقل عليه، فقلبه جُعِل.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ...﴾

سورة الزمر/ مكية/ الآية ٥٤.

الإنبابة جاءت من قبل المعرفة، فأحسن الخلق إنابة إلى الله تعالى ورجوعاً إليه أحسنهم به معرفة.

يقول أبو سعيد الخراز: المنيب يعمل في إنابته ثلاثة أشياء، يستبطن الموت لما يخاف من الفتنة في الدنيا، ويستبطن الثواب في القبر لما يرجو من جزيل العطاء في الآخرة، ويستبطن القيامة لما يرجو من الخلود في مجاورة الرحمن والنظر إليه.

ويقول محمد بن خفيف: همة المنيب حنين القلب إلى أوقاته العامرة وعبادته الكاملة.

ويقول الإمام القشيري: الإنابة: الرجوع بالكلية، والفرق بين الإنابة والتوبة أن التائب يرجع من خوف العقوبة، وصاحب الإنابة يرجع استحياء لكرمه.

ويقول محيى الدين بن عربي: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ بالتصل عن هيئات السوء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ارجعوا إليه بالتوبة والإخلاص. فالإنابة أخص من التوبة، لأن التوبة مطلق الندم على الزلة، والإنابة تحقيق التوبة والنهوض إلى الله بإخلاص التوجه.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾

سورة الزمر / مكية / الآية ٦٢ .

كل شيء أراد الله تعالى به الإهانة والتذليل، ألْبسه لبسة المخلوقة، ألا ترى كيف نزه عن ذلك صفاته وكلامه؛ فالله خالق كل شيء، والمخلوقات ليس لها عز إلا بالنسبة إلى خالقها وإنها مخلوقة، فبنسبته إليها أعزها.

يقول الإمام القشيري: تدخل أكساب العباد في هذه الجملة، ولا يدخل كلامه فيه؛ لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب ولا صفاته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ جامد أو حي، خير أو شر، إيمان أو كفر، لا بالجبر، بل مباشرة الكاسب في عالم الحكمة، وفيه اثبات القدرة والعلم، وهما مصححان للبعث والجزاء بالخير والشر لمحسن أو مسيء. وهو تعالى مظهر كل شيء؛ حيث تجلّى بها، وهو قائم بكل شيء. له مفاتيح غيوب السموات والأرض، لا يطلع عليها إلا من خضع لأوليائه الذين هم آيات من آياته. والذين كفروا بآيات الله الدالة على الله، أولئك هم الخاسرون، فلا خسران أعظم من خيبة الوصول، إذ لا يخلو المفروق عن الله من الشرك الخفى.

﴿... تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

سورة الزمر/ مكية/ الآية ٦٧.

كيف يعرف قدر من لا يقدر سواه؟.

يقول سهل التستري: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم والافتداء بسنة نبيهم ﷺ، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ أى: ما عرفوه حق معرفته فى الأصل ولا فى الفرع.

ويقول الإمام القشيري: ما عرفوه حق معرفته، وما قدروه حق قدره؛ فالخلق فى قبضة قدرته، والسموات مطويات بيمينه، ويمينه قدرته تعالى. ولأنه أقسم أن يفنى السموات ويطويها فهو قادر على ذلك.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بإثبات الغير وتأثيره وقدرته. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أى: تنزيهاً عظيماً لمن هذه قدرته وشأنه عما يضاف إليه من الشركاء. أى: ما أبعد من هذا شأنه عن إشراكهم.

سورة غافر (المؤمن)

مكية، وآياتها خمس وثمانون آية.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ...﴾

سورة غافر/ مكية/ الآية ١٥.

قال فارس عن الحسين بن منصور الحلاج: زين العرش بأنوار ذاته فلا يوازيه شيء ولا يقابله مثل. والعرش غاية ما أشار إليه الخلق.

يقول سهل التستري: يرفع درجات من يشاء بالمعرفة، وقال في قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ أى: ينزل الوحي من السماء بأمره.

ويقول ابن عطاء: يرفع درجات من يشاء فى الدارين، يجعله عزيزاً فيهما، وخلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته، يلقي الروح من أمره على ضروب، فمن ألقى إليه روح الصفاء أنطقه بها وأحياء حياة الأبد، والروح روحان: روح بها حياة الخلق، وأخرى لطيفة بها ضياء الخلق.

ويقول الإمام القشيري: رافع الدرجات للعصاة بالنجاة، وللمطيعين بالمثوبات، وللأصفياء والأولياء بالكرامات، ولذوى الحاجات بالكفايات، وللعارفين بتنقيبهم عن جميع أنواع الإرادات. «ذو العرش» ذو الملك الرفيع، والعرش الذى هو قبلة الدعاء.

ويقول محسى الدين بن عربى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ رفيع درجات غيوبه ومساعد سمواته من المقامات التى يعرج فيها السالكون إليه «ذُو الْعَرْشِ» أى: المقام الأرفع، المالك للأشياء كلها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن الله رفيع درجات الداعين إليه مع المقربين، فى مقعد صدق عند ذى العرش المجيد.

﴿...لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ...﴾

سورة غافر/ مكية/ الآية ١٦.

أنت المحيي لأموات القلوب بحياة أنوار قدسك، وأنت المبعثر لها براح روح المعرفة من نشر أسمائك، وأنت المؤلف لها بإشراقك لها على ما تقدم منك عنك في ديمومة أزليتك، وأنت الآخذ عنها منها ما هو مانع لها من رؤية شواهدك الظاهرة في أقطار ألوانك، أسألك سؤال من ذهب سؤاله عند رؤية سؤالك.

يقول الإمام جعفر الصادق: أخرس الملكوت ذوات الأرواح عن جواب سؤاله في قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ﴾ فلم يجسر أحد على الإجابة، وما كان لأحد أن يجيب تحقيق سؤاله سواء، فلما سكنت الألسن عن الجواب أجاب نفسه بما يستحق من الجواب فقال ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

ويقول الإمام القشيري: لا يتقيد ملكه بيوم، ولا يختص ملكه بوقت، ولكن دعاوى الخلق اليوم لا أصل لها؛ إذ غداً تنقطع تلك الدعاوى، وترفع تلك الأوهام. ويقول الإمام ابن عجيبة: إذا برزوا وحشروا نادى الحق جل جلاله ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحد، ثم يعود ثلاثاً، فيجيب نفسه بنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أى: الذى قهر العباد بالموت. يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده، هو وحى أحكام للأنبياء، ووحي إلهام للأولياء، فيحيى الله بهم الدين فى كل زمان.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾

سورة غافر/ مكية/ الآية ٥١.

عن أبا بكر الرازي، عن أبا عثمان الدمشقي قال: سمعت الحلاج يقول: سمعت عن ذا النون المصري رحمة الله عليه وقد سُئل متى يكون العبد مفوضاً؟ قال: إذا يئس من نفسه وفعله؛ والتجأ إلى الله في جميع أحواله ولم يكن له علاقة سوى ربه.

يقول الإمام جعفر الصادق: ننصر رسلنا بالمؤمنين ظاهراً، وننصر المؤمنين بالرسل باطناً. ويقول سهل التستري: يكرمهم بالمعرفة والعلم «ويوم يقوم الأشهاد». لم يرض بما ضمن لهم النصر في الدنيا حتى ضمن لهم النصر في القيامة، ومن كان الله ناصره في الدنيا والآخرة فلا سوء عليه.

ويقول الإمام القشيري: ننصرهم بالآيات وفنون التعريفات حتى يعرفوا ويشهدوا أن الظفر وضده من الله، والخير والشر من الله ومن حيث لا يحتسبون؛ ننصرهم في الدنيا بالمعرفة وباليقين بأن الكائنات من الله، وننصرهم في الآخرة بأن يشهدوا ذلك ويعرفوا بالاضطرار (الضرورة) أن التأثير من الله. وغاية النصر أن يقتل الناصر عدو من ينصره، فإذا أراد حتفه بأن لا عدواً على الحقيقة، وأن الخلق أشباح تجري عليهم أحكام القدرة، فالولى لا عدو له؛ ولا صديق له إلا الله تعالى.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتأييد الملكوتي والنور القدسي في الدارين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة، ولا يقدح في ذلك ما يتفق لهم من صورة الغلبة امتحان؛ إذ الحكم للغالب. كما نصرت الرسل بعد الامتحان؛ نصرت الأولياء بعد الامتحان والامتحان.

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾

سورة غافر/ مكية/ الآية ٦٥.

الحى: الذى أحيا العالم بنظره، فمن لم يكن به وينظره حياً فهو ميت؛ وإن نطق أو تحرك.

يقول الجنيد البغدادي: الحى على الحقيقة من به حياة كل حى .
ويقول الإمام القشيري: هو الحى الذى لا يموت، ولا فضله يفوت، فادعوه بلسان القوت، وذلك عليه لا يفوت.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فى الوجود يخلق شيئاً، ويظهر بصفة .
ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله. ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ والحياة عند المتكلمين لا تتعلق بشيء، وعند الصوفية تتعلق بالأشياء؛ إذ لا قيام لها إلا بأسرار معانى ذاته، ومن تحققت حياته من الأولياء بحياة الله تعالى، بحيث كان له نور يمشى به فى الناس، كان كل من لقى حيت روحه بمعرفة الله، ولذلك يضم الشيخ المريد إليه، إن رآه لم ينهض حاله ليسرى حاله فيه، يأخذونه ذلك من ضم جبريل للنبي عليهما السلام.

سورة الشورى (جمعسق)

مكية، وآياتها ثلاث وخمسون آية.

﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾

سورة الشورى / مكية / الآية ١١.

له تعالى القدم، لا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حد، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولا يظهره قبل، ولا يفنيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يوجد له كان، ولا يفقده ليس. إن قلت: متى؟ فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت هو، فالهاء والواو خلقه تعالى. وإن قلت: أين؟ فقد تقدم المكان وجوده، فالحروف آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه.

يقول أبو بكر الشبلي: كلما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم، محدث مصنوع مثلكم لأن حقيقة عال عن أن تلحقه عبارة أو يدركه وهم، وأن يحيط به علم، كلا وكيف يحيط به علم وقد اتفقت فيه الأضداد بقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ سورة الحديد/ مدنية/ الآية ٣، أى عبارة تخبر عن حقيقة هذه الألفاظ قصرت عنه العبارات وخرست اللسان لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

ويقول الإمام القشيري: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأنه فاطر السموات والأرض، ولأنه لا مثل يضارعه، ولا شكل يُشاكله، والكاف صلة، أى ليس مثله شيء، ولفظ «مثل» صلة؛ ومعناه ليس كهو شيء. ومعناه ليس له مثل، والحق لا شبيه له فى ذاته؛ ولا فى صفاته؛ ولا فى أحكامه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ليس مثله شيء فى شأن من الشئون التى من جملتها هذا التدبير البديع. أى: ليس معه شيء حتى يشبهه.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا...﴾

سورة الشورى / مكية / الآية ١٨ .

قال أبا العباس البزاز: كان أخى خادماً للحلاج، فقال لى: لما كانت الليلة التى وعد من الغد بقتله قلت له: يا سيدى أوصنى. فقال: عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك. قال: فلما كان الغد وأُخرج للقتل قام وقال: «حسب الواحد أفراد الواحد له»، ثم خرج يتبخر فى قيده وينشد:

ندى غير منسوب إلى شىء من الحيف

سقانى مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح مع التين فى الصيف

ثم قال ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾. ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل رحمة الله عليه.

يقول الإمام القشيري: المؤمنون يؤمنون بالبعث وما بعده من أحكام الآخرة، ويكلون أمورهم إلى الله؛ فلا يتمنون الموت حذر الابتلاء، ولكن إذا ورد الموت لم يكرهوه، وكانوا مستعدين له.

ويقول الإمام ابن عجيبة: استعجال إنكار واستهزاء للفجار والكفار، وفيهم نزل: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾، وما قبله هو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾.

سورة الزخرف

مكية، وآياتها تسع وثمانون آية.

﴿... فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ...﴾

سورة الزخرف/ مكية/ الآية ٨٤.

اللهم أنت الواحد الذي لا يتم به عدد ناقص، والاحد الذي لا تدركه فطنة غائص، وأنت ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾.

يقول الإمام القشيري: المعبود في السماء هو الله، والمقصود في طلب الحوائج في الأرض هو الله. أهل السماء لا يعبدون غير الله تعالى، وأهل الأرض لا يقضى حوائجهم غير الله تعالى. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في إمهاله للعصاة، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوال العباد. ويقول الإمام ابن عجيبة: انفرد الحق سبحانه بالالوهية في العالم العلوي والسفلي ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ وهو معبود في السماء وفي الأرض، حكيم في أقواله وأفعاله، عليم بما كان وما يكون، وحكيم في إمهال العصاة، عليم بما يؤول أمرهم إليه، وهو كالدليل على ما قبله من التنزيه، وانفراده بالربوبية.

سورة الدخان

مكية، وآياتها سبع وخمسون آية.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾

سورة الدخان/ مكية/ الآية ٥١.

الإيمان ما أوجب الأمان، والتقوى توجب الأمان فى الإيمان لقوله تعالى: ﴿الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، والتقوى أن تتقى الكل لتصل بذلك إلى من له الكل.

يقول الجنيد البغدادي: أهل الجنة باقون ببقاء الحق تعالى، وهم مُبقون ببقاء الحق، والباقي على الحقيقة من لم يزل ولا يزال باقيًا.

ويقول الإمام القشيري: آمنين من المجن من جميع الوجوه، لباسهم من حرير، وفراشهم من سندس واستبرق، «متقابلين» لا يبرحون ولا يبعثون عنها حولا.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الكاملين فى التقوى باجتناب البقايا فى جنات عالية من الجنان، وعيون من علوم الأحوال والمعارف وغيرها من المنافع الحقيقية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن المتقين شهود ما سوانا فى مقام العرفان، وهو مقام المقربين، ومحل الأمن والأمان فى جنات المعارف، وعيون العلوم والحكم، يلبسون من أسرار الحقيقة وأنوار الشريعة، ما تبهج به بواطنهم وظواهرهم، متقابلين فى المقامات، يجمعهم الفناء والبقاء، ويتفاوتون فى اتساع المقامات والأسرار. حيث أرواحهم حياة أبدية، وأما الموت الحسى فإنما هو انتقال من عالم إلى عالم، ومن مقام إلى مقام، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم، فضلاً منه وإحساناً، خلق فيهم المجاهدة، وقرن عليهم بالمشاهدة.

سورة الأحقاف

مكية، وآياتها خمس وثلاثون آية.

إِلَّا ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ وَ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ فَهِيَ مَدْنِيَّةٌ.

﴿... وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا...﴾

سورة الاحقاف/ مكية/ الآية ٢٦.

خلق الله تعالى القلوب والأبصار، وجعل عليها أغطية وستوراً وأكنة وأقفالاً، فيهتك الستور بالنور، وترفع الحجب بالذكر، ويفتح الأقفال بالقرب، ويخرج من الأكنة بمشاهدة الآيات.

(راجع تفسير سورة النور/ الآية ٣٧).

يقول الإمام ابن عجيبة: أى: آلات الإدراك والفهم، ليعرفوا بكل واحدة منها ما خلقت له، وما نيظت به معرفته من فنون النعم، ويستدلوا بها على شئون منعمها، ويدادوا على شكرها، ويوحدوا خالقها. فكل ما زاد فى الحس نقص فى المعنى، وكل ما نقص من الحس زاد فى المعنى، والمراد بالمعنى: كشف أسرار الذات وأنوار الصفات، وما مكن الله تعالى عبده من الخواص الخمس إلا ليستعملها فيما يقربه إليه، ويوصله إلى معرفته، فإذا حرفها فى غير ذلك، عوقب عليها.

﴿... فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا...﴾

سورة الأحقاف/ مكية/ الآية ٢٩.

أعلى ما أشار إليه الخلق العرش، ثم انقطعت الإشارة والعبارة، لأنه تعالى وراء الإشارة والعبارة، قال الله تعالى: ﴿أَنْصِتُوا﴾ أى: انقطعوا عن العبارات التى تعود إليكم أولها وآخرها، وحادثه [كذا] نظر إلي العرش فأخبر، ولو نظر إلى رب العرش لخرس لقوله ﴿أَنْصِتُوا﴾ إلا أنه مباين لكل ما خلق لا يسعه غيره، ولا يحجبه سواه.

يقول سهل التستري: ليس فى الحضرة إلا الذبول والخمود والسكوت تحت موارد الهيبة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾.

ويقول النصر آبادى: هيبة المشاهدة إذا طالعت السرائر بحق يقيناً لخرست الألسن من النطق فى ذلك المشهد؛ كالجن لما حضرت النبى ﷺ فأراد أن يقرأ عليهم، وأوصى بعضهم بعضاً بالإنصات.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ حضروا العقل القرآنى الجامع للكمالات عند ظهور النور الفرقانى عليك ﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ سكتوا، وسكت بعضهم بعضاً عن كلامهم الخاص بهم مثل الأحاديث النفسانية والتصورات والهواجس والوساوس والخواطر والحركات الفكرية والانتقالات التخيلية. والقول ههنا حالى كما ذكر، إذ لو لم يسكنوا وينصتوا مستمعين لما يفيض عليهم من الواردات القدسية لم يبق من الوارد أثر، بل لم يكن يتلقى الغيب، ولا ورود المعنى القدسى، ولا تلاوة الكلام الإلهى كما ينبغى، ولأمر ما كان مبدأ الوحي منامات صادقة، وذلك كون هذه القوى ساكنة متعطلة عند النوم حتى قوى على عزلها عن أشغالها وتعطيلها فى اليقظة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: استعملت الجن الأدب بين يديه ﷺ حيث قالوا: أنصتوا، فالجلوس مع الأكابر يحتاج إلى أدب كبير، كالصمت والوقار والهيبة والخضوع.

سورة محمد (القتال)

مدنية، وآياتها ثمان وثلاثون آية.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...﴾

سورة محمد/ مدنية/ الآية ١٩.

العلم الذى دعا إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام هو علم الحروف، وعلم الحروف فى لام ألف، وعلم لام ألف فى الألف، وعلم الألف فى النقطة، وعلم النقطة فى المعرفة الأصلية، وعلم المعرفة الأصلية فى علم الأزل، وعلم الأزل فى المشيئة، أى المعلوم، وعلم المشيئة فى غيب الهوى، وهو الذى دعا الله تعالى إليه فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ﴾ والهاء راجع إلى غيب الهوية. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ علماً لا عن جهل، لأن المعلوم فى الله تعالى لا يتناهى.

يقول الإمام جعفر الصادق: أزل العلل عن الربوبية، ونزه الحق عن الدرك. ويقول الجنيد البغدادي: العلم أرفع من المعرفة وأتم وأشمل وأكمل، لذلك تسمى الله عز وجل بالعلم ولم يتسم بالمعرفة، وقال: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، ثم لما خاطب النبي ﷺ خاطبه بأتم الأوصاف وأكملها وأشملها للخيرات؛ فقالك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ولم يقل فاعرف، لأن الإنسان قد يعرف الشيء ولا يحيط به علماً، وإذا علمه وأحاط به علماً فقد عرفه.

ويقول ابن عطاء: عالم قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يحتاج إلى أربعة أشياء: تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة، فمن لم يكن له تصديق فهو منافق، ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع، ومن لم يكن له حلاوة فهو مراء، ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق، ولم يكمل هذه الخصال إلاه للنبي ﷺ لعظيم محله ودعاء الآخرين إلى قوله دون علمه.

ويقول محمى الدين بن عربي: حصل علم اليقين فى التوحيد، ثم أسلك طريقه إذ الاستغفار الذى هو صورة السلوك؛ مسبوق بالإيمان العلمى دون الظنى، لأن من لم يرزق ثبات الإيمان لم يمكنه السلوك، والثبات لا يكون إلا باليقين إذ الاعتقاد التقليدى يمكن تغيره، وكل حجاب ذنب سواء كان بالهيئات البدنية أو الصفات النفسانية أو القلبية أو الأنية. فالأمر بالعلم هنا هو الحث على شهود الوحدة، وبالإستغفار لذنبه هو التحريض على التنصل عن ذات ظهور البقية والانائية.

سورة الفتح

مدنية، وآياتها تسع وعشرون آية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ...﴾

سورة الفتح/ مدنية/ الآية ١٠.

لم يظهر الحق تعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسبه وأشرفه. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾. فأسقط الوسائط عند تحقيق الحقائق، وأبقى رسومها، وقطع حقائقها، فمن بايع النبي ﷺ على الحقيقة، فإن تلك بيعة الله عز وجل؛ لأن يده في تلك البيعة يد عارية.

يقول النصر آبادي: في وقت الاستنفار إلى الروم قد ظهرت صفة البيعة فهل من راغب فيها، بيعة بلا واسطة.

ويقول الإمام القشيري: هذه البيعة هي بيعة الرضوان بالحديبية تحت سمرة؛ والسمرة: شجرة الطلح. أي: عقدك عليهم هو عقد الله.

ويقول محيي الدين بن عربي: هذه المبايعة هي نتيجة العهد السابق المأخوذ ميثاقه على العباد في بدء الفطرة، وإنما كانت مبايعته مبايعة الله تعالى، لأن النبي ﷺ قد يفنى عن وجوده ويحقق الله في ذاته وصفاته وأفعاله، فكل ما صدر عنه ونسب إليه فقد صدر عن الله ونسب إليه، فمبايعته مبايعة الله تعالى، وإنما قلنا إنها نتيجة ميثاق الفطرة إذ لو لم تكن جنسية ومناسبة أصلية بينهم وبينه لما وجدت هذه البيعة لانتفاء الإلفة والمحبة المقتضية لها بانتفاء الجنسية، فهي دليل سلامة فطرتهم وبقائها على صفاتها الأصلية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تشير الآية الكريمة إلى مقام الجمع، الذي هو سر الخلافة والبقاء بالله وهذا الأمر حاصل لخلفائه ﷺ من العارفين بالله، أهل الفناء والبقاء، وهم أهل التربية النبوية في كل زمان، فمن بايعهم فقد بايع الله، ومن نظر إليهم فقد نظر إلى الله.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾

سورة الفتح/ مدنية/ الآية ٢٩.

سُئِلَ الحسين بن منصور: متى كان محمد ﷺ نبياً؟.. وكيف جاء برسالته؟. فقال: نحن بعد الرسول والرسالة، والنبى والنبوة. أين أنت عن ذكر ما لا ذكر له فى الحقيقة إلا هو، وعن هوية من لاهوية له إلا بهويته؟ وأين كان النبى عليه السلام عن نبوته حيث جرى القلم بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، والمكان علة، والزمان علة، فأين أنت عن الحق والحقيقة، ولكن إذا ظهر اسم محمد ﷺ بالرسالة عظم محله بذكره له بالرسالة فهو الرسول المكين والسفير الأمين، جرى ذكره فى الأزل بالتمكين بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام على أعظم محل وأشرف مكان.

يقول ابن عطاء: وصف محمداً ﷺ بأنه رسول، والرسول لا يكون إلا أميناً مأموناً ظاهراً وباطناً، سراً وعلناً، ووصف الصحابة الذين معه بأوصاف ثمانية، وهى أحوال خصت بها الخواص من أصحابه وهو حال البقاء واللقاء والحمد والوفاء والصدق والحياء والصحة والرضا، فخص أبا بكر رضى الله عنه بأحوال هى حال اللقاء لقول النبى الكريم: «إن الله يتجلى للخلق عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة».

ويقول الإمام القشيري: أشداء جمع شديد، أى: فيهم صلابة مع الكفار. ويقول الإمام ابن عجيبة: بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلتق بثياب الكفار، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنهم كانوا لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه.

سورة الحجرات

مدنية، وآياتها ثمانى عشرة آية.

﴿... أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى...﴾

سورة الحجرات/ مدنية/ الآية ٣.

من امتحن الله تعالى قلبه بالتقوى كان شعاره القرآن ودثاره الإيمان، وسراجہ التفكير، وطيبه التقوى، وطهارته التوبة، ونظافته الحلال، وزينته الورع، وعلمه الآخرة، وشغله وثقته بالله تعالى، ومقامه عند الله، وصومه إلى الممات، وإفطاره في الجنة، وجمعه للحسنات، وكنزه الأخلاق، وحصته المراقبة، ونظره المشاهدة.

يقول الإمام القشيري: هم الذين تقع السكنية عليهم من هيبة حضرته، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى بانتزاع حب الشهوات منها، فاتقوا سوء الأخلاق، وراعوا الأدب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله وعند شيخه؛ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أي: انتزع عنها حب الشهوات، وصفأها من دنس سوء الأخلاق، وتخلقت بمكارم الأخلاق؛ حتى انسلخت من عادات البشرية.

﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾

سورة الحجرات/ مدنية/ الآية ١٧.

فى قوله تعالى: ﴿بَلِ اللّٰهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ﴾، هذا جواب لما سلف من قولهم «لن تستطيع»، لأن أحدا لا يستطيع حمل منته، فكيف يمين على من لا خطر له عنده، ولا أثر منه عليه، والعجب منه أن لا يمين على أحد إلاه بالخلق، ولا وزن للمكنون عنده، فكيف يمين بمن لا وزن له على أحد.

يقول سهل التستري: استعملت الورع أربعين سنة، ثم وقع منى إليها التفاتة فأدركنى حياء ذلك بقوله تعالى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾.

ويقول الإمام القشيري: من لاحظ شيئاً من أعماله وأحواله فإن رآها من نفسه كان شركاً، وإن رآها لنفسه كان مكرراً، فكيف يمين العبد بما هو شرك أو بما هو مكر؟!. والذي يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منه؟. بل المنة لله، فهو تعالى ولى النعمة. ولا تكون المنة منه إلا إذا كان العبد صادقاً فى حاله، والمنة تكدر الصنيع إذا كانت من المخلوقين، ولكن بالمنة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يعدون إسلامهم منة عليك، والمن: ذكر النعمة على وجه الافتخار. واستشراك أن يعلم الناس بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك، وكل من غلب عليه الجهل حتى من على شيخه بصحبته له، أو بما أعطاه.

سورة ق

مكية، وآياتها خمس وأربعون آية.

﴿... وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ١.

القرآن المجيد المطهر لمن اتبعه عن دنس الأكوان وهواجس الأسرار.

يقول سهل التستري: أقسم المولى بقدرته وقوته، «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» المشرف على سائر الكلام.

ويقول ابن عطاء: فى قوله تعالى: ﴿ق﴾ أى أقسم بقوة قلب حبيبہ محمد ﷺ حيث حمل الخطاب والمشاهدة، ولم يؤثر ذلك عليه وفيه لعلو حاله.

ويقول الإمام القشيري: ق مفتاح أسمائه «قوي وقادر وقدير وقريب». فأقسم بهذه الأسماء وبالقرآن المجيد، وجواب القسم محذوف؛ ومعناه لتبعثن فى القيامة.

ويقول محيى الدين بن عربي: العقل القرآنى الكامل فيه الذى هو الاستعداد الأولى الجامع لتفاصيل الوجود كله، فإذا برز وصار إلى الفعل كان عقلاً فرقانياً، ولا يخفى مجده وشرفه بهذا المعنى، أو القرآن المجيد النازل عليه الذى هو بعينه الفرقان البارز.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿ق﴾ أيها القريب المقرب من حضرتنا، إنك لرسول مجيد، «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» ذى المجد والشرف على سائر الكتب، أو لأنه كلام مجيد من علم معانيه، وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس.

﴿... شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ٢.

القرآن مجيد الشرف على سائر الكلام.

يقول الإمام القشيري: التعجب نوع من تعبير النفس عن استبعادها لأمر خارج العادة لم يقع به علم من قبل.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بين تعالى تعجبهم بقوله: ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أى: هذا الذى يقوله محمد عليه الصلاة والسلام من البعث بعد الموت شىء عجيب. أو: كون محمد منذراً بالقرآن شىء يُتعجب منه. ووضع ﴿الْكَافِرُونَ﴾ موضع الضمير للدلالة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على كفر عظيم.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ٣٧.

ما كان عليه قلوب الأبرار والأخيار، لا يخطر فيه إلا شهود الحق تعالى، وأنشد الحلاج لنفسه:

أنعى إليك قلوباً طالما هطلت سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

يقول الإمام جعفر الصادق: يعنى قلباً يسمع ويعقل ويبصر، فكل ما سمع الخطاب بلا واسطة فيما بينه وبين الخلق يغفل ما مر عليه بالإيمان والإسلام من غير مسألة ولا شفيع ولا وسيلة كانت له عند الله تعالى فى الأزل، ويبصر قدرة القادر البارئ فى نفسه وملكوته وأرضه وسمائه، فاستدل بها على وحدانيته وفردانيته وقدرته ومشيتته.

ويقول ابن عطاء: قلب لاحظ الحق بعين التعظيم، فدان له وانقطع إليه عما سواه. موعظة بالغة لمن له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى، والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس، فلا يشغل بغيره ولا يركن إلى سواه.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المعنى المذكور لتذكيراً ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ كامل بالغ فى الترقى إلى حد كماله.

ويقول الإمام القشيري: قلب حاضر كالعقل، وقلب على الإحسان مقبل، يعد أنفاسه مع الله، حتى بنور الموافقة، غير معرض عن الاعتبار والاستبصار. فكل قلب منع الحق عنه الأوصاف الذميمة وألزمه النعوت الحميدة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أى: فيما ذكر من قصصهم، أو فيما ذكر فى السورة ﴿لَذِكْرٌ﴾ لتذكرة وعظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ سليم واع يدرك كنه ما يشاهده من الأمور ويتفكر فيها، ففى ذلك ذكرى لمن كان له قلب سليم من تعلقات الكونين.

﴿... أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ٣٧.

بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين، وطرق السابقين الناجين من الأزل وللأبد وما بينهما من الحدث عبرة ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

يقول الإمام جعفر الصادق: فى قوله: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ إذ هم عوقب القلب على المكان، ولا يعرفه إلا العلماء بالله عز وجل.

ويقول أبو سعيد الخراز: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أى: لا يستمع القرآن وهو أن يسمعه من جبريل، وقراءته فى النبى لقوله: «نزل به الروح الأمين»، ثم يرقى كأنه يسمعه من الحق تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

ويقول الإمام القشيري: استمع إلى ما ينادى به ظاهره من الخلق وإلى ما يعود إلى سره من الحق تعالى.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿أَلْقَى السَّمْعَ﴾ فى مقام النفس إلى القلب لفهم المعانى والمكاشفات للترقى، وهو حاضر بقلبه، متوجه إليه، مفيض لنوره، مترق إلى مقامه. ويقول الإمام ابن عجيبة: يشهد ما من الله إلى الله، أو يشهد أسرار الذات.

﴿... وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ٣٨.

الحق المنشئ بلا عناء ولا لغوب أظهر وأخفى وأوجد وأفقد وأبقى وأفنى وأقرب وأبعد، ظهر من غير ظهور، وبطن من غير بطون، أمر بالطاعة من غير حاجة، ونهى عن المعصية من غير كراهية، أثاب لا لعوض، وعاقب لا لحقد، أظهر الربوبية من غير افتخار، واحتجب عن خلقه بخلقه لا مقصر عنه، ولا غاية وراءه، لا يذكر بالأزمان والأوان؛ لأنه كان قبل الأزمان والأوان، جل ربنا وتعالى.

يقول الإمام القشيري: وأنى يمسه اللغوب وهو صمد لا يحدث فى ذاته حادث؟! ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ من إعياء ولا تعب فى الجملة، وهذا رد على جهلة اليهود، أنه تعالى بدأ العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقى على العرش، تعالى عما يقولون علواً كبيراً. لأن أمرنا بين الكاف والنون.

سورة الذاريات

مكية، وآياتها ستون آية.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

سورة الذاريات/ مكية/ الآية ٢١.

إذا عرج على نفسه، بانت نفسه لنفسه، ومن لم يعرج على جملته كان محتشماً لم يبين خلقه لخلقه، وكان كان لم يزل، خوطب بلسان الأزل، وجميع نعوته عدم، بقوله: «بلى» فكان المخاطب لهم والمجيب عنهم: بلى هم.

يقول ابن عطاء: إنكم لا تدركون أنفسكم، فكيف تدركون من له السموات؛ ومشيتته نافذة في كل شيء.

ويقول الإمام القشيري: كما أن الأرض تحمل كل شيء فكذا العارف يتحمل كل أحد. ومن الآيات التي في الأرض أنها يلقي عليها كل قذارة وقمامة، ومع ذلك تنبت كل زهر ونور. كذلك العارف يتشرب كل ما يسقى من الجفاء، ولا يترشح إلا بكل خلق على؛ وشيمة زكية.

ويقول محيي الدين بن عربي: «وَفِي أَنْفُسِكُمْ» من أنوار تجلياتها «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» في سماء الروح.

ويقول الإمام ابن عجيبة: «وَفِي أَنْفُسِكُمْ» آيات وعجائب القدرة؛ إذ ليس شيء في العالم إلا وفي الأنفس له نظير. «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» أي: تنظرون نظر من اعتبر.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

سورة الذاريات/ مكية/ الآية ٥٦.

كيف يجوز أن يظهر الحق فيما أوجده بهذا النقص والعلة، كلا وحاشا،
وثبت أن الحق سبحانه وتعالى ألزم في كتابه وصف العبودية للخلق أجمع.

يقول الجنيد البغدادي: ألزهم دوام العبادة، وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية في
الآخرة جزيل الثواب.

ويقول ابن عطاء: لا يعرفون ولا يعرفه حقيقة من وصفه بما لا يليق به فإن الله تعالى خلق
الدنيا إظهاراً لقدرته، وخلق الآخرة جزاءً لخلقه، ورفع السماء تبيناً للملكه، ونصب الجبال
تعظيماً لجبروته، ومد الأرض إعلاماً ببطشه، وأجرى الأنهار إخباراً برأفته، وخلق الجنة
لأوليائه بياناً لفضله تعالى، وخلق النار لأعدائه إظهاراً لعدله، وخلق الأنبياء تأكيداً
لحجته، وخلق ما في الدنيا إظهاراً لبره ولطفه واستشهاداً لربوبيته وكبريائه.

ويقول الإمام القشيري: الذين اصطفيتهم في آزالي، وخصصتهم اليوم بحسن إقبالى،
ووعدتهم جزيل أفضالى. ما خلقتهم إلا ليعبدون. والذين سخطت عليهم في آزالي،
وربطتهم اليوم بالخذلان فيما كلفتهم من أعمالى، وخلقت النار لهم بحكم إلهيتى ووجوب
حكمى فى سلطانى، ما خلقتهم إلا لعذابى وأنكالى، وما أعددت لهم من سلاسلى
وأغلالى. ما أريد منهم أن يطيعوا أو يرزقوا أحداً من عبادى، فإن الرزاق أنا، وما أريد أن
يطعمون فإننى أنا الله «ذو القوة» المتين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إلا لنأمرهم بالعبادة والخضوع لربوبيتى، لا لنستعين بهم على
شأن من شئونى، كما هى عادة السادات فى كسب العبيد، ليستعينوا بهم على أمر الرزق
والمعاش.

سورة الطور

مكية، وآياتها سبع وأربعون آية.

﴿وَالطُّور﴾

سورة الطور/ مكية/ الآية ١.

﴿وَالطُّور﴾ أى: وطيّران سرك إلينا وإليك بنا، وفرارك عما سوانا.

يقول الإمام جعفر الصادق: ما يطوى على قلب أحبابى من الأنس بذكرى والالتذاذ بحبى، وهو ما كتب الحق تعالى على نفسه لهم من الاقتراب والقربة. ويقول الإمام القشيري: أقسم الله، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾. والطور هو الجبل الذى كلم عليه موسى عليه السلام، لأنه محل قدم الأحباب وقت سماع الخطاب. ولأنه الموضع الذى سمع فيه موسى ذكر محمد ﷺ وذكر أمته حتى نادانا ونحن أصلاب آبائنا.

ويقول محبى الدين بن عربى: الطور هو الجبل الذى كلم عليه موسى عليه السلام، وهو الدماغ الإنسانى الذى هو مظهر العقل والنطق أقسم به لشرفه وكرامته، ولكون الفلك الأعظم الذى هو محدد الجهات بالنسبة إلى العالم بمثابة الدماغ بالنسبة إلى الإنسان، يمكن أن يكون إشارة إليه، وأقسم به لشرفه وكونه مظهر الأمر الإلهى وحل القضاء الأزلى. ويقول الإمام ابن عجيبة: أقسم الله تعالى بجبل العقل، الذى أرسى به النفس أن تميل إلى ما فيه هلاكها، وبما كتب فى قلوب أوليائه من اليقين والعلوم والأسرار.

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...﴾

سورة الطور/ مكة/ الآية ٤٨.

﴿وَأَصْبِرْ﴾ فإن صبرك بتوفيقنا وبشهود غيوبنا، فلذلك حصلت الظنون منك ظنوناً، إذ أنت الناظر إلينا بنا وأنت تنظر إلينا بما لنا وعنا، فتكون بذلك محجوباً عن واجبنا.

يقول الإمام جعفر الصادق: عند هذا الخطاب سهل عليه معالجة الصبر واحتمال مؤنه، وكذلك كل حال ترد على العبد في محل المشاهدة.

ويقول ذو النون: انظر لا تتقدم في همة، ولا تتأخر في أخرى تلقى عن قلبك ذكر ما مضى وذكر ما بقى، وتكون قائماً بوقتك ودوام علمك كما قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

ويقول ابن عطاء: فإنك مغمور في حفظنا، غريق في فضلنا، مستور بحفظنا. ومن اختص بالله كان في حفظه، ومن كان في مشاهدته، ومن كان في مشاهدته استقام معه ووصل إليه. ومن وصل إليه انقطع عما سواه، ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين.

ويقول الإمام القشيري: أنت بمرأى منّا، وفي نصرة منّا. فاصبر لما حكم به في الأزل، فإنه لا يتغير حكمنا الأول إن صبرت وإن لم تصبر، لكن إن صبرت على قضائي جزيت ثواب الصابرين بغير حساب.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ بمنع النفس عن الظهور بالاعتراض على الحكم. ويقول الإمام ابن عجيبة: اصبر لما حكم به عليك من شدائد الوقت، وأذية الخلق؛ بامهالهم إلى اليوم الموعود مع مقاساتك آذاهم.

﴿... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾

سورة الطور/ مكة/ الآية ٤٨.

قال تعالى للكليم عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ليس من هو بالعين كمن هو على العين، وليس من فنى بالشئ كمن فنى عن الشئ، لأن الفناء بالشئ لمعنى الجمع، والفناء عن الشئ بمعنى الاحتجاب.

يقول الإمام القشيري: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فى هذا تخفيف عليه وهو يقاسى الصبر. والتعبير بالجمع يفيد زيادة الرعاية فى حق المصطفى صلوات الله عليه. ويقول الإمام ابن عجيبة: هو حكم سيدك الذى يُربيك ويقوم بأمورك وحفظك، فما فيه إلا نفعك ورفعة قدرك، وجمع العين والضمير للإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ والرعاية. فإنك من جملة أعيننا، وأعيان الحق الكُمَّل من الأنبياء والرسل والملائكة وأكابر أوليائه، فإنهم أعيان تجلياته.

سورة النجم

مكية، وآياتها اثنتان وستون آية.

وهي أول سورة أعلن بها النبي ﷺ.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

سورة النجم / مكية / الآية ٣.

من عرف اللطائف علت أخطاره وجلت أقداره، وصار الشبح عليه فتنة. قال لصفية عليه السلام: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، أخذته النعوت فنبذته في شواهد شعاعها، فلا يهتم لآدم عليه السلام ومن دونه لفنائهم عنده، ومن لبس الأزلية بتيقنه، وارتدى الآخرة بتوحيده ارتفع كل حدث عن صفاته وأحواله.

يقول الإمام جعفر الصادق: كيف ينطق عن الهوى من هو ناطق بإظهار التوحيد وإتمام الشريعة وإيجاب الأمر والنهي. بل ما نطق إلا بأمر وما سكت إلا بأمر، أمر فكان أمره قربة من الحق تعالى، ونهى فكان نهيه أدباً وزجراً. ويقول الإمام القشيري: ما ينطق بالهوى، وما هذا القرآن إلا وحى يوحى وفى هذا أيضاً تخصيص له بالشهادة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ بظهور صفة النفس فى التلوين. ويقول الإمام ابن عجيبة: ما يصدر نطقه بالقرآن الكريم أو غيره عن هواه ورأيه أصلاً. فأقسم الله تعالى بنجم العلم إذا طلع فى أفق سماء القلوب الصاحية، إن هذا القلب الذى طلع فيه نجم العلم بالله، وأشرقت عليه شمس الحقائق لا يفضل صاحبه ولا يغوى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، لأنه مستغرق فى شهود الحق، لا يتجلى فيه إلا الحق. أى: ما يتجلى فيه إلا وحى يوحى من قبل الإلهام الإلهى، علمه شديد القوى، وهو الوارد الربانى.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

سورة النجم/ مكية/ الآية ١٧.

ما زاغ البصر إلى الدنيا، وما طغى إلى العقبى.

يقول الإمام جعفر الصادق: شاهد من علامات المحبة ما كبر عن الإخبار عنها. ويقول ابن عطاء: رأى من آيات ربه تعالى الكبرى؛ فهرب منها والتجئ حتى أدنى محل الرؤية فشكر. لم يره بطغيان ميل، بل رآه على شرط اعتدال القوى. فلا شك فيه ولا امتراء.

ويقول الإمام القشيري: ما مال صلوات الله عليه وسلامه ببصره عما أبيح له من النظر إلى الآيات، والاعتبار بدلائلها. فما جاوز حده، بل راعى شروط الأدب في الحضرة. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ أى: بصر محمد ﷺ ما عدل عن رؤية العجائب التى مكن من رؤيتها ﴿وَمَا طَغَى﴾ وما جاوز ما أمر برؤيته. زاغ بصر البصيرة عن شهود تلك الأسرار، وما حجب عنها أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسي، لتلطف تلك العوالم فى نظر العارف ﴿وَمَا طَغَى﴾ وما جاوز العبودية حتى يطمع فى الإحاطة بعظمة كنه الربوبية، فإن الإحاطة لا تمكن لا فى هذه الدار، ولا فى تلك الدار، بل يبقى الترقى فى الكشوفات، والمزيد من حلاوة الشهود أبداً سرمداً. لقد رأى هذا القلب الصافى من عجائب ربه الكبرى، حيث وسع من لم تسعه أرضه ولا سماؤه.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾

سورة النجم/ مكية/ الآية ٢٤.

قال الحسين بن منصور الحلاج رضوان الله عليه: الاختيار طلب الربوبية،
والتمنى الخروج من العبودية، وسبب عقوبه الله تعالى عباده ظفرهم تمنيهم.

يقول الإمام القشيري: ليس للإنسان ما يتمناه؛ فإنه يتمنى طول الحياة والرفاهية وخصب
العيش، . . وما لا نهاية له. ولكن أحدًا لا يبلغ ذلك بتمامه. فما يتمناه الإنسان أن يرتفع
مراده واجبًا في كل شيء، وأن يرتفع مراد عبد واجبًا في كل شيء ليس من صفات
الخلق، بل هو الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: من يهدى إلى طريق السلوك، بقطع العلائق النفسانية والقلبية،
وهم خلفاء الرسول عليه أفضل السلام، الداعون إلى الله تعالى، من شيوخ التربية في كل
زمان. ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، ليس له ما يتمنى إلا بسابق العناية، فلا يدرك العبد من الدنيا
والآخرة ومن الله تعالى، إلا ما سبق به القدر.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾

سورة النجم/ مكة/ الآية ٤٢.

قبل للحسين بن منصور الحلاج رحمة الله عليه: ما التوحيد؟. فقال: أن يعتقد أنه معل الكل بقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾، عند ذلك بطلت المعلولات، منه الابتداء، وإليه الانتهاء. قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ ذهب المعلولات وبقي المعل لها.

يقول ابن عطاء: إذا وصل العبد إلى معرفة الربوبية تنحرف عنه كل فتنة ولا يكون له مشيئة غير اختيار الله له.

ويقول الإمام القشيري: إليه المرجع والمصير، فابتداء الأشياء من الله خلقاً، وانتهاء الأشياء إلى الله مصيراً. فإذا انتهى الكلام إلى الله تعالى فاسكتوا. وإذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس بعده شيء، إلا الطاقاً من مال أو منال أو تحقيق آمال أو أحوال يجريها على مراده، وهي حظوظ للعباد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: انتهى سير السائرين إلى الوصول إلى الله، والعكوف في حضرته. ومعنى الوصول إلى الله: العلم بأحدية وجوده فيمتحن وجود العبد في وجود الرب تعالى، وتضمحل الكائنات في وجود المكون، فتسقط شفعية الأثر، وتثبت وتيرة المؤثر.

سورة القمر

مكية، وآياتها خمسون آية.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾

سورة القمر/ مكية/ الآية ٥٠.

الأمر: عين الجمع، والإرادة: عين العلم، ثم بين أن أفعال العباد جرت على سابق تقديره.

يقول الإمام القشيري: إذا أردنا خلق شيء لا يتعسر، ولا يتعذر علينا، نقول له: كن، فيكون بقدرتنا، كما أن هذا القدر عندكم ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ لا تلحقكم به مشقة؛ كذلك عندنا: إذا أردنا نخلق شيئاً - قل أو كثر، صغر أو كبر - لا تلحقنا فيه مشقة. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا﴾ كلمة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ أى: تعلق المشيئة الأزلية الموجبة لوجود كل شيء فى زمان معين على وجه معلوم ثابت فى لوح القدرية المسمى فى الشرع: كن. فيجب وجوده فى ذلك الزمان على ذلك الوجه. ويقول الإمام ابن عجيبة: هذا فى عالم الأمر، ويسمى عالم القدرة، وأما فى عالم الخلق ويسمى عالم الحكمة، فعله بالتدرّج والترتيب، سترًا لأسرار الربوبية، وصوتًا لسر لقدرة الإلهية، ليبقى الإيمان بالغيب، فتظهر مزية المؤمن، ويقال لأهل العناد المتجبرة: ولقد أهلكنا أشياعكم؛ إما بالهلاك الحسى أو المعنوى، كالطرد والبعد، فهل من متعظ يرجع عن عناده؟.

سورة الرحمن

مدنية، وآياتها ست وسبعون آية.

وقيل مكية.

﴿الرَّحْمَنُ﴾

سورة الرحمن / مدنية / الآية ١.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

سورة الرحمن / مدنية / الآية ٢.

﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿أى: علم الأرواح القرآن شفاهاً ومخاطبةً، فأخذته الأنفس وتعلمته بتلقين الوسائط.

يقول ابن عطاء: ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿أى: الذى علم آدم عليه السلام الأسماء وفضله بها على الملائكة، هو الذى علمكم القرآن الكريم وفضلكم به على سائر الأمم. ويقول الإمام القشيري: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذى عرفه الموحدون وجحد الكافرون هو الذى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، فرحمهم، وعن الشرك عصمهم، وبالإيمان أكرمهم، وكلمة التقوى ألزمهم. وعلم الأرواح القرآن قبل تركيبها فى الأجساد بلا واسطة. ويقول محيى الدين بن عربي: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسم خاص من أسماء الله تعالى باعتبار إفاضة أصول النعم كلها من الأعيان وكمالاتها الأولية بحسب البداية، وإنما أورد ههنا لعموم وصفيته الشاملة للأوصاف التى تحت معناه فى المبدئية ليسند إليه الأصول المختلفة الواردة بعده. ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أى: الاستعداد الكامل الإنسانى المسمى بالعقل القرآنى الجامع للأشياء كلها، حقائقها وأوصافها وأحكامها إلى غير ذلك مما يمكن وجوده، ويمتنع بإبداعه فى الفطرة الإنسانية وركزه فيها، ولأن ظهوره وبروزه إلى الفعل بتفصيل ما جمع فيه. وصيرورته فرقاناً إنما تكون بحسب النهاية ما ذكر الفرقان لأنه من باب الرحمة الرحيمية لا الرحمانية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ من الأسماء الخاصة بالذات العلية، ولما كان القرآن من أجل النعم عبر عن تعليمه بالرحمانية، التى هى من الصفات الخاصة؛ لأن القرآن المجيد مظهر لأوصاف الذات وأسرارها وأفعالها، وكاشف لحقائقها عند من فُتحت بصيرته.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ...﴾

سورة الرحمن/ مدنية/ الآية ٥٦.

حارت في رؤيتها الأبصار، و﴿قَاصِرَاتُ﴾، قصرت عن إدراك وصفها الأفكار لا بترحم عنها لفظ اللسان.

يقول سهل التستري: من قصر طرفه في الدنيا عن الحرام والشبهات، وعن اللذات وزينتها؛ أعطاه الله في الآخرة قاصرات الطرف التي وعد.

ويقول الإمام القشيري: في الجنان حور قصرن عيونهن عن غير أزواجهن، وإذا كانت الزوجات قاصرات الطرف عن غير أزواجهن فأولى بالبعد إذ رجا لقاء سبحانه أن يقصر طرفه ويغضه عن غير مباح؛ بل عن الكل، إلى أن يلقاه. ويقال: هن لمن قصرت يده عن الحرام والشبهة، وطرفه عن الريب.

ويقول محيى الدين بن عربي: مما يتصلون بها من النفوس المملوكية التي في مراتبها وما تحتها سماوية كانت أو أرضية، مزكاة صافية مطهرة لا يجاوز نظرها مراتبهم ولا تطلب كمالاً وراء كمالاتهم لكون استعدادتها مساوية لاستعدادهم أو أنقص منها، وإلا جاوزت جناتهم وارتفعت عن درجاتهم، فلم تكن قاصرات الطرف ولم تقنع بوصالهم ولذات معاشراتهم ومباشراتهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فِيهِنَّ﴾ أى: الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس، أو: في هذه الآلاء المحدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والغرس والجنى ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ جوار قصرن أبصارهم على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم.

سورة الواقعة

مدنية، وآياتها ست وتسعون آية.

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

سورة الواقعة/ مكية/ الآية ٢٤.

رد الشبح إلى الشبح، والمخلوق إلى المخلوق، ولما كانت أفعالهم مخلوقة، وأذكأرهم مخلوقة معلومة؛ جعل جزاءها ﴿وَفَاكِهَةً مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (٢٠) وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، وهور عين وما يشبهها، ولما كان فضله وإحسانه إلى عباده بديا غير مخلوق جعل ثوابه وجزاءه مما يليق به فقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في حال الاستقامة من الأعمال الإلهية المقصودة لذاتها المقارنة لجزائها، أو بما كانوا يعملون في حال السلوك من أعمال التزكية والتصفية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يفعل بهم ذلك لجزاء أعمالهم الصالحة، فنفس الدخول للجنة بمحض الرحمة، وكثرة النعيم والغرف بالعمل والترقى باليقين والمعرفة.

سورة الحديد

مدنية، وآياتها تسع وعشرون آية.

وفيها آيات مكية.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ...﴾

سورة الحديد/ مدنية/ الآية ٣.

هداهم باسمه ﴿الْأَوَّلُ﴾ إلى الغيب المحيط، وعرفهم باسمه ﴿الْآخِرُ﴾ الشأن القائم الدائم، وبصرهم باسمه ﴿الظَّاهِرُ﴾ النور العزيز المبين، وأوزعهم باسمه ﴿الْبَاطِنُ﴾ الحق والشهادة. فهو الأول الذى لا تخرجه الأولية ولا الآخرة ولا الظاهرية ولا الباطنية إلى نعوت الحلول والافتراق، وكيف يسعه أو يدركه شيء من خلقه وهو المحيط بالأزل، والأزل والأبد والأباد من جميع الوجوه، وإليه الغاية والمنتهى، أزلى العلم، أزلى القدرة، أزلى الشأن، أزلى المشيئة، أزلى النور، أزلى الرحمة. البادى لكل علم ومعلوم وشاهد ومشهود جل وعلا.

يقول الإمام جعفر الصادق: هو الذى أول الأول، وآخر الآخر، وأظهر الظاهر، وأبطن الباطن. فسقطت هذه المعانى وبقي هو تعالى.

ويقول أبو الحسن النورى: الأولية هى الآخرة، والآخرة هى الأولية، كما أن الأزلية هى الأبدية، والأبدية هى الأزلية، ليس بينهما حاجز. إلا أنه يفقدك وقتًا ويشهدك وقتًا لتجديد اللذة ورؤية العبودية.

ويقول ابن عطاء: من كان شغله من هذه الأسامي بالأول، كان شغله بما سبق فى السبق من مشيئته وقضائه؛ ومنعه وعطائه. ومن كان شغله بالآخر؛ كان شغله بما يستقبله من الأمر فى التنقيل والتحويل على الدهور. الأول يكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكون فيها، والآخر يكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبون فيها. فهو الأول بتكوين البدائع، فليس قبله شيء، والآخر بعد طمس الخلائق، فليس بعده شيء.

ويقول محسى الدين بن عرى: عرفت الله بجمعه بين الضدين، وهذا مدرك عزيز المنال؛ يتعذر تصويره على من لا أنسه له بالعلوم الإلهية التى يعطيها التجلى والنظر الصحيح. فسر الأبد هو نفى الآخرة، فهو أول وآخر بنسبتين مختلفتين، وسر الحال هو الديمومة ومالها أول ولا آخر ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ الذى يبتدىئ منه الوجود الإضافى باعتبار إظهاره ﴿وَالْآخِرُ﴾ الذى ينتهى إليه باعتبار إمكانه وانتهاء احتياجه إليه، فكل شيء به يوجد فيه ينفى، فهو أوله وآخره فى حالة واحدة.

﴿... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

سورة الحديد / مدنية / الآية ٣.

هو أول لا أول له، وآخر لا آخر له، وظاهر لا ظاهر له، وباطن لا باطن له، به تُوصف الصفات لا بها يُوصف، وبه تُعرف المعارف لا بها يُعرف، به عُرف المكان؛ ولا مكان له ولا عرف فيه، وبه كان الخلق لا في خلقه كان.

يقول الإمام القشيري: علم ما يفعله عباده ولم يمنعه علمه من تعريفهم، ورأى ما عملوا ولم يمنعه ذلك من غفرانهم و﴿الظَّاهِرُ﴾ ليس يخفى عليه شيء من شأنهم، وليس يدع شيئاً من إحسانهم و﴿الْبَاطِنُ﴾ بعلم ما ليس لهم به علم من خسرانهم ونقصانهم فيدفع عنهم فنون محنهم وأحزانهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأن عين ماهيته صورة من صور معلوماته؛ إذ صور الأشياء كلها في اللوح المحفوظ وهو يعلم اللوح مع تلك الصور بعين ماهية اللوح المنقش بتلك الصور فعلمه بها عين علمه بذاته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لا يغرب عن علمه شيء من الظاهر والخفى.

﴿... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ...﴾

سورة الحديد/ مدنية/ الآية ٤.

ما فارق الأكوان الحق تعالى، ولا قارنها، كيف يفارقها وهو موجد لها وحافظها، وكيف يقارن الحدث القدم وبه قوام الكل، وهو بائن عن الكل، ألا تراه تعالى يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. سئل الحسين الحلاج رحمه الله: ما التوحيد؟ قال: أن يعتقد أنه مع كل بقوله سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ عند ذلك يصل لكل معلول. فهو أول لا أول له، وآخر لا آخر له، وظاهر لا ظاهر له، وباطن لا باطن له، به تُوصف الصفات لا بها يُوصف، وبه تُعرف المعارف لا بها يُعرف، وبه عُرف المكان ولا مكان له ولا عرف فيه، وبه كان الخلق لا في خلقه كان.

يقول الإمام القشيري: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بالعلم والقدرة، فإذا دفن العبد فالله سبحانه يعلم ما الذي كان في قلبه من إخلاص في توحيده، ووجوده أحزانه خسرانه، وشكه وجوده، وأوصافه المحمودة والمذمومة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ بالعلم والقدرة والإحاطة الذاتية.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾

سورة الحديد/ مدنية/ الآية ٢١.

لما باشرت هذه المخاطبة العقول نهضت مستحضّة للجوارح بحسن التوجيه؛ لإقامة ما به يحطون عند من استجابوا لدعوته، فظنوا لإثارته، وأقاموا تحت العلم بقربه، وقرب عيونهم بما أورد على قلوبهم بالسرور بالخلوة جلاساً أناساً أكياساً لا يرهبون فى الطريق إلى غيره، ولا يتوسلون إليه إلا به، ولا يسألونه شيئاً غير التمتع بخدمته، وحسن المعرفة على موافقته.

يقول الإمام القشيري: أى، سارعوا إلى عمل يوجب لكم مغفرة من ربكم، وذلك العمل هو التوبة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لما حقر الحياة الحسية النفسية الفانية؛ وصورها فى صورة الخضراء السريعة الانقضاء، دعاهم إلى الحياة العقلية القلبية الباقية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿سَابِقُوا﴾ بالأعمال الصالحة، أو سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم فى المضمار. وفيه إغراء على النهوض إلى الله تعالى، وسرعة السير إلى الحق تعالى، والتنافس فى السبق.

سورة المجادلة

مدنية، وآياتها اثنتان وعشرون آية.

﴿... مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾

سورة المجادلة/ مدنية/ الآية ٧.

أصبح أقواماً بأرواح ظاهرة وملاحظات دائمة وأنوار قائمة ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ علماً وحكماً، لا نفساً وذاتاً.

يقول الإمام القشيري: أهل التوحيد وأصحاب العقول من أهل الأصول يقولون: الله واحد لا من طريق العدد، والحق يقول: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾. فحيثما كنت فأنا معك؛ إن كنت في المسجد فأنا معك، وإن كنت في المصطبة فأنا معك، إن طلب العلماء التأويل وشوشوا قلوب أولى المواجيد فلا بأس؛ فأنا معهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ لا بالعدد والمقارنة؛ بل بامتيازهم عنه بتعيناتهم واحتجابهم عنه بمباهياتهم وأنياتهم وافتراقهم منه بالإمكان اللازم لمباهياتهم وهوياتهم وتحقيقهم بوجوبه اللازم لذاته واتصاله بهم بهويته المندرجة في هوياتهم، وظهوره في مظاهرهم وتستره بمباهياتهم ووجوداتهم المشخصة وإقامتها بعين وجوده وإيجابهم بوجوبه، فبهذه الاعتبارات هو رابع معهم، ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم. ولهذا قيل: لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى، ومبين لكيفيته. أى: ما يقع من تناجي ثلاثة نفر في مسارتهم ﴿إِلَّا هُوَ﴾ تعالى ﴿رَابِعُهُمْ﴾ أى: جاعلهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركونهم في الإطلاع عليها.

﴿...أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ...﴾

سورة المجادلة/ مدنية/ الآية ٢٢.

فى قوله تعالى عز وجل: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أى: فى قلوب المؤمنين ليكون أثبت وأبقى لوقوع المناسبات. وأقبل عليهم بنظره، وملكهم بقدرته، وأحصاهم بعلمه، وأحاطهم بنوره، ودعاهم إلى معرفته.

يقول الإمام القشيري: خلق الله الإيمان فى قلوب أوليائه وأثبتته. جعل قلوبهم مطرزة باسمه، . . وأعزز بحلة لأسرار قوم طرازها اسم الله تعالى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر، وما فيه من معنى البعد لرفع درجتهم فى الفضل. أى: أثبتة فيها، وفيه دلالة على خروج الأعمال من مفهوم الإيمان، فإن جزء الثابت فى القلب ثابت فيه، ولا شىء من أعمال الجوارح يثبت فيه.

﴿...وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ...﴾

سورة المجادلة/ مدنية/ الآية ٢٢.

أقبل عليهم بنظره، وملكهم بقدرته، وأحصاهم بعلمه، وأحاطهم بنوره،
ودعاهم إلى معرفته.

يقول سهل التستري: كتب الله الإيمان في قلوب أوليائه سطوراً، فالسطر الأول التوحيد، والثاني المعرفة، والثالث اليقين، والرابع الاستقامة، والخامس الثقة، والسادس الاعتماد، والسابع التوكل. وهذه الكتابة هي فعل الله تعالى لا فعل العبيد، وفعل العبيد في الإيمان هو ظاهر الإسلام؛ وما يبدو منه ظاهراً، وما كان باطناً فهو عقل الله عز وجل. ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ لاتصالهم بعالم القدس أو بنور تجلى الذات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾ أى: قوَّاهم من عنده تعالى، وهو نور اليقين، أو القرآن الكريم، أو النصر على العدو، ويجوز أن يكون الضمير للإيمان، أى: بروح الإيمان. وهو مقام الشهود والتجلى العيانى، وهو حقيقة السر عند القوم، وعلم يمتد ظله في الأرواح المواجهة على حسب قابليتها واستعدادها، كما خصصتها المشيئة الإلهية، وهو التعليم الإلهامى للأولياء، والتنزل الوحيى للأنبياء عليهم السلام.

﴿...حِزْبُ اللَّهِ...﴾

سورة المجادلة/ مدنية/ الآية ٢٢.

﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ تعالى الذين إذا نطقوا أبهروا، وإن سكتوا أظهروا، وإن غابوا أحضروا، وإن ناموا أشهدوا وسلموا، وإن كلموا تكلموا، وأن نجت عنهم علل التخليط تطهروا ﴿أَوَلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

يقول سهل التستري: الحزب سبعة؛ وهم الأبدال، والأرفع منهم الصديقون، ألا إن حزب الله هم المفلحون الغالبون، إلا أن الوارثين لأسرار علومهم المشرفين على معادن ابتدائهم إلى انتهائهم هم المفلحون.

ويقول ابن عطاء: إن لله عبداً اتصاليهم به دائم وأعينهم به قريبة أبداً، لا حياة لهم إلا به لاتصال قلوبهم به؛ والنظر إليهم بصفاء اليقين فحياتهم بحياته موصولة لا موت لهم أبداً ولا صبر عنه، لأنه قد سبى أرواحهم، فعقلها عنده وثم ماؤها قد غشى قلوبهم من النور ما أضاعت به وأشرقت، ونمى زيادتها على الجوارح؛ وصاروا في حرزه وحماء، ﴿أَوَلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ السابقون الذين لا يلتفتون إلى غيره ولا يشبتونه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ أنصار حقه، ورعاة خلقه، وهو بيان لاختصاصهم به عز وجل.

سورة الحشر

مدنية، وآياتها أربع وعشرون آية.

﴿...أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

سورة الحشر / مدنية / الآية ٨.

سئل الحسين بن منصور رحمة الله عليه: من الفقراء؟.. فقال: الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان إرادته فيهم.

يقول الإمام القشيري: الفقير الصادق هو الذى يترك كل سبب وعلاقة، ويفرغ أوقاته لعبادة الله، ولا يعطف بقلبه على شيء سوى الله تعالى، ويقف مع الحق سبحانه راضياً بجريان حكمه فيه.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فى الإيمان اليقيني لتصديق أعمالهم دعواهم، إذ علامة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح بحيث لا تمكن حركاتها إلا على مقتضى شاهدهم من العلم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الذين يستحقون المواهب والفيض الإلهي والاصطفاء ثلاثة أصناف: الأول الفقراء الذين هاجروا أوطانهم وتركوا ديارهم وعشائهم؛ طلباً لصلاح قلوبهم وأسرارهم، والثاني القوم الذين نزلوا بهم إذ آوهم وآثروهم بأموالهم وأنفسهم، الثالث من جاء بعدهم طلباً لذلك.

﴿...وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ...﴾

سورة الحشر/ مدنية/ الآية ٩.

من رأى لنفسه ملكا لا يصح له الإيثار، لأنه يرى نفسه أحق بالشئ برؤية ملكه، إنما الإيثار لمن يرى الأشياء للحق، فمن وصل إليه فهو أحق به، فإذا وصل شئ من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد غضب، أو يد أمانة يوصلها إلى صاحبها، ويؤديها إليه.

يقول ذو النون المصري: ماحد الزاهد المشروح صدره؟. ثلاثة: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت.

ويقول سهل التستري: حرص نفسه على شئ هو غير الله تعالى والذكر له، فأولئك هم المفلحون الباقون مع الله أحياء بحياته.

ويقول الإمام القشيري: صاحب الإيثار يؤثر الشبعان على نفسه وهو جائع، ومن ميز بين شخص وشخص فليس بصاحب إيثار حتى يؤثر الجميع دون تمييز. وعزيز من لا يطلب من الحق تعالى لنفسه شيئاً؛ لا في الدنيا من جاه أو مال، ولا في الجنة من الأفضال، ولا منه أيضاً ذرة من الإقبال والوصال وغير ذلك من الأحوال.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ بعصمة الله وكلاءته، فإن النفس مأوى كل شر ووصف ردي، وموطن كل رجس وخلق دني، والشح من غرائزها المعجونة في طبيعتها ملازمتها الجهة السفلية ومحبتها الخطوط الجزئية؛ فلا يتنفى منها إلا عند انتفائها. ولكن المعصوم من تلك الآفات والشرور من عصمة الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: من يقه الله شح نفسه حتى يغالبها فيما يغلب عليها من حب المال وبُغض الإنفاق.

سورة الجمعة

مدنية، وآياتها إحدى عشرة آية.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ...﴾

سورة الجمعة/ مدنية/ الآية ٤.

جاد الجواد تعالى بجوده بغير علة، وتفضل بالتفضل، وعمها بالمن، وغشاها بالنعم إذ يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فقطع بالمشيئة وتحقق بالأسباب، فكان الكرم منه صرفاً لا تمازجه العلل، ولا يكتسبها الحيل، جاد به في الدهور قبل إظهار الأمور.

يقول الإمام القشيري: يقصد به هنا النبوة، يؤتيها ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ وفي ذلك رد على من قال: إنها تستحق لكثرة طاعة الرسول، ورد على من قال: إنها لتخصيصهم بطيبتهم؛ .. فالفضل ما لا يكون مستحقاً، والاستحقاق فرض لا فضل. و﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ هنا هو التوفيق حتى يؤمنوا به، وهو الأنس بالله، والعبد ينسى كل شيء إذا وجد الأنس. ويقول الإمام ابن عجيبة: كل من يعرف الله معرفة العيان، فهو من الأميين، فكما مَنْ الله تعالى على عباده ببعثه الرسول عليه الصلاة والسلام بعد أن كانوا في ضلال مبين، كذلك مَنْ على أمته بعده، فبعث مشايخ التربية يتلو عليهم آياته الدالة على شهوده وظهوره، ويزكيهم من الرذائل التي تحجبهم عن الله، ويُعلمهم أسرار الكتاب، وأسرار الحكمة وهي الشريعة، إذ لا يوقف على أسرارهما إلا بعد تطهير القلوب وتركية النفوس، وإن كانوا من قبل ملاقة المشايخ لفي ضلال مبين، حائدين عن طريق الشهود، وبعث أيضاً في آخرين منهم من يُذكرهم ويعرفهم بالله، وهكذا لا ينقطع الداعي إلى يوم القيامة، لكن لا يصل إليه إلا مَنْ أراد الله تعالى أن يوصله إليه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

سورة التغابن

مدنية، وآياتها ثمانى عشرة آية.

وقيل مكية، إلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ إلى آخر السورة، فإنه مدنى.

﴿... وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ...﴾

سورة التغابن/ مدنية/ الآية ٣.

أحسن الصور صورة أعتقت من ذل «كن»، وتولى الحق تصويرها بيده، ونفخ فيه من روحه، وألبثه شواهد البعث، وجلاه بالتعليم وشفاهاً، وأسجد له الملائكة المقربين، وأسكنه فى المجاورة، وزين باطنه بالمعرفة، وظاهره بفنون الخدمة. قال النبى ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» أى، صورته التى صورته عليها «فأحسن صورته».

يقول الإمام القشيرى: «خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» أى وهو محق فى خلقه «وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ» لم يقل لشيء من المخلوقات هذا الذى قال لنا، صور الظاهر وصور الباطن؛ فالظاهر شاهد على كمال قدرته، والباطن شاهد على جلال قربه. ويقول الإمام ابن عجيبة: أنشأكم فى أحسن تقويم، وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة، ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة، وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته، وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته، فالكائنات كلها منطوية فى هذه النشأة. وهو الذى خلقكم، فمنكم كافر بطريق الخصوص حائداً عنها، ومنكم مؤمن بها، داخل فيها. أى: فمنكم عام ومنكم خاص.

سورة الطلاق

مدنية، وآياتها اثنتا عشرة آية.

﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ...﴾

سورة الطلاق/ مدينة/ الآية ٢.

التوكل على الحقيقة لا يأكل شيئاً وفيمن حوله من هو أحق منه، ومن رأى السبب فهو مُدْع. والتوكل هو الاستكفاء بالله والاعتماد على الله تعالى، ومن يتوكل على الله كفاه وصدق التوكل أن لا يخاف من غير الله جل وعلا، وحقيقة التوكل الاستئناس بالله تعالى.

يقول ذو النون المصري: التقوى في أشياء كثيرة، فمن تلبس بالتقوى وكملت له المعرفة لا يحوج إلى أن يتعب في طلب الرزق. وخص الله أهل ولايته بالانقطاع إليه ليعرفهم فضله وإحسانه، فانصرف هموم الدنيا عن قلوبهم وعظم شغل الآخرة في صدورهم لما سكنها من هبة ربهم؛ فالزموا قلوبهم من العبودية وطرحوا أنفسهم في شرائح التوكل. ويقول سهل التستري: التقوى، أى: التبرى من الحول والقوة والأسباب وكل ما دونه والرجوع إليه، ليجعل له الحق تعالى مخرجاً عما كلفه بالمعونة عليه والعصمة من الطوارق فيها.

ويقول ابن عطاء: من فارق ما يشغله عن الله، أقبل عليه وشغل جوارحه بخدمته، وأنس قلبه بالتوكل، وزين سره بالتقوى، وأيد روحه باليقين. ويقول الإمام القشيري: إذا صدق العبد في تقواه أخرجته من بين أشغاله كالشعرة من بين العجيب لا يعلق بها شيء. ويضرب الله تعالى على المتقى سرادقات عنايته؛ ويدخله في كنف الإيواء، ويصرف الأشغال عن قلبه، ويخرجه من ظلمات تديره، ويجرده من كل أمر.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ بحسب مقتضى مقامه واجتنب ذنب حاله. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ التقوى الكاملة، يجعل له من كل مشكل وشبهة ومتشابه مخرجاً، فينحل له كل ما أشكل على الناس في أمر الدين والدنيا، ويرزقه من العلوم والأسرار والمعارف ما لا يخطر على بال.

سورة القلم (نون)

مكية، وآياتها اثنتان وخمسون آية.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾

سورة القلم/ مكية/ الآية ٤.

لأنك تنظر إلى الأشياء بشاهد الحق، ولا تنظر إلى الأشياء بشاهدك. فإن من نظر إلى الأشياء بشاهده هلك. ومعناه أنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعة الحق تعالى. عظم خلقك حيث لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات، ثم فنيت عن الذات بالذات حتى وصلت إلى حقيقة الذات، ومن فنى بالفناء عن الفناء كان القائم عنه غيره بالبقاء. فكيف لا يكون خلقه عظيماً وقد تجلّى الله سره بأنوار أخلاقه، وحق لمن وقعت له المباشرة أن يكون مفضلاً في خلقه صغر الأكوان في عينك بعد مشاهدة مكونها.

يقول الإمام جعفر الصادق: هو صرف الإيمان وحقيقة التوحيد، على النور الذي خصصت به في الأزل.

ويقول سهل التستري: تأدب بأدب القرآن المجيد ولا تتجاوز حدوده لقوله تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان».

ويقول ابن عطاء: جُدت بالدنيا والآخرة عوضاً منا. والخلق العظيم أن لا يكون له اختيار، ويكون تحت الحكم والصفح والعمو مع فناء النفس؛ وفناء المألوفات.

ويقول الإمام القشيري: كما عرفه الله سبحانه أخبار من قبله من الأنبياء عرفه أنه اجتمعت فيه متفرقات أخلاقهم. وقد عرض عليه تعالى مفاتيح الأرض فلم يقبلها، ورقاه ليلة المعراج، وأراه جميع المملكة والجنة فلم يلتفت إليها. ﴿لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ لا بالبلاء تنحرف، ولا بالعطاء تنصرف؛ احتمل صلوات الله تعالى عليه في الأذى شبح رأسه وثغره.

ويقول محسى الدين بن عربي: لكونك متخلفاً بأخلاق الله تعالى، متأيداً بالتأييد القدسي فلا تتأثر بمفترياتهم، ولا تتأذى بمؤذياتهم إذ بالله تصبر لا بنفسك. ويقول الإمام ابن عجيبة: حسن الخلق دليل على ثبوت الخصوصية.

سورة الحاقة

مكية، وآياتها إحدى وخمسون آية.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾

سورة الحاقة/ مكية/ الآية ٣٨.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ أى: ما أظهر الله تعالى للملائكة والقلم واللوح، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ مما اختزن من خلقه الذى لم يجر القلم به؛ ولم يشعر الملائكة بذلك، وما أظهر الله للخلق من صفاته وأراهم من صنعه، وأبدى لهم من علمه فى جنب ما اختزن عنهم إلا كذرة فى جميع الدنيا والآخرة، ولو أظهر الله تعالى من حقائق ما اختزن لذات الخلائق عن آخرهم فضلاً عن حملها.

يقول الإمام جعفر الصادق: ﴿مَا تُبْصِرُونَ﴾ من صنعى فى ملكى، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من برى بأوليائى.

ويقول ابن عطاء: ما تبصرون من آثار القدرة، وما لا تبصرون من سر القدرة. ويقول الإمام القشيري: «لا» صلة. والمعنى: أقسم؛ كأنه قال: أقسم بجميع الأشياء، لأنه لا ثالث لما يبصرون وما لا يبصرون.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ بالظاهر والباطن من العالم الجسمانى والروحانى، فالوجود كله ظاهراً وباطناً.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أقسم تعالى بذاته المقدسة، ما وقع به التجلى وما لم يقع، أى: ما ظهر منها فى عالم الشهادة وما لم يظهر، على حقية القرآن الكريم، وأنه خرج من حضرة الحق إلى الرسول الحق، ناطقاً بالحق، على لسان السفير الحق، متجلياً من ذات الحق، واصلاً من الحق إلى الحق، مشتملاً على علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

سورة الجن

مكية، وآياتها ثمان وعشرون آية.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ...﴾

سورة الجن / مكية / الآية ٧.

هذا ظن أحد النفوس الكاذبة، والأمانى الخاتلة، والوساوس الحاجبة، من قيل أنهم جعلوا أنفسهم علماً للوصول إليه من الجهة التي من أجلها لم يجعلها دليلاً، فشاهدوا النفوس بشهود الحظوظ والتفريط.

يقول الإمام القشيري: أى، ظنوا كما ظن الكفار من الجن ألا بعث ولا نشور، كما ظننتم أيها الأنس.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ قبل التنور بنور الهدى. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أى: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة. كما كانت الجن تسمع من الرسول ﷺ وتأخذ عنه، كذلك تسمع من خلفائه من الأولياء والعلماء الأتقياء، فهي تحضر مجالس الذكر والتذكير والعلم، على حسب ما يطلب كل واحد منهم.

سورة المدثر

مكية، وآياتها ست وخمسون آية.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾

سورة المدثر/ مكية/ الآية ٣.

﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾

سورة المدثر/ مكية/ الآية ٤.

عظم قدره عن احتياجه إليك في الدعوة إليه، فإن إجابة دعوتك ممن سبقت له الهداية.

يقول الإمام القشيري: كبره عن كل طلب ووصل وفصل وعلة وخلق. وطهر قلبك عن الخلائق أجمع وعن كل صفة مذمومة، وطهر نفسك عن الزلات، وقلبك عن المخالفات، وسرك عن الالتفاتات. وأهلك طهرهم بالوعظ؛ قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ سورة البقرة/ مدنية/ الآية ١٨٧، فيعبر عنهن أحياناً بالثياب واللباس.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إن كنت تكبر شيئاً وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير، لا يعظم في عينك غيره ويصغر في قلبك كل ما سواه بمشاهدة كبرائه. ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ظاهره طهره أولاً قبل تطهير باطنك عن مدانس الأخلاق وقبائح الأفعال ومذام العادات ورجز الهوى المؤدى إلى العذاب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أى: خص ربك بالتكبير، وهو التعظيم قولاً واعتقاداً، فلا يكبر في عينك إلا الله تعالى. ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ مما ليس بطاهر، فإنه واجب في الصلاة، فلا تصح إلا بها.

﴿... أَصْحَابَ النَّارِ...﴾

سورة المدثر/ مكية/ الآية ٣١.

﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾ هم أصحاب الرسوم والعادات، وأصحاب الجنة هم أصحاب الحقائق والمشاهدات.

يقول الإمام القشيري: حين قال المشركون نحن جمع كثير. فما يفعل بنا تسعة عشر؟! .
فأنزل الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾، فيزداد المؤمنون إيماناً، ويقول هؤلاء: أى فائدة فى هذا القدر؟.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾ لتغلبهم وتقهرهم فإن عالم الملك فى قهر عالم الملكوت وتسخيره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾ أى: خزنتها، المدبرين لها، القائمين بتعذيب أهلها ﴿إِلَّا مَلَائِكَةً﴾، لأنهم خلاف جنس المعذيين، فلا تأخذهم الرأفة والرقّة، ولأنهم أشد الخلق بأساً، فللواحد منهم قوة الثقلين.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ...﴾

سورة المدثر/ مكية/ الآية ٥٢.

كيف لهم بهذه الإرادة ولهم نفوس خالية عن الحق، معرضة عن أمور الحق، غافلة عن الوقت بين يدي الحق، كيف تفهم الصحف المنشورة أسرار خافية، أبكار ما افتضها خاطر حق قط. وأصلها أن البشرية لا تضاد الربوبية.

يقول الإمام القشيري: بل يريد كل منهم أن يعطى كتابًا منشورًا. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ لم يكتفوا بتلك التذكرة، ولم يرضوا بها، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ أن يؤتى ﴿صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ وذلك أنهم قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام لن تتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه: من رب العالمين إلى فلان بن فلان، يؤمر فيه باتباعك. وقالوا: إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار.

سورة التكويد (كورت)

مكية، وآياتها تسع وعشرون آية.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾

سورة التكوير / مكية / الآية ١.

تطمس الشمس بعد تكويرها، وتغور البحار بعد تسخيرها، وتنسف الجبال بعد تسييرها، وتدرس العشار بعد تعطيلها، وتخمّد الجحيم بعد تسعيرها، وتطوى الصحف بعد النشر، وتحشر الوحوش بعد القبر، وتزلزل الأرض وتخرج أثقالها للعرض على الجبار، وذلك أصعب مقام للمخالفين، وأهون مقام على الموافقين، فطوبى لمن أثبت فى ذلك المقام.

يقول الإمام القشيري: ذهب ضوؤها.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: إذا كورت شمس الروح بطئ ضوئها الذى هو الحياة وقبضها عن البدن وإزالتها، وإذا انكدت نجوم الحواس بذهاب نورها، وإذا سيرت جبال الأعضاء بتفتيتها وجعلها هباء، وإذا عطلت عشار الأرجل المتفع بها فى السير عن الاستعمال فى المشى وترك الانتفاع بها، أو الأموال النفسية المتفع بها، فإن العشار أنفس أموال العرب، وإذا حشرت وحوش القوى الحيوانية بأن هلكت وأفنيت من قولهم: حشرتهم السنة إذا بالغت فى إهلاكهم أو حشرت بالإحياء عند البعث. وإذا سجرت، أى: ملئت بحار العناصر بأن فجر بعضها إلى بعض واتصل كل جزء بأصله فصار بحرًا واحدًا، وإذا زوجت النفوس بأن تحشر كل نفس إلى ما تجانس وتساكله من صنف فصنفت أصنافًا من السعداء والأشقياء كل مع قرنائه، وإذا سثلت مؤودة النفس الناطقة التى أثقلتها وائدة النفس الحيوانية فى قبر البدن وأهلكتها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: فى قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إشارة إلى تكوير النفس وطياها، حتى انتقلت إلى مرتبة الروح.

سورة الانفطار (انفطرت)

مكية، وآياتها تسع عشرة آية.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

سورة الانفطار / مكية / الآية ٨.

من قصده بنفسه صرف عن حظه، ومن قصده به فهو المحجوب عن نفسه، لأنه يقول: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾. أى: فى أى حالة بما شاء أنشأك، لأنه تعالى خلق آدم عليه السلام لألطف بره، وبأشده بإعلاء قدره، وأظهر الأرواح من بين جماله وجلاله، فخصه بنفخ الروح فيه، وكساه كسوة لولا أنه سترها لسجد لها كل ما أظهر من الكون، فمن رداه برداء الجمال فلا شيء أجمل من كونه، ومن رداه برداء الجلال وقعت الهيبة على شاهده.

يقول ابن عطاء: فى أى حالة ما شاء صرفك.

ويقول الإمام القشيري: ركب أعضائك على الوجوه الحكيمة فى أى صورة ما شاء، من الحسن والقبح، والطول والقصر. ويصح أن تكون الصورة هنا بمعنى الصفة، و«فى» بمعنى «على» فيكون معناه: على أى صفة شاء ركبك؛ من السعادة أو الشقاوة، والإيمان أو المعصية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ركبك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة، ثم شوقك إلى السير إليه بالنظر إلى صورة بشريتك، فإنه عدلها فى أحسن تقويم، ثم نفخ فيه روحاً قدسية سماوية من روحه القديم.

سورة البروج

مكية، وآياتها اثنتان وعشرون آية.

﴿وَشَاهدٍ وَمَشْهُودٍ﴾

سورة البروج / مكية / الآية ٣.

قال الحسين بن منصور فى قوله تعالى: ﴿وَشَاهدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الشاهد العبد، والمشهود عليه أفعاله. وقيل: الشاهد أفعال العبد، والمشهود عليه العبد. والخلق مشهودون لما شهدهم به قبل خلقهم، ففى هذه الآية الكريمة بانّت علامات إنه ما انفصل الكون على المكون، ولا قارنه.

يقول سهل التستري: الشاهد الملائكة، والمشهود الإنسان، والشاهد نفس الروح، والمشهود نفس الطبع.

ويقول ابن عطاء: هو الذى يشهد له تعالى بأحواله على أحواله لما كان الحق تولاهما فى أزليته قبل أن خلقها ويسرها بتقديره حتى أخرجها إلى الكون بتدبيره كذلك فى صفاته وأحواله. فالشاهد الحق تعالى، والمشهود الكون: أعدمهم ثم أوجدهم على قوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾.

ويقول الإمام القشيري: الشاهد الله، والمشهود الخلق. شهد لنفسه بالوحدانية، والمشهود هو لأنه شهد لنفسه.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿وَشَاهدٍ﴾ أى: الذى شهد الشهود الذاتى فى عين الجمع ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ أى: الذات الاحدية. ومعنى التكثير التعظيم، أى: شاهد لا يعرفه أحد ولا يقدر قدره إلا الله تعالى لفنائه فيه وانتفاء عينه وأثره فكيف يعرف؟، ومشهود لا يعلمه أحد إلا هو. ولعمري إنه عين الشاهد لا فرق إلا بالاعتبار وجواب القسم محذوف.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَشَاهدٍ﴾ هو الذى يشهد ذات الحق عياناً، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ هو عظمة الذات العلية وأسرارها وأنوارها.

سورة الغاشية

مكية، وآياتها ست وعشرون آية.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾

سورة الفاشية/ مكية/ الآية ٨.

أى شاهدت بمشاهدته حقيقة عين الحق.

يقول الجنيد البغدادي رحمه الله: جعل الله تعالى الطاعة والخوف على الاشباح، وخص بالمعرفة الأرواح.

ويقول محيى الدين بن عربي: تظهر عليها نضرة النعيم من اللطافة والنورية لتجردهم لسعيها وجدها فى طريق البر واكتساب الفضائل والسير فى الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ذات بهجة وحسن، ناعمة بلذة الشهود والعيان، لأجل سعيها بالمجاهدة، راضية حيث وصلتها إلى صريح المشاهدة، فى جنة عالية من جنان المعارف.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾

سورة الغاشية/ مكية/ الآية ١٢.

جريان الأحوال عليه، يجرى به من عين إلى عين، حتى يحصله في عين العين.

يقول الإمام القشيري: المراد عيوناً؛ لأن العين اسم جنس، والعيون الجارية هنالك كثيرة ومختلفة. فتلک العيون الجارية غداً لمن له اليوم عيون جارية بالبكاء، وغداً لهم عيون ناظرة بحكم اللقاء.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾ من عيون مياه علوم المعارف والذوق والكشف والوجدان والتوحيد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أى: عيون كثيرة تجري مياهها، وهى سير القلب إلى حضرة الرب تعالى.

﴿وَالِیَّ السُّمَاعُ ۚ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾

سورة الغاشية/ مكية/ الآية ١٨.

٢١ تي ١١ اقبه اقبه اقبه اقبه اقبه

زينة أية إلى طلبة الأبرار كيف أفرقت بالمكاشفات. هي دليله بالهكذا ان لي به

يقول الإمام القشيري: القوم كانوا أصحاب البوادي لا يرون شيئاً إلا السماء والأرض

والجبال فامرهم بالنظر فى هذه الأشياء .

وَيَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ عَجَبَةَ: رَفْعًا بَعِيدًا بَلَا عِمْدَ وَلَا مَسَاكَ، أَوْ بِحَيْثُ لَا يَنْتَلِهَا فَهْمٌ وَلَا

إدراك. وإلى الأرواح كيف رفعت، لأنها محل أفكار العارفين، وإلى جبال العقل كيف

نصبت لتمييز الحسن من المعنى، والشريعة من الحقيقة، وإلى أرض البشرية كيف سطحت
 حيث استولت عليها الروحانية، وتصرفت فيها.

بذیہ ہتھالی والیجہ مالہ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّحْتُ بِهُمَا فِي الْحَرْبِ: تَبِيعَهُمَا بِمَا كَانَا فِي الْحَرْبِ

عالمنا بيا فسرنا

سورة الفجر

مكية، وآياتها تسع وعشرون آية.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾

سورة الفجر/ مكية/ الآية ٢٧.

﴿النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: هي النفس الواحدة، والنفس الشاكرة وهي النفس المرحومة، والنفس الخاصة هي النفس العارفة، والنفس العاقلة هي النفس الراضية، والنفس الأماره هي النفس الجاهلة.

يقول الجنيد البغدادي: «النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» ألبسها الحق أوصاف الهداية، فصارت نفسا لوامة.

ويقول ابن عطاء: المطمئنة هي العارفة بالله تعالى، والتي لا تصبر عن الله طرفة عين. ويقول الإمام القشيري: الروح المطمئنة إلى النفس بالمعرفة؛ وبذكر الله تعالى؛ وبالبشارة بالجنة. والنفس المطمئنة هي الروح الساكنة.

ويقول محيي الدين بن عربي: «النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» التي نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت إلى الله تعالى من الاضطراب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» التي اطمأنت بشهود الحق، ودام فناؤها وبقاؤها بالله تعالى، ارجعى إلى ربك، إلى شهود ربك بعد أن كنت عنه محجوبة، راضية عن الله تعالى فى الجلال والجمال، مرضية عنده فى حضرة الكمال، وعلامة الطمأنينة: أن صاحبها لا ينهزم عند الشدائد وتفاقم الأهوال.

سورة العلق (اقرأ)

مكية، وآياتها تسع عشرة آية.

﴿...وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

سورة العلق/ مكية/ الآية ١٩.

فى هذه الآية ما معناه أن الله عز وجل لم يبح للجوارح ترك التجلى بحاسنها، وذلك نفس إظهار الربوبية على العبودية، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾، وهو معنى التحريض على العبادة. أى: اقترب إلى ظاهر معدتك ومرجعك هو التراب، ومن يمكنه أن يقترب بنفسه إلا أن يقرب بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ سورة الواقعة/ مكية/ الآية ٨٨.

يقول ذو النون المصرى: إذا رأيت أنى أذنت لك فى السجود فاعلم أنى قد قربت منك، فاقترب منى برك فإن النبى ﷺ يقول: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». ويقول ابن عطاء: «وَاقْتَرِبْ» إلى بساط الربوبية، فقد اعتنك من بساط العبودية. ويقول الإمام القشيرى: اقترب من شهود الربوبية بقلبك، وقف على بساط العبودية بنفسك. فاسجد بنفسك، واقترب برك.

ويقول محبى الدين بن عربى: «وَأَسْجُدْ» سجود الفناء فى صلاة الحضور «وَاقْتَرِبْ» إليه بالفناء فى الأفعال، ثم فى الصفات، ثم فى الذات، أى: دم على حالة فنائك التام فى مقام الاستقامة والدعوة حتى تكون فى حالة البقاء به فائياً عنك، ولا يظهر فيك تلوين بوجود بقية من إحدى الثلاث، ولهذا قرأ عليه السلام فى هذه السجدة: «أعوذ بعفوك من عقابك» أى: بفعل لك من فعل لك، «وأعوذ برضاك من سخطك» أى: بصفة لك من صفة لك، «وأعوذ بك منك» أى: بذاتك من ذاتك، وهو معنى اقترابه بالسجود.

ويقول الإمام ابن عجيبة: واظب على سجودك وصلاتك غير مكترث، وتقرب بذلك إلى ربك. اسجد بقلبك وجوارحك، وتقرب بذلك إلى مولاك، حتى تنظر بالوصول إليه.

﴿... طُورَةُ الْبَيْتِ (الْمَيْكَن)﴾

مدنية، وآياتها ثمان آيات.

٥. تيمنا ائيله ائنيلا قوس

والمختلف فيها بين مدنية أو مكية. ج. وإن كان الأشهر كونها مكية. كـ ١١

کالا ہمت لا رہا تھا، حیلہ سمجھا کر ڈھونڈتا تھا، ہمتی ماما سے کہتا تھا کہ بھائی جان، ہمتی نے باپ سے
 حیلہ سنا ہے اللہ اعلم، حیلہ سے کہتا تھا کہ

[illegible]

يَدُ مَهْزِيَةٍ لَا يَبْرُجُ جِلْدًا نِيْلًا لَهَا رَدَا ﴿أَوَيْتُمْ﴾ رُوحِي نَبِيْلًا رُحْمَةً نَامِقِيَةً
خَلَّةً نَبْعًا اِبْعَضِي نَا ﴿نَا﴾ لَمْ يَهِيَ اَوَيْتُمْ لَبِ نَبِيْلًا

[illegible]

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ...﴾

سورة البينة/ مدنية/ الآية ٥.

الإخلاص: تصفية العمل من شوائب الكدر، وهو باطن والخشوع ظاهر.

يقول ذو النون المصري: الإخلاص لا يتم إلا بالصدق، والصبر عليه والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه، والمداومة عليه.

وسئل الجنيد البغدادي: عن الصدق والإخلاص أيهما فرق؟ قال: فرق وحال. فما الفرق وما الحال؟.. الصدق أصل وهو الأول، والإخلاص فرع وهو تابع، والصدق أصل كل شيء، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأمان. ها هنا حال إخلاص ومخالصة في الإخلاص. والصدق أن تجرى مع موافقة الله في كل موطن؛ فالصدق غير مفارق للعبد، والإخلاص إنما يكون في فعل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. إنما هو العقل.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أي: أهل الكتائب المحجوبون بأهوائهم عن الدين بما أمروا فيهما ﴿إِلَّا﴾ لأن يخصصوا العبادة لله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا لأجل أن يعبدوا الله وحده من غير شرك ولا نفاق. والإخلاص في المأمورات عبارة عن: خلوص النية لوجه الله، بحيث لا يشوبها أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص، وإن كانت لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك، فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة؛ ففي ذلك تفصيل.

﴿... خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا...﴾

سورة البينة/ مدنية/ الآية ٨.

الأبد إشارة إلى ترك القطع في العدد، ومحو الأوقات في السرم.

يقول أبو بكر الشبلي: الأبد هو البقاء الذي لا يزول، وإذا زالت الأسماء والصفات بزوال الخلق فإن الله تعالى باق بأسمائه وصفاته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حيث بلغوا من الأمانى قاصيها، وملكوا من المآرب ناصيتها، وأتيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فمن كفر بأهل الخصوصية من أهل العلم وغيرهم لهم نار الحجاب والقطيعة، ومن آمن بهم، ودخل تحت تربيتهم، له جنات المعارف خالداً فيها رضى الله عنهم حيث قربهم إليه، ورضوا عنه حيث سلموا الأمر إليه، وخشوا بعده وطرده.

﴿...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾

سورة البينة/ مدنية/ الآية ٨.

الرضا يكون لقدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة، فكل قوى علمه كان من الراضين في معرفته، ويكون قوياً في حاله بقوة علمه. والرضا حال يصحب العبد في الدنيا والآخرة، وهي حالة تصحبهم في الجنة لأنهم منعمون بالرضا ويسألون الله تعالى حتى يقول لهم: «برضاى أحلكم دارى» أى: برضاى عنكم أَرْضَيْتُكُمْ؛ وذلك الذى أحلكم المحل وليس كل الرضا محل الخوف والرجاء والصيد والإشفاق وسائر الأحوال التى تزول عن العبد في الآخرة، وحال الرضا والمحبة يصحبان العبد في الدنيا والآخرة، وهي حالة رقيقة لا يجدها إلا الأنبياء عليهم السلام، والصديقون وأكابر الأولياء من المؤمنين رضى الله عنهم. (راجع سورة المائدة/ الآية ١١٩، وسورة التوبة/ الآية ١٠٠، وسورة المجادلة/ الآية ٢٢).

يقول الإمام جعفر الصادق: فى قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما كان سبق لهم من الله تعالى العناية والتوفيق، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما منَّ عليهم بمتابعتهم لرسول الله ﷺ وقبول ما جاء به، وإنفاقهم الأموال والمهج بين يدى رسول الله ﷺ. ويقول ذو النون المصري: الرضا سرور القلب بمر القضاء. ويقول سهل التستري: الخشية سر، والخشوع ظاهر. ويقول أبو الحسين النورى: الرضا استقبال الأحكام بالفرح. ويقول الإمام القشيري: لم تبق لهم مطالبة إله حققها سبحانه لهم. ويقول الإمام ابن عجيبة: الخشية محلها البواطن، والخشوع ظهور أثر الخشية فى الظاهر.

سورة الزلزلة

مدنية، وآياتها ثمانى آيات.

واختلف حول كونها مكية أو مدنية.

﴿... الأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾

سورة الزلزلة/ مدنية/ الآية ٢.

تزلزل الأرض، وتخرج أنقالها للعرض، فيقول مالها، ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ وتظهر أسرارها، فيسألها ما تقدمت من فعلها كما غيب، فهبت من عظم ما عاينت، فتشاهدت مذعنة قد خضعت، ويكتب له رسمها.

يقول الإمام القشيري: أمواتها، وما فيها من الكنوز والدفائن.
ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿الأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾ أى: متاعها التى هى بها ذات قدر من القوى والأرواح وهيئات الأعمال، والاعتقادات الراسخة فى القلب جمع ثقل وهو متاع البيت.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾ أى: ما فى جوفها من الأموات والدفائن، فلماذا زُلزِلت أرض النفوس زلزالها اللاتق بها، وحُرِكت بالواردات والأحوال، وتحققت الغيبة عنها بالكلية، أشرقت شمس العرفان، فغطت وجود الأكوان.

سورة التكاثر

مكية، وآياتها ثمانى آيات.

﴿... عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

سورة التكاثر/ مكية/ الآية ٥.

﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ما يستجلب بالدلائل، و﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هو علم لا منازعة له، ولا اضطراب فيه.

يقول أبو سعيد الخراز: نجاة القلب فى ثلاثة: علم عين اليقين، ووجود عين اليقين، وشهود حق اليقين.

ويقول سهل التستري: اليقين نأراً، والإقرار باللسان من فتيله، والعمل زينة، وابتداء اليقين المكاشفة ثم المعاينة؛ والمشاهدة.

ويقول الإمام القشيري: لو علمتم حق اليقين لارتدعتم عما أنتم فيه من التكذيب. ويقول محيي الدين بن عربي: لو ذقتم اللذات الحقيقية من العلوم اليقينية والإدراكات النورية المستعلية على هذه الحسيات والخياليات الفانية؛ لكان مالا يدخل تحت الوصف من الندم والتحسر على فوات العمر العزيز فيها والذهول عنها بها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين، كعلمكم ما تستيقنونونه لفعلتم من الطاعات مالا يوصف، ولا يكتنه كنهه. ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، لتوجهتم إليه بكل حال، لترون الجحيم، أى: نار القطيعة.

﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾

سورة التكاثر / مكية / الآية ٧.

إذا كان العبد فى عين اليقين، لا فى علم اليقين فجلس عن الكسب، وضعف عن القيام، وكان ممن لا يسكن ولا يتحرك إلاّ بيقين اليقين فطالبته نفسه بالحركة والاكتساب. لست أعلم أنه بقى لى أجل ولا رزق، فاتحرك فيه، لم يجب عليه الحركة إذ لم يكن له أمل فى النفس الثانى.

يقول أبو سعيد الخراز: عين اليقين هو أن يرفع الحجب عن قلوبهم، ويتجلى لأسرارهم؛ وأرواحهم، ويكشف عن أوهامهم حتى يرونه عين اليقين، فيرجعوا عنه سكرى، وينتهوا عنه خيارى.

ويقول سهل التستري: عين اليقين ليس هو من اليقين، لكنه نفس الشيء. ويقول الإمام القشيري: أراد جميع ما أعطاهم الله من النعمة، وطالبهم بالشكر عليها. ومن النعم الذى يُسأل عنه العبد تخفيف الشرائع؛ والرخص فى العبادات، والرضا بالقضاء؛ والقناعة فى المعيشة.

ويقول محبى الدين بن عربى: ﴿ثُمَّ﴾ لتذوقها عياناً يقينياً بالذوق والوجدان فوق العلم. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ تكرير للتأكيد ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أى: الرؤية التى هى نفس اليقين وحاصلته، فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين. لترونها عين النعمة.

سورة الكافرون

مكية، وآياتها ست آيات.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾

سورة الكافرون/ مكية/ الآية ١.

إن الله تعالى أورد تكليفه على ضروب، منهم من استعبد وأسعد بخصائص العبودية، كما خاطب به نبيه ﷺ ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ إنك لن تبلغ استحقاق العبودية بالجهد؛ وخطاب تكليف خاطب به الكفار، وذلك أنه عز وجل أمر نبيه عليه السلام أن يخاطبهم بقوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

يقول الإمام القشيري: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ❶ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ من أصنامكم. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الذين ستروا نور استعدادهم الأصلي بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة، فحجبوا عن الحق بالغير. ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المخاطبون كفره مخصصون، علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ بطريق التجريد، التي هي سبب حصول التوحيد والتفريد.

سورة الإخلاص (التوحيد)

مكية، وآياتها أربع آيات.

وقيل: مدنية.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

سورة الإخلاص/ مكية/ الآية ١.

قيل للحسين الحلاج: أهو هو. قال: بل هو وراء كل هو، وهو عبارة عن ملك ما لا يثبت له شيء دونه. الواحد في معناه، والكمال في ذاته هو الأبد في دوام الأوقات، والأحد الكائن عند كل منعوت، وإليه يصير كل مربوب، يطمس على ساكنه، وي طرح من نازله، أن أشهدك إياه فاتك؛ وإن غيبك عنه دعاك. فتوحيد الأئمة توحيد رضى به لهم، فأما الذى يستحقه الحق تعالى، فلا! لأن القائل عنكم سواكم، والمعبر عنكم غيركم فسقطتم أنتم، وبقي من لم يزل كما لم يزل. وقد خلق الله تعالى الخلق على علمه، وأظهر الأشياء فيهم بقدرته، ودعاهم إلى توحيدهِ ووحدانيته في المعرفة الأصلية بلسان الطبايع، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

يقول الإمام جعفر الصادق: يعنى أظهر ما تريده النفوس بتأليف الحروف، فإن الحقائق مصونة عن أن يبلغه وهم أو فهم. وإظهار ذلك بالحروف ليتهدى بها من «ألقى السمع» وهو إشارة إلى غائب، والهاء هو تنبيهه على معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس. و«الأحد» الفرد الذى لا نظير له، لأنه هو الذى أحد الآحاد.

ويقول أبو سعيد الخراز: إن الله أول من دعا عباده، دعاهم إلى كلمة واحدة فمن فهمها فهم ما ورائها وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فتم به المراد للخواص.

ويقول ابن عطاء: ﴿قُلْ﴾ فى غير هذا الموضع فى القرآن الكريم أى: أظهر ما أوحينا إليك وبيننا لك بتأليف الحروف التى قرأناها عليك لتهدى بها أهل الهداية. والهاء تنبيه عن معنى ثابت، والواو إشارة إلى ما لا يدرك حقائق نعوته وصفاته بالحواس، و«الأحد» المتفرد الذى لا نظير له. والتوحيد هو الإقرار بالأحدية والوحدانية، وهو الانفراد؛ فهو المتفرد بإيجاد المفقودات، والمتوحد بإظهار الخفيات.

ويقول محبى الدين بن عربى: قل، أمر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل؛ هو عبارة عن الحقيقة الأحدية الصرفة، أى: الذات من حيث هى بلا اعتبار صفة لا يعرفها إلا هو.

سورة الفلق (المعوذتان)

مكية، وآياتها خمس آيات.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾

سورة الفلق / مكية / الآية ١.

﴿الْفَلَقِ﴾: فلق الملكوت من القلوب فأبداها على الألسنة، وأشار الحق تعالى إلى جميع خلقه فى معنى القطيعة عنه بكلمة واحدة، وهى من لطائف القرآن المجيد: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و«فالق الإصباح» و«فالق الحب والنوى»، وفالق البحر لموسى عليه السلام، وفالق الأسماع والأبصار، وفالق القلوب حتى انكشف لها الغيوب، قال النبى ﷺ: «سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره»، وفلق الصدور وفتقها وشرحها لتدارك ما جرى فيها من المباشرة؛ إذ فى ذلك صحة الحيرة وصفائها وصفادها.

يقول الإمام القشيري: امتنع واعتصم برب الفلق. والفلق الصبح. ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ألتجئ إلى الإسم الهادى وألوذ به بالانصاف به والاتصال بروح القدس فى الحضرة الأسمائية، لأن الفلق هو نور الصبح المقدم على طلوع الشمس، أى: برب نور صبح تجلى الصفات الذى هو مقدمة طلوع نور الذات، ورب نور صبح الصفات هو الإسم الهادى، وكذا معنى كل مستعيز بربه من شر شئ فإنه يستعيز بالإسم المخصوص بذلك الشئ كاستعاذة المريض مثلاً بربه فإنه يستعيز بالشافى، وكاستعاذة الجاهل من جهله بالعليم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أى: أتحصن واستجير برب الفلق. والفلق الصبح؛ لأنه يفلق عنه الليل، وهو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون... والحب والنوى عما يخرج منهما، والبطون والفروج عما يخرج منهما، وغير ذلك مما يفلق ويخرج منه شئ.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

سورة الفلق/ مكية/ الآية ٢.

أن يكون مربوطاً، فإن علت أحواله وعظمت أخطاره فإن الانقطاع علامته
الارتباط بما دونه من خلقه وفلقه.

يقول الإمام القشيري: من الشرور كلها.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: من شر الاحتجاب بالخلق وتأثيرهم فيه فإن من اتصل
بعالم القدس في حضرة الأسماء؛ واتصف بصفاته تعالى، أثر في كل مخلوق، ولم يتأثر
من أحد، لأنهم في عالم الآثار ومقام الأفعال، وقد ارتقى هو عن مقام الأفعال إلى
مبادئها من الصفات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من الثقلين وغيرهم، كائنًا ما كان، وهذا شامل
لجميع الشرور الجمادية والحيوانية والسمائية: كالصواعق وغيرها. وإضافة الشر إليه، أي:
إلى كل ما خلق لاختصاصه بعالم الخلق، المؤسس على امتزاج المواد المتباينة، وتفصيل
كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد في عالم الحكمة، وأما عالم الأمر فهو منزّه عن
العلل والأسباب.

ثبت أئمة المفسرين بالكتاب

* البسطامي (١٨٨ - ٢٦١ هـ = ٨٠٣ - ٨٧٤ م)

أبو زيد الأكبر (بايزيد) طيفور بن عيسى البسطامي، نسبة إلى بسطام خراسان. لا كتابات له، ولكن أقواله مرصودة لدى أصحابه ومحبيه ومريديه وخصومه على السواء، وتسمى طريقته الطيفورية: وهو مذهب في المحبة والفناء. اشتهر بالشطح في حال وجده، وكان همه الأكبر التوحيد.

* البصري (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤١ - ٧٢٨ م)

الحسن بن أبي الحسن بن سيار البصري، أبو سعيد. تابعي، ولد لأب إيراني من ميسان، وسباه المسلمون لدى فتح العراق، وسكن المدينة المنورة، فشب في كنف علي بن أبي طالب رضى الله عنه، بعد أن أعتقه من كان عندهم من الأنصار. غادر المدينة إلى البصرة، وعكف على التعلم حتى صار إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وله مع الحجاج بن يوسف مواقف: من تصانيفه: كتاب في فضائل مكة، وكتاب الإخلاص.

* ابن بنان (ت: ٢٨١ هـ = ٨٩٤ م)

أبو الحسين محمد بن عبد الله بن بنان. شيخ مشايخ مصر، ولد بالقاهرة، وزار العديد من البلدان، صحب أبو سعيد الخراز وغيره من أكابر الصوفية. واشتهر بالوالة السكران، مات في التيه.

* الترمذي (٢٠٥ - ٣٢٠ هـ = ٨٢٠ - ٩٣٢ م)

محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله الترمذي. كتب الكثير من الحديث ورواه، وهو من أكابر شيوخ خراسان، صحب القصار وابن خضرويه،

وتسمى طريقته الحكيمية، فقد غلب عليه لقب الحكيم الترمذى. من تصانيفه: كتاب ختم الولاية وعلل الشريعة، وكتاب نواذر الأصول فى أحاديث الرسول، وكتاب الفروق.

* التستري (٢٠٣- ٢٨٣ هـ = ٨١٨- ٨٩٦ م)

سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد، سهل التستري. من خوزستان. سكن البصرة وعبادان، وكان أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، والمتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال، وتسمى طريقته السهلة. من تصانيفه: كتاب تفسير القرآن العظيم، وكتاب رقائق المحيين.

* الجريرى (ت: ٣١١ هـ = ٩٢٣ م)

أبو محمد أحمد بن محمد الحسين الجريرى، من أكابر رجال الصوفية، صاحب الجنيد البغدادي وسهل التستري. وقد أقعد فى موضعه لتمام حاله وصحة طريقته، وغزارة علمه، تولى مشيخة بغداد بعد وفاة الجنيد.

* الجنيد (ت: ٢٩٧ هـ = ٩١٠ م)

الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز، أبو القاسم البغدادي. أصله من نهاوند، بغدادي المولد والمنشأ والوفاء، كان فقيها يفتى فى حلقاته، وصاحب السرى السقطى والمحاسبى والقصاب، وهو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد، ويعدّه العلماء شيخ مذهب التصوف وتاج العارفين.

* الخراز (ت: ٢٨٦ هـ = ٨٩٩ م)

أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز، من مشايخ بغداد الكبار؛ وهو أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء، وقد صحب ذا النون المصرى وأبا عبد الله النابجى وأبا عبيد اليسرى والسرى السقطى وبشر الحافى، وكنى الخراز لاشتغاله بالخرازة. من تصانيفه: كتاب الصدق والصفاء، وكتاب الكشف والبيان والحقائق.

* ابن خفيف (ت: ٣٧١ هـ = ٩٨١ م)

أبو عبد الله محمد بن إسفكشاد الضبي، أبو عبد الله بن خفيف، كانت أمه نيسابورية، وقد صحب الجريري وابن عطاء والتقى بالحلاج، وكان عالماً بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق. ترقى في الطريق حتى صار شيخ مشايخ شیراز.

* الخواص (ت: ٢٩١ هـ = ٩٠٤ م)

أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، من كبار الصوفية وعظماء مشايخهم، ولد في سر من رأى، ولقب بالخواص لبيعته الخوص. صحب الجنيد البغدادي والنوري، واعتمد في طريقته على التوكل. مات بالرى.

* الدقاق (٣٠٤ - ٣٩٠ هـ = ٩١٦ - ٩٩٩ م)

أبو على محمد بن عبد الله، أبو الحسين الدقاق، محدث ثقة، بغدادي الأصل والمنشأ، تفقه في علوم الظاهر والحديث. من تصانيفه: كتاب الفوائد المتتقاء، وكتاب الغرائب الحسان من الشيوخ العوالي، وكتاب التفسير والحديث.

* ذو النون (١٠٠ - ٢٤٥ هـ = ٧٧١ - ٨٥٩ م)

ثوبان بن إبراهيم ذو النون الأخميمي المصري، أبو الفيض، أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر؛ نوبى الأصل من الموالي، كانت له فصاحة وحكمة، وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية؛ فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وسعى إلى المتوكل العباسي؛ فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل وردّه إلى مصر مكرماً، وقد توفى ودفن بالجيزة.

* الرازي (٥٦٤ - ٦٥٤ هـ = ١١٦٨ - ١٢٥٦ م)

عبد الله بن محمد بن سهل الرازي، ولد بخوارزم، وتوفى في بغداد، من

أكابر مشايخ الصوفية، درس على شيخه أبو عمران الاضطخري. وكان من خلفاء نجم الدين البكري. من تصانيفه: كتاب بحر الحقائق والمعاني في تفسير المثاني، وكتاب معيار الصدق في مصداق العشق، وكتاب كشف الحقائق وشرح الدقائق.

* رويم (ت: ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م)

رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم، صوفي شهير من أهل بغداد وكبار مشايخها، وله كلام وأقوال وبحوث في التصوف والصوفية.

* السلمى (٣٢٥ - ٤١٢ هـ = ٩٣٦ - ١٠٢١ م)

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد، أبو عبد الرحمن السلمى، الإمام الحافظ المحدث المفسر المؤرخ، شيخ خراسان وكبير الصوفية. ورث التصوف عن أبيه وجده وبيعت تصانيفه بأغلى الأثمان، ومنها: كتاب طبقات الصوفية، وكتاب آداب الصحبة، وكتاب حقائق التفسير.

* الشبلى (٢٤٧ - ٣٣٤ هـ = ٨٦١ - ٩٤٥ م)

دلف بن جحدر أو جعفر بن يونس، أبو بكر الشبلى، خراسانى الأصل، بغدادى المولد والانشأ، صحب الجنيد البغدادى ومن عاصره من المشايخ. تفقه على مذهب مالك بن أنس، ولى الحجابة للموفق العباسى. مات ودفن بمقبرة الخيزران.

* الصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٥ م)

أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين، ابن الحسين السبط. ولد بالمدينة المنورة وتوفى فيها، وهو الإمام الناطق، وصاحب الزمام السابق، لقب الصادق لأنه لم يعرف الكذب قط. عاش بالعراق مستغرقاً فى العلم، وآثر العبادة والعزلة. قال فيه الإمام أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفر.

* ابن عجيبة (١١٦٠ - ١٢٢٤ هـ = ١٧٤٧ - ١٨٠٩ م)

أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني، ابن عجيبة ويبدو أن اسمه كان تعبيراً من أهل زمنه على سعة اطلاعه وتمكنه من ثقافته وقدرته على شرح آراء غيره واستيعابها. من تصانيفه: كتاب الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، وكتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم، وكتاب البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. وقد مات ودفن ببلدة أنجرة من المغرب.

* ابن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ - ١٢٤٠ م)

أبو بكر بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي؛ وابن العربي، الملقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية بالأندلس، وانتقل إلى أشبيلية، وزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، تزيد تصانيفه عن الأربعمئة، منها: كتاب الفتوحات المكية، وكتاب فصوص الحكم، وكتاب مفاتيح الغيب، وكتاب السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج، وكتاب عنقاء مغرب.

* ابن عطاء (ت: ٣٠٩ هـ = ٩٢٢ م)

أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي رضى الله عنه، والأدمي نسبة إلى الأدم وهو الجلد. كان ينام في اليوم واللييلة ساعتين، زاهد صلب الجند وإبراهيم المارستاني، وكان أبو سعيد الخراز يعظم من شأنه، وقد تفرد بتفسير آيات القرآن الكريم. من تصانيفه: كتاب البيان في فهم القرآن.

* القشيري (٣٧٦ - ٤٦٥ هـ = ٩٨٦ - ١٠٧٣ م)

أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، واعظ من علماء نيسابور، من بني قشير، زار بغداد في طريقه للحج، ووعظ بها فوقت فتنة

بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان، فذهب إليه ولقى منه إكرامًا. وعاد إلى نيسابور ليلازم الوعظ والتدريس إلى أن توفي. من تصانيفه: كتاب المقامات والآداب، وكتاب لطائف الإشارات.

* ابن معاذ (ت: ٢٥٨ هـ = ٨٧٢ م)

يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، واعظ زاهد من أهل الري، أقام في بلخ؛ ولم يكن له نظير في وقته، وكان من العلماء بالفقه والشريعة وعلوم التفسير، توفي في نيسابور.

* المرسى، أبو العباس (٦١٦-٦٥٦ هـ = ١٢١٩-١٢٥٨ م)

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري، المرسى. ولد بمدينة مرسية بالأندلس، وفيها نشأ، فحفظ القرآن الكريم، وتفقه في علوم الدين المختلفة. وفي عام ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م أبحر مع أسرته عن طريق الجزائر للحج، وفي تونس صاحب قطب الزمان أبي الحسن الشاذلي؛ مما كان له كبير الأثر في ارتياد المرسى طريق التصوف. وحين عاد الشاذلي إلى الأسكندرية صحبه أبو العباس، وكان من أهم إنجازات المرسى تفسيره لمواقف النفري رضى الله عنه، ولكنه لم يسطر علومه في كتب، فهو يراها علوم تحقيق لا تستوعبها العوام، وصارت كتبه هم أصحابه الذين يقتسبون بعضاً من فيوضاته ومعارفه.

* المكي (ت: ٢٩٧ هـ = ٩٠٩ م)

عمرو بن عثمان بن كرب المكي. انتسب إلى الجنيد البغدادي في الصحبة، كما صحب أبا سعيد الخراز، وهو عالم بعلوم الأصول. روى عن محمد بن إسماعيل ويونس بن عبد الأعلى، وهو معدود في الأولياء. من تصانيفه: كتاب أجوبة لطيفة في العبارات والإشارات.

✽ النصر آبادى (ت: ٣٦٧ هـ = ٩٧٧ م)

أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محمود النصر آبادى، شيخ خراسان فى وقته. ينسب إلى نصر آباد، وهو نيسابورى الأصل والمنشأ والمولد، ويرجع إليه فى أنواع من العلم من حفظ السنن وجمعها؛ وعلوم التواريخ، وعلوم الحقائق، وكان أوحد المشايخ فى وقته علماً وحالاً. صحب الشبلى وأبا على الروزبارى وأبا محمد المرتعش.

✽ النهرجورى (ت: ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م)

أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى، نسبته إلى نهرجور بالقرب من الأهواز. من مشايخ الصوفية، صحب الجنيد البغدادى وعمرو المكى وغيرهم من المشايخ، وأقام مدة بالحرم الشريف مجاوراً، وتوفى فى مكة.

✽ النورى (ت: ٢٩٥ هـ = ٩٠٧ م)

أحمد بن محمد، أبو الحسين النورى المعروف بابن البغوى، ينسب إلى قرية بغشور بخراسان. ولد ونشأ فى بغداد، وقيل: النورى، نسبة إلى قرية تسمى نور، أو لنور حسن فى وجهه. كان من كبار علماء الصوفية وأكابرهم سنداً فى الحديث، وتسمى طريقته النورية. من تصانيفه: كتاب مقامات القلوب.

✽ الوراق (٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٨ - ٩٢٢ م)

أبو بكر محمد بن عمر بن أحمد الوراق، وقيل: البلخى. كان وراقاً من أهل الرى، ومؤرخاً من حفاظ الحديث، رحل فى طلب العلم وتدوين الحديث، واستوطن مكة المكرمة والمدينة المنورة وهو فى طريقه للحج. من تصانيفه: كتاب المعاملات، وكتاب التفسير، وكتاب الكنى والأسماء.

المصادر والمراجع

- * بدر، على/ ماسينيون فى بغداد/ منشورات الجمل/ ألمانيا ٢٠٠٥.
- * بدوى، عبد الرحمن (الدكتور)/ شخصيات قلقة فى الإسلام/ دار سينما/ القاهرة ١٩٩٥.
- * بروكلمان، كارل/ تاريخ الأدب العربى/ نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٩٦.
- * البغدادي، اسماعيل باشا/ هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين/ استانبول ١٩٥١.
- * البقلى، صدر الدين روزبهان/ شرح الشطحيات/ تحقيق: هنرى كوربان/ مركز الدراسات الإيرانية الفرنسية/ إيران ١٩٦٠.
- * الجنابى، هيثم/ حكمة الروح الصوفى/ دار المدى/ سوريا ٢٠٠١.
- * الحلاج، الحسين بن منصور/ الديوان ويليهِ كتاب الطواسين/ منشورات الجمل/ ألمانيا ١٩٩٧.
- * الحلاج، الحسين بن منصور/ كتاب الطواسين/ دار النديم/ القاهرة ١٩٨٩.
- * حنفى، حسن (وآخرين)/ فى قلب الشرق: قراءة معاصرة لأعمال ماسينيون/ المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة ٢٠٠٢.
- * خرطيل، سامى/ أسطورة الحلاج/ دار ابن خلدون/ بيروت ١٩٧٩.
- * الخطيب، على (الدكتور)/ اتجاهات الأدب الصوفى بين الحلاج وابن عربى/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٨٤.
- * خليفة، حاجى/ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون/ وكالة المعارف/ استانبول ١٩٤٣.
- * الزركلى، خير الدين/ الأعلام/ دار العلم للملايين/ بيروت ١٩٩٠.

- * ابن زنجي/ ذكر مقتل الحلاج/ تحقيق: محمود الهندي/ دار قباء/ القاهرة ١٩٩٨.
- * الزين، سميح عاطف/ الحلاج/ الشركة العالمية للكتاب/ لبنان ١٩٨٨.
- * الساعى، على بن أنجب/ أخبار الحلاج/ در الطليعة الجديدة/ سوريا ١٩٩٦.
- * سركيس، يوسف اليان/ معجم المطبوعات العربية والمصرية/ القاهرة ١٩٢٨.
- * سرور، طه عبد الباقي/ الحسين بن منصور الحلاج/ نهضة مصر/ القاهرة ١٩٩٦.
- * سزكين، فؤاد/ تاريخ التراث العربى/ ترجمة: د. محمود فهمى حجازى، ود. فهمى أبو الفضل/ هيئة الكتاب/ القاهرة ١٩٧٨.
- * السعيدى، سمير/ الحسين بن منصور الحلاج/ منشورات علاء الدين/ دمشق ١٩٩٦.
- * السقاف، أبكار/ الحلاج: أو صوت الضمير/ دار رامتان/ القاهرة ١٩٩٥.
- * السلمى، أبو عبد الرحمن/ حقائق التفسير/ دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠١.
- * السلمى، أبو عبد الرحمن/ مجموعة آثار/ مركز نشر دانشكاهى/ إيران ١٩٣٠.
- * الصادق، الإمام جعفر/ التفسير الصوفى العرفانى للقرآن/ تحقيق: د. على زيعور/ دار البراق/ بيروت ٢٠٠٢.
- * عباس، قاسم محمد/ الحلاج: الأعمال الكاملة/ رياض الريس/ بيروت ٢٠٠٢.
- * عبد الباقي، محمد فؤاد/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ دار الشعب/ القاهرة ١٩٦٥.

- * عبد الفتاح، سعيد/ أخبار الحلاج/ المكتبة الأزهرية للتراث/ القاهرة ٢٠٠٢.
- * ابن عجيبة، أبو العباس أحمد/ البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد/ دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠٥.
- * ابن عربى، محيى الدين/ تفسير القرآن الكريم/ تحقيق: د. مصطفى غالب/ دار الأندلس/ بيروت ١٩٦٨.
- * ابن عربى، محيى الدين/ تفسير القرآن/ دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠١.
- * عيون السود، محمد باسل/ ديوان الحلاج/ دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠٢.
- * غالب، مصطفى (الدكتور)/ الحلاج/ مؤسسة عز الدين/ بيروت ١٩٨٢.
- * القشيري، الإمام عبد الكريم/ لطائف الإشارات/ تحقيق: د. إبراهيم بسيونى/ هيئة الكتاب/ القاهرة ٢٠٠٠.
- * القلقشندي، أبو العباس أحمد بن على/ صبح الأعشى/ دار الكتب المصرية/ القاهرة ١٩١٨.
- * اللاذقانى/ محيى الدين/ آباء الحداثة العربية/ هيئة الكتاب/ القاهرة ١٩٩٨.
- * ماسينيون، لويس/ آلام الحلاج/ ترجمة: الحسين مصطفى الحلاج/ شركة قدمس/ بيروت ٢٠٠٤.
- * ماسينيون، لويس (وبول كراوس)/ أخبار الحلاج/ دار التكوين/ دمشق ٢٠٠٦.
- * ماسينيون، لويس (وبول كراوس)/ كتاب أخبار الحلاج/ منشورات الجمل/ ألمانيا ١٩٩٩.

* مكارم، سامى/ الحلاج فى ما وراء المعنى والخط واللون/ رياض الريس
لندن ١٩٨٩ .

* المنجد، صلاح الدين/ معجم المخطوطات المطبوعة/ بيروت ١٩٦٧ .

* ابن النديم، محمد بن إسحاق/ الفهرست/ مكتبة العربى/ القاهرة ١٩٩٨ .

٥	إهداء
٧	تقديم
١٩	سيرة الحلاج
٤٧	كتاب التفسير
٤٩	الفاتحة
٥٠	بسم الله
٥٢	الحمد لله
٥٣	اهدنا
٥٤	البقرة
٥٥	يستهزئ بهم
٥٦	كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم
٥٧	وإذا قلنا للملائكة اسجدوا
٥٨	فتوبوا إلى بارئكم
٥٩	قد علم كل أناس مشربهم
٦٠	فإينما تولوا فثم وجه الله
٦١	الله لا إله إلا هو الحى القيوم
٦٢	وسع كرسيه السموات والأرض
٦٣	آل عمران
٦٤	شهد الله أنه لا إله إلا هو
٦٦	هو العزيز الحكيم
٦٨	قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء
٦٩	فاتبعونى يحببكم الله
٧٠	وسيداً وحصوراً
٧١	وله أسلم ما فى السموات والأرض
٧٢	إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة
٧٣	وما محمد إلا رسول
٧٤	الذين يذكرون الله

٧٥النساء
٧٦يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
٧٧لعلمه الذين يستنبطونه منهم
٧٨وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة
٧٩واتخذ
٨٠أيتغون عندهم العزة
٨١ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم
٨٢المائدة
٨٣وتعاونوا على البر والتقوى
٨٤وجعلكم ملوكًا
٨٥يا أيها الذين آمنوا
٨٦وابتغوا إليه الوسيلة
٨٧ذلك فضل الله
٨٨تعلم ما فى نفسى
٨٩هذا اليوم ينفع الصادقين
٩٠الأنعام
٩١هو الذى خلقكم من طين
٩٢وهو القاهر فوق عباده
٩٣قل أى شىء أكبر شهادة
٩٤وكذلك فتنا بعضهم ببعض
٩٥لكل نبأ مستقر
٩٦وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا
٩٧قوله الحق وله الملك
٩٨فلما جن عليه الليل
٩٩وما قدروا الله حق قدره
١٠٠قل الله ثم ذرهم
١٠١وهو اللطيف الخبير
١٠٢الأعراف
١٠٣المص

- ١٠٤ربنا ظلمنا أنفسنا.
- ١٠٥كما بدأكم تعودون.
- ١٠٦أفأمنوا مكر الله
- ١٠٧أرني أنظر إليك
- ١٠٩لن تراني
- ١١٠واتبعوه لعلكم تهتدون.
- ١١١ألست بربكم
- ١١٣قالوا بلى
- ١١٤واذكر ربك في نفسك
- ١١٥التوبة (براءة)
- ١١٦عفا الله عنك لم أذنت لهم
- ١١٧إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
- ١١٨ومن أوفى بعهده من الله
- ١١٩لقد جاءكم رسول من أنفسكم
- ١٢٠يونس
- ١٢١آلر . تلك آيات الكتاب
- ١٢٢فذلکم الله ربکم الحق
- ١٢٣هل من شركائكم من يبدو الخلق
- ١٢٤أفمن يهدى إلى الحق أحق
- ١٢٥ومنهم من يستمعون إليك
- ١٢٦ويحق الله الحق بكلماته
- ١٢٧هود
- ١٢٨الر . كتاب أحكمت آياته
- ١٢٩يمتعكم متاعاً حسناً
- ١٣٠ونادى نوح ربه
- ١٣١لأملأن جهنم من الجنة
- ١٣٢يوسف
- ١٣٣فصبر جميل
- ١٣٤وما أغنى عنكم من الله من شيء

- ١٣٥ نرفع درجات من نشاء
- ١٣٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون
- ١٣٧ الرعد
- ١٣٨ وكل شيء عنده بمقدار
- ١٣٩ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
- ١٤٠ فله المكر جميعا
- ١٤١ إبراهيم
- ١٤٢ وما لنا ألا نتوكل
- ١٤٣ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
- ١٤٤ ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن
- ١٤٥ الحجر
- ١٤٦ إن في ذلك لآيات للمتوسمين
- ١٤٧ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
- ١٤٨ النحل
- ١٤٩ أموات غير أحياء وما يشعرون
- ١٥٠ الإسراء (بنى إسرائيل)
- ١٥١ ولقد كرمنا بنى آدم
- ١٥٢ ولولا أن ثبتناك لقد كدت
- ١٥٣ قل أدعو الله أو ادعو الرحمن
- ١٥٤ الكهف (أهل الكهف)
- ١٥٥ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها
- ١٥٦ أم حسبت أن أصحاب الكهف
- ١٥٧ لو اطلعت عليهم
- ١٥٨ وهم لكم عدو
- ١٥٩ من عندنا وعلمناه من لدنا علما
- ١٦٠ فأردت
- ١٦٠ فأردنا
- ١٦٠ فأراد ربك
- ١٦١ إن الذين آمنوا وعملوا

- ١٦٢ قل لو كان البحر مداداً.....
- ١٦٣ مريم.....
- ١٦٤ وآتيناه الحكم صبياً.....
- ١٦٥ واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد.....
- ١٦٦ واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً.....
- ١٦٧ ثم ننجى الذين اتقوا.....
- ١٦٨ آتى الرحمن عبداً.....
- ١٦٩ طه.....
- ١٧٠ لا إله إلا أنا.....
- ١٧١ وما تلك بيمينك يا موسى.....
- ١٧٢ عصاى أتوكأ عليها.....
- ١٧٣ رب اشرح لى صدرى.....
- ١٧٤ فيذرها قاعاً صفصفاً.....
- ١٧٥ الأنبياء.....
- ١٧٦ خلق الإنسان من عجل.....
- ١٧٧ من يكلؤكم بالليل والنهار.....
- ١٧٨ أنى مسنى الضر.....
- ١٧٩ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون.....
- ١٨٠ الحج.....
- ١٨١ سكارى وما هم بسكارى.....
- ١٨٢ المؤمنون (قد أفلح).....
- ١٨٣ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين.....
- ١٨٥ ثم أنشأناه خلقاً آخر.....
- ١٨٦ ثم إنكم بعد ذلك لميتون.....
- ١٨٧ ما اتخذ الله من ولد.....
- ١٨٨ النور.....
- ١٨٩ ما ليس لكم به علم.....
- ١٩٠ الخبيثات.....
- ١٩١ ولا يبدىن زينتهن إلا ما ظهر منها.....

- ١٩٢ الله نور السموات والأرض
 ١٩٣ كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة
 ١٩٤ نور على نور
 ١٩٥ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار
 ١٩٦ وإن تطيعوه تهتدوا
 ١٩٧ الفرقان
 ١٩٨ وخلق كل شىء فقدره تقديرًا
 ١٩٩ ولا يملكون لأنفسهم ضراً
 ٢٠٠ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
 ٢٠١ وكان ربك بصيراً
 ٢٠٢ فاسئل به خيرًا
 ٢٠٣ الشعراء
 ٢٠٤ فإن عصوك فقل إني برئ
 ٢٠٥ سيعلم الذين ظلموا
 ٢٠٦ النمل
 ٢٠٧ قالت يا أيها الملأ أنى ألقى إلى كتاب كريم
 ٢٠٨ قل الحمد لله وسلام على عباده
 ٢٠٩ أمن يجيب المضطر إذا دعاه
 ٢١٠ القصص
 ٢١١ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل
 ٢١٢ وما كنت بجانب الطور
 ٢١٣ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
 ٢١٤ إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد
 ٢١٥ الروم
 ٢١٦ الله الذى خلقكم ثم رزقكم
 ٢١٧ ومن آياته أن يرسل الرياح
 ٢١٨ السجدة
 ٢١٩ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً
 ٢٢٠ الأحزاب

- ٢٢١ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا.....
- ٢٢٢ إن المسلمين والمسلمات.....
- ٢٢٣ إنا عرضنا الأمانة.....
- ٢٢٤ فاطر (الملائكة).....
- ٢٢٥ يا أيها الناس أنتم الفقراء.....
- ٢٢٦ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا.....
- ٢٢٧ يس.....
- ٢٢٨ إنما تنذر من اتبع الذكر.....
- ٢٢٩ ومالي لا أعبد الذى فطرنى.....
- ٢٣٠ إن أصحاب الجنة اليوم.....
- ٢٣١ إنما أمره إذا أراد شيئاً.....
- ٢٣٢ الصافات.....
- ٢٣٣ إن إلهكم لواحد.....
- ٢٣٤ إن هذا لهو البلاء المبين.....
- ٢٣٥ إلّا له مقام معلوم.....
- ٢٣٦ ص.....
- ٢٣٧ إنا وجدناه صابراً.....
- ٢٣٨ الزمر.....
- ٢٣٩ وإذا مس الإنسان ضرر.....
- ٢٤٠ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله.....
- ٢٤١ وأنبيوا إلى ربكم.....
- ٢٤٢ الله خالق كل شىء.....
- ٢٤٣ تعالى عما يشركون.....
- ٢٤٤ غافر (المؤمن).....
- ٢٤٥ رفيع الدرجات ذو العرش.....
- ٢٤٦ لمن الملك اليوم.....
- ٢٤٧ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا.....
- ٢٤٨ هو الحى لا إله إلا هو.....
- ٢٤٩ الشورى (حم عسق).....

- ٢٥٠ ليس كمثله شىء.....
- ٢٥١ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها.....
- ٢٥٢ الزخرف.....
- ٢٥٣ فى السماء إله وفى الأرض إله.....
- ٢٥٤ الدخان.....
- ٢٥٥ إن المتقين فى مقام أمين.....
- ٢٥٦ الأحقاف.....
- ٢٥٧ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً.....
- ٢٥٨ فلما حضروه قالوا أنصتوا.....
- ٢٥٩ محمد (القتال).....
- ٢٦٠ فاعلم أنه لا إله إلا الله.....
- ٢٦١ الفتح.....
- ٢٦٢ إن الذين يبايعونك.....
- ٢٦٣ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار.....
- ٢٦٤ الحجرات.....
- ٢٦٥ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى.....
- ٢٦٦ يمينون عليك أن أسلموا.....
- ٢٦٧ ق.....
- ٢٦٨ والقرآن المجيد.....
- ٢٦٩ شىء عجيب.....
- ٢٧٠ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب.....
- ٢٧١ ألقى السمع وهو شهيد.....
- ٢٧٢ وما مسنا من لغوب.....
- ٢٧٣ الذاريات.....
- ٢٧٤ وفى أنفسكم أفلا تبصرون.....
- ٢٧٥ وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون.....
- ٢٧٦ الطور.....
- ٢٧٧ والطور.....
- ٢٧٨ واصبر لحكم ربك.....

- ٢٧٩ فإنك بأعيننا.
- ٢٨٠ النجم.
- ٢٨١ وما ينطق عن الهوى.
- ٢٨٢ ما زاغ البصر وما طغى.
- ٢٨٣ أم للإنسان ما تمنى.
- ٢٨٤ وإن إلى ربك المنتهى.
- ٢٨٥ القمر.
- ٢٨٦ وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر.
- ٢٨٧ الرحمن.
- ٢٨٨ الرحمن.
- ٢٨٨ علم القرآن.
- ٢٨٩ فيهن قاصرا الطرف.
- ٢٩٠ الواقعة.
- ٢٩١ جزاء بما كانوا يعملون.
- ٢٩٢ الحديد.
- ٢٩٣ هو الأول والآخر.
- ٢٩٤ وهو بكل شئ عليم.
- ٢٩٥ وهو معكم أينما كنتم.
- ٢٩٦ سابقوا إلى مغفرة من ربكم.
- ٢٩٧ المجادلة.
- ٢٩٨ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم.
- ٢٩٩ أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان.
- ٣٠٠ وأيدهم بروح منه.
- ٣٠١ حزب الله.
- ٣٠٢ الحشر.
- ٣٠٣ أولئك هم الصادقون.
- ٣٠٤ ومن يوق شح نفسه.
- ٣٠٥ الجمعة.
- ٣٠٦ ذلك فضل الله.

٣٠٧التغابن
٣٠٨وصوركم فأحسن صوركم
٣٠٩الطلاق
٣١٠ومن يتق الله
٣١١القلم (ن)
٣١٢وإنك لعلی خلق عظیم
٣١٣الحاقة
٣١٤فلا أقسم بما تبصرون
٣١٥الجن
٣١٦وأنهم ظنوا كما ظننتم
٣١٧المدثر
٣١٨وربك فكبر
٣١٨وثيابك فطهر
٣١٩أصحاب النار
٣٢٠بل يريد كل امرئ منهم
٣٢١التكوير (كورت)
٣٢٢إذا الشمس كورت
٣٢٣الانفطار (انفطرت)
٣٢٤فى أى صورة ما شاء ركبك
٣٢٥البروج
٣٢٦وشاهد ومشهود
٣٢٧الغاشية
٣٢٨وجوه يومئذ ناعمة
٣٢٩فيها عين جارية
٣٣٠والى السماء كيف رفعت
٣٣١الفجر
٣٣٢يا أيتها النفس المطمئنة
٣٣٣العلق (اقرأ)
٣٣٤واسجد واقترب

٣٣٥البينة (لم يكن).
٣٣٦وما أمروا إلا ليعبدوا الله.
٣٣٧خالدين فيها أبداً.
٣٣٨رضى الله عنهم ورضوا عنه.
٣٣٩الزلزلة.
٣٤٠الأرض أثقالها.
٣٤١التكاثر.
٣٤٢علم اليقين.
٣٤٣ثم لترونها عين اليقين.
٣٤٤الكافرون.
٣٤٥قل يا أيها الكافرون.
٣٤٦الإخلاص (التوحيد).
٣٤٧قل هو الله أحد.
٣٤٨الفلق (المعوذتان).
٣٤٩قل أعوذ برب الفلق.
٣٥٠من شر ما خلق.
٣٥١ثبت أئمة المفسرين بالكتاب.
٣٥٨ثبت المصادر والمراجع.

صدر للمؤلف:

- * مختارات من الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى (نصوص ولوحات) المجلس الأعلى للثقافة وهيئة الكتاب ١٩٩٥ / ١٩٩٦ .
- * الأغانى الشعبية فى صعيد مصر (بالاشتراك مع د. أحمد مرسى) مكتبة الأسرة/ القاهرة ٢٠٠٠ .
- * ذكر مقتل الحلاج لابن زنجى (تحقيق ولوحات) دار قباء ١٩٩٨ .
- * الإعلام السياسى فى نهج البلاغة (بالاشتراك مع د. عبد العزيز شرف)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ (طبعة أولى)، مكتبة الأسرة/ القاهرة ٢٠٠٥ (طبعة ثانية).
- * ابن عروس (السيرة/ اللوحات/ النصوص) دار قباء ١٩٩٩ (طبعة أولى) الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٦ (طبعة ثانية).

تحت الطبع:

- * ديوان النفرى (نصوص ودراسة ولوحات) دار الشروق.
- * الأعمال الكاملة للحلاج فى ١١ مجلد/ دار مدبولى .
- * معجم الأكابر للمصطلح الصوفى فى ٦ مجلدات .
- * التفسير العرفانى الصوفى للقرآن الكريم فى ٨ مجلدات من تفاسير أكابر أئمة الصوفية/ دار مدبولى .